@ketab_n
Follow Me
24.7.2015

ارحل قبل أن انهار

تونا كيرمتشي

ترجمة: عمرو السيد

العربي للنشر والتوزيع

روايات مترجمة

ارحل قبل أن انهار

تونا كيرمتشي

ترجمة: عمرو السيد

2015

Twitter: @ketab_n

60 شارع القصر العيني - 11451 - القاهرة
ت:27921943 - 27954529 / فاكس:27947566
sherifbakr@yahoo.com
www.alarabipublishing.com.eg

ارحل قبل أن انهار
تونا كيرمتشي

ترجمة: عمرو السيد
تحرير: سليمان إبراهيم

الطبعة الأولى 2015
رقم الإيداع 2014/23770
الترقيم الدولي: 978-977-319-224-2

© جميع حقوق النشر محفوظة للناشر

© Tuna Kiremitci / KALEM

بطاقة فهرسة

كريمتشي ، تونا
ارحل قبل ان انهار / تونا كريمتشي ؛ ترجمها عمرو السيد.– اط ا . - القاهرة: العربي للنشر والتوزيع 2014
- ص؛ سم. تدمك 9789773192242
1- القصص التركية أ- السيد عمرو (مترجم)
ب- العنوان 894,353

Twitter: @ketab_n

تمت ترجمة هذا الكتاب بمساعدة صندوق منحة الترجمة
المقدمة من معرض الشارقة الدولي للكتاب

This book has been translated with the assistance of the Sharjah International Book Fair Translation Grant Fund

This book has been published with the support of the Ministry of Culture and Tourism of Republic of Turkey in the framework of TEDA Project

Twitter: @ketab_n

1

كنت في السابعة عشرة من عمري.

في هذه الأيام كانت غرفتي هي الغرفة الصغيرة، والتي لم تكن واسعة على الإطلاق حتى إنني لم يكن بإمكاني المشي فيها سوى بضع خطوات قليلة، فقطع الأثاث القديمة التي تم التخلص منها والتي لا ينبغي أن يراها الزائرون لم تجد لها مكانا إلا هنا بعد أن وصلت إلى سن التقاعد. يشاركني في غرفتي مثلا ذلك السرير الخشبي الذي جاء خلفنا من البيت الذي ولدت فيه، وخزانة ملابس ذات تصميم مبالغ فيه كنا قد اشتريناها في أيام اليسر، وخزانة كتب كانت تحمل في الماضي جهاز التلفزيون الأبيض والأسود الخاص بوالدي والذي كان له قيمة كبيرة لديه، وكانت تحمل في أرففها الآنية الفضية الخاصة بأمي والموسوعة البريطانية (Encyclopedia Britannica) كاملة في اثنين وعشرين مجلدا، لكنها الآن تقف في مساحة ضيقة للغاية كقطعة زينة مهملة. بجانبها كرسي قاتم اللون وهو الناجي الوحيد من أسرة ضمت ثلاثة كراسي تبددت جميعها. بالغرفة أيضا تلك الستائر ذات اللون الفستقي والتي كانت تتدلى

Twitter: @ketab_n

وهي مغترة بنفسها في غرفة المعيشة، لكنها أزيلت منها بعد أن أصبحت غير مواكبة للموضة.

يحمل كل من هذه الأشياء ملامح فترة معينة مرت بها أسرتي على الرغم من أنني لا أستطيع تذكر هذه الفترات. لقد جاءت محمولة إلى بيتنا في أوقات مختلفة، تحيطها آمال وهواجس متباينة، لابد وأنها تتحدث إلى بعضها في الظلام الذي يدوم داخل الغرفة طيلة اليوم، وتحاول أن تجمع الأجزاء المتناثرة كي تكمل قصة أسرتنا المتواضعة. كان "فريدي مركيوري" بتعبيرات وجهه الحزينة ينظر إلى قطع الأثاث هذه من الملصق المعلق على الحائط، بينما شعرت أنا أثناء مكوثي بينها بأن خيوطا قطنية لامعة قد ربطتني بأشياء أقدم مني بكثير.

كنت سعيدة في هذه الغرفة، حتى إنك لو سألت عني صديقاتي فلن تقول أي منهن إنني كنت "منطوية" أو "مكتئبة". فقد كنت أتزلج في الشارع وأجلس على الحائط الملاصق لجانب الرصيف بعد الظهر كي أتناول اللب مع الأطفال، وألعب الكرة الطائرة مع الأولاد، وأشتري الكوكايين مع الضائعين منهم. كنت ابنة عادية للغاية يسعد بها أي أب وأم. لكنني في بعض الأحيان وخاصة حين أكون وحيدة، فإنني أشعر بأن روحي أكبر مني بكثير. ربما يكون هذا طبيعيا جدا بالنسبة لشخص اعتاد أن ينسب معانيَ غريبة للأثاث والأشياء القديمة.

بالنسبة لي كانت هذه الغرفة الصغيرة هي قلب المنزل، بمعنى أن المنزل لو قرر أن يموت في يوم من الأيام، فلابد أنه سيموت بدءا من هنا، ولولا كل الأشياء التي تسبب فيها "فيرات" لما ذهبت إلى مدينة أخرى وما كنت أريتها لأشخاص آخرين.

كنت أبحث دائما أنا و"فيرات" عن أماكن غير واسعة يمكننا أن ننكمش فيها، لهذا ـ حين انتقلنا إلى هذه الشقة ـ كانت عينا "فيرات" مصوبتين على هذه الغرفة أيضا. لكنه لم يكن موجودا في المنزل حين أتى العمال ضخام الأجسام إلى منزلنا

Twitter: @ketab_n

القديم في صباح أحد الأيام وبدءوا في تغليف الأثاث ونقله؛ فقد كان ساعتها في مدرسة داخلية. لو أنه لم يكن غائبا لأصر بالطبع على أخذ هذه الغرفة.

في الصيف، حين عاد بعد تخرجه من المدرسة الثانوية، تقبل الهزيمة ببساطة كبيرة، كما لو أن شخصا آخر هو الذي اعتاد أن يهددني في مكالماته الهاتفية. أعددنا له الغرفة المطلة على الحديقة، الغرفة التي كنا جميعا نستخدمها وهو بعيد عن المنزل، والتي كانت أمي تستضيف فيها الضيوف وتقرأ لهم فيها الطالع المكتوب في أكواب القهوة التي شربوها، إنها الغرفة الكبيرة سهلة التدفئة التي تتمتع بخزائن ونوافذ عريضة، الغرفة التي كان أبي يجلس فيها بعد أن ينام الجميع كي يفكر فيما سيكتبه لابنه المغترب.

عندما بسط "فيرات" سيطرته عليها، علق على حائطها ملصقين رديئين، وصفّ مجموعة من الكتب على المكتب ذي الأدراج المنزلقة، كما غير مكان أثاث الغرفة الثقيل، ربما فعل هذا ليظهر قوته البدنية فحسب. في النهاية، اتجه نحو المكتب وفي يده قلم وجلس يحدق لوقت طويل في الحديقة النائمة أمام منزلنا.

Twitter: @ketab_n

2

في أغلب الوقت أنام في هذه الغرفة الصغيرة التي كانت يومًا غرفتي.

إنها متحفي. فقد حاربت شياطين مراهقتي في هذا المنزل، ولم تستطع أسرتي أن تقدم لي أي مساعدة في هذه الحرب. على حوائط المنزل وعلى الستائر المزقة والبالية وعلى قطع الأثاث المكومة فوق بعضها في ركن الغرفة توجد علامات لا يمكن لأحد غيري رؤيتها. أنا الوحيدة التي تعلم معاني هذه العلامات لأنني من وضعتها.

أقرأ هذا المنزل كل ليلة تحت الضوء الأحمر الباهت للمصباح كما لو أنني أقرأ مذكرات بنت في سن المراهقة. وعلى الرغم من أن ما تقوله هذه العلامات لا يضاهي رواية مثل "الجريمة والعقاب"، إلا أنها تبدو لي كصفحة تحوي كل المخاوف والاضطرابات التي شهدتها ثلاثة وعشرون عاما مضت، وتلك البدايات التي لم نعرف أنها حدثت سوى بعد سنوات. فكل جزء صغير في هذا الأثاث أو في أي شيء داخل هذه الحجرة، حتى وإن كان شقا صغيرا في الحائط أو ظل شجرة التوت التي تلامس زجاج النافذة، كل شيء هنا يذكرني بوعد وعدوني به أو بخطة تم التخلي عنها أو بمشكلات شبابي التي تقبض روحي من أعماقها.

Twitter: @ketab_n

عندما يكتب المرء مذكراته، فلا يجب عليه أن يقرأها إلا بعد سنوات طويلة من كتابتها. فالكلمات والأسطر التي كتبت منذ ثلاثة أيام يمكن أن توقع به في شعور عميق بالخجل من ذاته إن قرأها، بينما نفس الأسطر والكلمات ستصبح معجزات إذا ما تم قراءتها بعد ثلاثة وعشرين عاما. للكتابة دورة حياة خاصة بها. ولو سلمنا بأن الكتابة تولد بعد أن يغادرها سن القلم، فإن ثلاثة وعشرين عاما فترة كافية لنمو هذه الكلمات وتطورها حتى تصبح كيانا مستقلا عن كاتبها.

لابد وأن العشر سنوات الأولى هي الفترة التي تبدأ فيها الكتابة التعرف على ذاتها. تتعارف الحروف على بعضها وعلى الدفتر التي كتبت فيه. لابد أن الحروف بجميع أشكالها وأنواعها تتعارف وتتحدث مع بعضها أولا، ثم في العقد الثاني تنسى الشخص الذي كتبها، ثم تتخلص من مخاوفها حرفا بعد حرف، ثم تتخلص من أمراضها المزمنة والوراثية المعدية التي كان من الممكن أن تسبب لها مشكلات كبيرة مستقبلا، ثم لا يكون لها أي علاقة بالشخص الذي كتبها. ولأن الكاتب نفسه يكون قد تغير خلال هذه السنين فلابد وأنه سيشعر أنها ليست كتابته حين يعود إليها.

لهذا فمن الممتع دائما أن تقرأ عن آلامك حين تصير وكأنها آلام شخص آخر...

إلا أن الغرفة أقرب إلى المرء من دفتره. يمكن للمذكرات أن تقع في يدي الشخص الخطأ وبالتالي تتحول إلى سلاح يهددك، لهذافالغرفة أفضل بكثير. نحن فقط من نعرف كيف نفك شفرة غرفتنا، إذ لن يفهم أي شخص آخر شيئا واحدا فيها إلا بعد أن نقدم له التوضيحات اللازمة التي تصل الأمور ببعضها. فمن يمكنه أن يعرف أي الشقوق التي في الحائط سببها مسمار حديدي معين؟

حين يصل المرء إلى السابعة عشرة يشعر بداخله أنه بين أمرين، فقد اقترب من الرشد لكنه لم يغادر الطفولة كلية، وفي هذه السن يكتشف أنه لا يحتاج إلى سحر كي يحول غرفته إلى مذكرة.

Twitter: @ketab_n

وحين يدخل المرء إلى غرفته سيحس أنه أمام مدينة بأكملها وسيفكر لمدة دقيقتين، فيشعر مثلما كان يشعر وهو في السابعة عشرة من عمره. سيشعر بشجاعته وقوته وحماقته حين كان في هذه السن. لكن هل سيخلصه هذا من آلامه؟

ألا يمكن لهذا أن يحدث؟

Twitter: @ketab_n

3

- هل أنتِ مستيقظة؟

لا أعتبر نفسي مؤدبة للغاية لأنني لم أكن كذلك خاصة في هذه الليلة. بينما كنت أصارع حرارة الجو الريفي الجاف والناموس، دفع "فيرات" الباب صامتا وأدخل رأسه إلى داخل الغرفة. لم أرغب في الحديث، وإنما أردت أن أنام فقط. دخل بجسمه الهائل وجلس عند نهاية السرير بينما كنت أبحث عن كلمات أبعده بها عني.

- هل أزعجك؟

للأمانة لم أكن منزعجة. مددت يدي نحو الأباجورة المجاورة للسرير وأضأت نورها. أضاء مصباحها أدنى وجهه مما جعله يبدو أكثر حزنا. لم يشرع في الحديث وإنما أخذ ينظر إلى حوائط الغرفة كأنما يراها للمرة الأولى. لم يكن لدي الكثير من الفضول لمعرفة ما يريد أن يقوله غير أنني لم أرغب في أن أكون فظة معه. في الحقيقة شعرت بالفرحة لأنه جاء إلى غرفتي. كان صوته رتيبا وجمله طويلة وملتفة، أردت أن أشجعه على الحديث، لذا نهضت من الفراش.

قال دون أن يتوقف عن الحملقة في جدار الغرفة:

Twitter: @ketab_n

- أخشى أنني تسببت في حمل صديقتي.

كان أبي وأمي نائمين في الغرفة المجاورة. سعل أحدهما بصوت مرتفع.

- ماذا قلت؟
- أخبرتني .. هذا الشهر .. حسنا لقد قالت إن الطمث لم يأتِها. أخبرتني بهذا حين اتصلت بي وكانت خائفة للغاية.

لم أر هذه الفتاة من قبل، كنت أعرف فقط صوتها الذي سمعته قبل هذا على الهاتف. لم ينتبني أي فضول لمعرفة المزيد عنها. فالصوت الذي كان يتصل كل بضعة أيام ويتساءل "أين فيرات؟" لم يكن مثيرا للفضول على الإطلاق. حاولت أن أتذكر بعض الوجوه التي رأيتها في ألبوم الصور الخاص بـ"فيرات" لكنني لم أستطع، لابد وأنني لم أنتبه جيدا حين استعرضت الصور الموجودة به.

- أعتقد أنها خائفة للغاية. لقد كانت تبكي طيلة حديثنا على الهاتف. بالمناسبة أنت أول من يسمع هذا.

ما أدهشني حقا هو أنه بدا وحيدا للغاية. كان بإمكانه الاتصال ببعض أصدقائه من المدرسة الثانوية، فلابد وأن واحدا منهم أصبح صديقه المفضل. كان الموقف مربكا لي، لكنني حاولت أن أفكر وأن أقول جملة واحدة ذات معنى.

- وما الذي ستفعله؟
- لا أعرف. ليس لدي الكثير من الخيارات، أليس كذلك؟
- ما الذي تعنيه؟
- ينبغي أن نتخلص منه.
- تتخلص ممن؟ أين؟

Twitter: @ketab_n

أصابني ضيق كبير من تلك الثقة الكبيرة التي أولاها لي فجأة. سألت نفسي إن كان علي أن أخبره أنني قد أقع في نفس الموقف يوما ما. أنا متأكدة من أن هذا لن يحدث. لكن أحيانا ما يجد المرء نفسه حسن النية بشكل زائد ويوقعه هذا في المتاعب.

- وماذا بأيدينا؟

تحت ستار الليل وضعنا خطة لم تبد سيئة بالنسبة لنا. حيث اتفقنا على أن نخبر أسرتنا بأننا سنغادر المنزل لقضاء إجازة معا، وبالتالي سيعطوننا المال كي ننفق على هذه الرحلة. والمال الذي سنحصل عليه نحن الاثنان لقضاء أسبوعين سوف نستخدمه في حل هذه المشكلة، حيث سنسافر إلى إسطنبول لتنفيذ خطتنا.

عندما انتهينا من وضع الخطوط العريضة للخطة، قام "فيرات" وحملق في الشارع من خلال فرجة بين الستائر. تسرب ضوء أول النهار من زجاج النافذة فأعطى سطوعا غريبا وحزينا للغرفة. طلبت من "فيرات" أن يترك الستائر كما هي وتمنيت له نوما هادئا، كانت لدي رغبة كبيرة في النوم في هذه اللحظة.

استيقظت بعد الظهر، لم يكن هناك أي صوت، ناضلت للقيام واتصلت بفتاتين من صديقاتي لأخبرهن بأنني سأغادر المدينة لفترة. ذكرت اني على الفور بكل ما سأفوته على نفسي: عيد ميلاد "نسليهان" وتلك النزهة مع رفاق المدرسة وحفلة "باريش مانجو"...

اتصلت بـ"نسليهان" وتمنيت لها عيد ميلاد سعيدا مقدما. ثم سألتها إن كانت تحتاج إلى أي شيء من الساحل الجنوبي.

Twitter: @ketab_n

4

أنا هنا... أقرأ العلامات التي تركها الزمن في غرفتي. يمر بعض الوقت قبل أن يعترف المرء لنفسه أن المنزل الذي تربى فيه ليس مصدر كل شيء يحدث له في الحياة. لكن في النهاية سيأتي يوم تكون كل الخبرات التي مررنا بها قد شكلتنا وعجنت عجينتنا، عندها يمكن لنا أن نعود إلى الانسجام مع مثل هذا المنزل. عندها فقط ستتقبل ذلك الشعور بأن هذا المنزل ينزع عنك كل مرتبة أو شهادة تقدير منحتها لك الحياة، عندها فقط لن تتقهقر إلى الطفولة كلما خطوت بداخله. حيث سيمكنك أن تنتقي وتختار بعض الأشياء التي يمكنك استخدامها كدرع واق يحميك من بين البقايا والآثار التي تركها الزمن فيه.

درع من ذكريات الطفولة، من عطر لن ننساه ما حيينا، وأنابيب تَئِزّ وتطن في ظلام الليل، وبنات الجيران اللاتي كبرن وأصبحن سيدات كبيرات، وأولادهن الذين اتضح أنهم أصبحوا أطباء، وأصدقاء الجيران الذين ماتوا في أوج شبابهم، والكلمات التي قيلت وتلك التي لمتُقل.

الآن أنا سيدة، إلا أنني ضيفة في عالم الطفولة حيث قد مرت علي حياة كاملة. تنام أمي في الغرفة المجاورة ويمكنني سماع أنفاسها. أذكر الأربعين

Twitter: @ketab_n

عاما التي شهدتها من عمرها. أذكر كم كانت كسولة ومرتابة. أذكر أيضا تضحياتها التي يمكن أن تمزقك من داخلك وأذكر تلك الحروب التي كان عليها أن تخوضها مع عالمها الداخلي المرتبك. أعرف كل شيء حتى إنني أعرف السبب وراء كل نفس تنفّسته.

لقد مر الوقت وأصبحنا بعد منتصف الليل، ستقوم هي من فراشها سريعا، وستذهب إلى المطبخ الذي تقول عنه إنه مكتبها، وستجلس على الطاولة ذات القشرة الخشبية البالية، ستحاول أن تقرأ الماضي من خلال الأشياء القديمة التي في مطبخها الصغير الذي له نافذة على منور البيت. ربما ستقرر أن تتذكر مغامرة قامت بها في شبابها، ربما ستفعل كما أفعل وتجري خلف العمر الضائع من خلال قراءة الأشياء بينما ينتابها شعور بخوف جنوني من أن تتوقف أنفاسها وهي تجري بين هذه الذكريات.

ستتوقف عند حجرتي قبل أن تعود إلى الفراش مرة أخرى. لو لم أمثل أنا النوم، فستقول بعض العبارات التي ستبدو بلا معنى لأي شخص آخر:

"أليس الجو حارا للغاية عليك بالداخل؟"

أو

"فكرت في أنني يجب ان أنهض وأتناول بعض الشوربة".

ستعمل ماكينة فك الشفرة المثبتة بداخلي على مدى أربعين عاما وستترجم لي تلك العبارات إن كان هذا مناسبا لي بالطبع.

"لماذا لا تنهضين وتأتين كي تجلسي معي؟".

Twitter: @ketab_n

5

كان الباب الفاصل بين العربتين مفتوحا وكانت هناك جلبة كبيرة مما جعلني أستيقظ مشدوهة. نظرت إلى "فيرات" بجانب عيني، كانت سماعة الأذن الخاصة بي على أذنيه وكان يقرأ كتابا في سُمك قالب طوب.

شعرت بأن الجو حار داخل القطار الأزرق الذي يقطع المسافة من أنقرة إلى إسطنبول مرورا بمدينة "إسكيشهر". كانت أنوار العربة التي تزيد من حرارة الجو بشكل كبير مضاءة على الدوام لإحباط السرقات المحتملة، ومع كل هذا القدر من الضوء كان النوم صعبا للغاية. حتى حين كنت أتمكن من النوم، فقد كنت أستيقظ على الفور حين يحرك أحدهم الباب المنزلق كي يدخل إلى العربة أو يخرج منها لأننا كنا نجلس في الصف الأخير من المقاعد. كان السفر في هذه الظروف غير مريح للغاية، وفوق كل هذا فقد سرق "فيرات" سماعات الأذن عندما نمت، ولم يكن في نفسي لا الرغبة ولا القدرة على أن أطلب منه أن يعيدها إلي.

أيقظتني سيدة في منتصف عمرها حين اصطدم جانبها بي بينما كانت عائدة من دورة المياه هي وبنتاها. بينما تهادينَ ناحية مقاعدهن، شاهدتها وأنا مدهوشة من قدرتها على الحفاظ على توازنها بينما تناضل للسيطرة على

Twitter: @ketab_n

طفلتيها اللتين سببتا الكثير من الجلبة. كان شعرهما مضفرا بنفس الطريقة، وكان لهما عيون سوداء فضولية تنظر في كل اتجاه بدهشة. عندما وصلوا إلى مقاعدهن دون أن تقع أي مشكلة، انطلقت مني لسبب ما تنهيدة ارتياح.

لم يكن الوصول هنا أمرا صعبا. فعندما أعلنت أسرتنا عن رغبتها في توصيلنا إلى محطة الأتوبيس، رفض "فيرات" هذا بشدة، مما جعلهم يتراجعون إلى حد ما. وقد بينوا رد فعلهم هذا بأن جلسوا لمشاهدة التلفزيون لفترة من الوقت دون أن يتحدثوا إلينا. في الحقيقة لقد تفاجأ الجميع حين اكتشفوا أنني و"فيرات" يمكننا القيام بشيء مشترك في هذه الحياة. وقد حرك هذا مشاعرهم إلى حد ما. أخبرناهم أننا سنركب الأتوبيس إلى كاش وديدم وما حولهما. كما أخبرناهم بأننا لم نقم بحجز مكان نقيم فيه وبالتالي لم نعطهم رقم هاتف يتصلون بنا عليه. كان "فيرات" متوترا للغاية وكان هذا طبيعيا. أما أنا فقد كنت هادئة وهو ما كان غريبا جدا، في الحقيقة لقد كنت مبتهجة أيضا!

كنت في السابعة عشرة من عمري وكنت على وشك رؤية إسطنبول للمرة الأولى في حياتي.

جلست على الكرسي ونظرت أمامي. كانت السيدة وطفلاها على بعد سبعة أو ثمانية مقاعد أمامنا على الجانب الآخر من الممر. لاحظت أنهن لم يجلسن بعد، حيث كانت السيدة تناضل من أجل إجلاس الفتاتين بشكل يجعلهن جميعا يشعرن بالراحة. وعلى الرغم من أنهن أعطين ظهورهن لي إلا أنني تمكنت من متابعتها وهي ترتب الحقائب وعلب الكعك وألوان الشمع التي لابد وأنها تبعثرت على المقعدين.

لم يكن لدي شيء أفضل لأفعله، حاولت في البداية أن أتخيل نفسي في موقف الطفلتين. لسبب ما لم أجد هذا شيقا. ثم من مكان ما بداخلي، مكان غير مألوف وغامض بالنسبة لي، ظهرت في عقلي فكرة جعلتني أدهش حقا: سأضع نفسي في دور الأم.

Twitter: @ketab_n

جلست بلا حراك لفترة بعد أن تمكنت من تهدئة طفلتيها، وما إن تأكدت من أن المخلوقة المتشبثة بصدرها قد نامت، حتى تحركت ببطء شديد. فتحت حقيبتها بحركة متأنية وحريصة كي لا توقظها، وأخرجت علبة سجائر وولاعة، ثم بحرص مرة أخرى تحركت مثل رواد الفضاء على القمر وسحبت سيجارة من العلبة ووضعتها في فمها. رفعت الولاعة عاليا كي تبعدها عن شعر طفلتها الذي كان عند ذقنها، اشرأبت بعنقها وأشعلت سيجارتها. أخرجت أول نفس ورأسها مصوب للأعلى وموجه إلى سقف القطار الذي يهتز ويقعقع بأنواره الصفراء التي تركت مفتوحة طيلة الليل.

عندها فقط تذكرت فتاة "فيرات"، لم أكن قد رأيت وجهها بعد، وكانت هذه هي المرة الأولى التي تخطر على بالي منذ بدأت هذه الرحلة. هذا الصوت الضعيف غير المثير للفضول الذي كان ينساب من سماعة الهاتف.

استدرت ونظرت إلى "فيرات" الذي أصبح دائم الصمت، مشتت البال. كان يقرأ كتابا في هدوء بينما يستمع إلى الموسيقى كما لو أنه ليس ممثلا أساسيا في هذا الفيلم الذي أعيشه ويجعلني أشعر بالغثيان. كان مندمجا حتى إنه بدأ يضرب بيده على قدمه مع إيقاع الموسيقى. في هذه اللحظة انفتح الباب المنزلق فتسبب هذا في المزيد من الضوضاء. دخل ولدان يرتديان ملابس جري وعلى وجهيهما تكشيرتان. لم يعبأ بأن يغلقا الباب خلفهما وإنما مضيا في طريقهما داخل العربة بنفس التكشيرة. قمت حتى وصلت إلى مقبض الباب وأغلقته بكل ما أوتيت من قوة. ولأنني كنت أعاني للغاية من درجة الحرارة المرتفعة ومن اهتزاز القطار فقد استدرت ناحية "فيرات" وجذبت ذراعه.

قلت بصوت هامس: "أعطني هذه السماعات وأعطني شريط كوين أيضا كي أسمعه".

Twitter: @ketab_n

6

فُتح باب الغرفة التي أنام فيها بهدوء. لم أحرك رأسي. لكن كان بإمكاني رؤية ظل أمي وترددها على عتبة الغرفة. نظرت إلي في صمت. عرفتها من تلك الرائحة التي شممتها من تحت اللحاف القديم الملفوف حولي والذي يبلغ من العمر ألف عام، ومن خلال انعكاس ظلها على ورق الحائط المتشقق المقشر والمواجه لي. لم أتنفس تلك الأنفاس الطويلة التي عادة ما أستنشقها حين أمثل النوم.

ربما يكون هذا سمة أخرى من سمات النوم. حيث هو الوقت الذي لا نتنفس فيه، ذلك الوقت الذي ليس جيدا وليس سيئا والذي يصبح أكثر ألفة كلما زادت فترته. وقفت أمي عند الباب ملتزمة بهدوئها كما لو أنها لا تصدق أنني هنا، وأن هناك خمس ياردات فقط تفصل بيننا. الدولاب الذي كنت أحفظ فيه ملابسي في طفولتي، وخزانة الكتب التي ترقد فيها تلك الكتب التي اقتنيتها في شبابي، والمكنسة الكهربائية التي لم يستطع أحد أن يستعملها لسنوات طويلة، كل هذه الأشياء كانت تقف في حيز الخمس ياردات التي بيننا. كان بإمكان خطوة بسيطة منها أن تمحو هذه المسافة وكان بإمكان هذه الخطوة نفسها أن تجعلني أقوم من الفراش.

Twitter: @ketab_n

في بعض الأحيان يقترب آخرون مني. فأنا أرى زوجي الذي تركته في إسطنبول، يرتدي سترة زرقاء زاهية كما لو أنه لم يخلعها منذ أن تركته. يظهر "إيمرا" عند الباب وأشعر كما لو أننا ننظر إلى بعضنا بجدية وكما لو أننا على وشك مناقشة أمور هامة.

شعرت بالنور الذي يتحرك خلف كتفي.

يبدو وجه "إيمرا" في هذا الضوء كوجه "فيرات"، يحيطه الضوء الذي ينساب إلى الغرفة من النافذة للحظة، لكن بدون أن يعطيه أي ظلال، يغلف جسده ويطارد كل الظلال التي تصادف وجودها في المكان واحدا تلو الآخر.

ابني ذو السبع سنوات يقف الآن مغمورا بهذا الضوء الذي يعادل توهجه توهج ألف شمعة والذي على الرغم من سطوعه وقوته لا يحرق لحم البشر...

بعد لحظات أدرك أنني لم أعد أرى والده، وهنا يخفت النور بعض الشيء وتعود الظلال ببطء فترتمي في البداية على الملابس المتبعثرة في الغرفة ثم على وجه ابني الذي يذكرني بوجه عمه.

لا أرى وجه زوجي الآن. فأنا و"إيمرا" وحدنا، يقترب مني فأرى الخط الأحمر ليصل بين جانب شفتيه وعنقه.

- كنت أتأكد من أن نوافذ غرفتك مقفلة. الجو بارد للغاية الليلة...

لا تنتظر أمي أي إجابة مني. تتأكد من إقفال النافذة وتغلق الستائر وتعدلها. ومع تلك الحركة التي جلبتها معها إلى الغرفة أتحول أنا من حالة نصف النوم التي انسحبت إليها دون أن أعرف إلى الاستيقاظ.

- ماذا حدث يا أمي؟ لم تستطيعي أن تنامي؟
- أنا مؤرقة مرة أخرى. إذا ما نمت حتى الظهر فهذا هو ما يحدث لك؛ تستيقظين في منتصف الليل كشبح.

Twitter: @ketab_n

- هل يوجد شاي؟
- لدي بعض الشاي من البارحة. توجد أيضا قهوة لو أردتِ.
- حسنا يا أمي، لنشرب بعض القهوة...
- لا تنهضي من الفراش من أجلي. عودي إلى النوم.
- افتحي غلاية القهوة فحسب. سنجلس سويا لفترة قصيرة ثم نعود إلى الفراش.

أنظر إلى وجهي في مرآة الحمام. لا توجد علامة واحدة أو إشارة تركتها السنوات الماضية عليه كما أنني لم أجد أي علامة كبر كما توقعت أن أرى. هذا ليس وجه امرأة مرت بالكثير من المحن. في أوجه الناس الذين مروا بالألم يمكن للمرء أن يقرأ الكثير من الرسائل. مثل تلك الأوجه التي تراها في التلفزيون لأشخاص تحترق منازلهم خلفهم ويهربون. فالمزارع الذي عُذب ابنه واغتيل بدم بارد لا يمكنه أن ينظر إلى مذيع التلفزيون كما ينظر الناس العاديون. تغزونا أحيانا مشاعر تأنيب الذات تجاه هؤلاء لأننا لا نستطيع أن نساعدهم وبالتالي فنحن نربط بين هذه المشاعر وهذه الوجوه. نقول في أعماقنا: نحن لا نستطيع أن نفعل أي شيء لك، دعنا على الأقل ننحني في تواضع أمام نظراتك المحملقة.

لكن هل يمكن لشخص يشعر بالذنب تجاهي وبالمسئولية عن ألمي أن يلمح الحكمة في تعبيرات وجهي؟ من عساه يكون هذا الشخص؟ زوجي الذي يمر بحالة أسوأ من حالتي؟ السائق الفقير الذي يقود أتوبيس المدرسة؟ من عساه يكون؟

من غرفة المعيشة أمكنني سماع صوت التلفزيون الذي كان يعرض فيلما تركيا قديما. تناديني أمي من هناك وتخبرني بأن قهوتي جاهزة.

Twitter: @ketab_n

7

كان الفجر قد نسج أول خيوطه حين دخلنا إلى كافيتيريا القطار، لم أنم طيلة الليل. كنت مرهقة وكانت كل الطاولات خالية. لابد وأن المسافرين الآخرين نائمون، أو هكذا اعتقدت. حيانا النادلون بوجوه حزينة إذ إننا بالنسبة لهم كنا دليلا على بداية يوم طويل ومتعب. وعلى الرغم من أن الوقت كان مبكرا جدا إلا أننا جلسنا على طاولة نظيفة وأنيقة. لم يكن الشاي جاهزا بعد وكان بإمكاننا تناول القهوة إن أردنا. الإفطار كان معدا أيضا. لم أعتد على تناول الإفطار في هذا الوقت لكنني كنت أشعر بوخز الجوع في معدتي. عادة ما أستيقظ متأخرة جدا في أيام الإجازة. معدتي المسكينة.. كيف هي الآن؟

بينما كنا ننتظر تقديم الطعام، نظرنا إلى النافذة في صمت. كانت النباتات التي على جانب شريط القطار قد تغيرت بشكل ملحوظ. ولأنني قد تربيت في شبه جزيرة الأناضول فقد كنت أترقب ملاحظة علامات تبين أننا اقتربنا من البحر. هب نسيم بارد من خلال نافذة نصف مفتوحة على مسافة طاولتين من الطاولة التي كنا نجلس عليها. لكن ما الاستفادة التي ستعود علي من البحر في هذا الصباح البارد؟ ربما سأستمتع برائحة الملح والطحالب البحرية التي

Twitter: @ketab_n

يتحدث عنها الناس دائما. أخذت نفسا عميقا من نسيم الصباح البارد، ثم نَفَسًا آخر وآخر باحثة عن رائحة البحر.

كان طعام الإفطار بسيطا ونظيفا وصحيا. التهمناه بسرعة وما إن انتهينا منه حتى بدأت العربة تمتلئ بالمسافرين. جلست مجموعة مكونة من خمسة أولاد وبنات على الطاولة المجاورة لنا. اشتكى أحد الأولاد من حرارة الجو طيلة الليل، ثم حكى هذا للنادل.

بطريقة أو بأخرى مرت ليلتنا، وجاء الصباح وأثارت السماء المنيرة والطريق من حولنا حماس المسافرين المرهقين. ثم فجأة جاء صوت رجالي من المطبخ معلنا أن الشاي جاهز.

بعد أن انتهينا من الإفطار وشربنا كوبين من الشاي اتكأنا للخلف على مقاعدنا. لقد حان الوقت لنتكلم عن أمر أو أمرين يتعلقان بالأيام القادمة. أصبحت ملامح "فيرات" جادة وكأنما قرأ ما يدور بذهني. خلع نظارته وشرع في تنظيفها بمنديل المائدة الذي عليه علامة هيئة السكك الحديدية. أنصت له باهتمام كبير:

- سنصل إلى هناك خلال ساعة على الأكثر. يمكنك أن تأخذي قسطا من الراحة في بيت "إريتجرول".
- ألن يأتي أحد لاستقبالنا؟
- من؟ إريتجرول؟
- لا يا "فيرات"، فتاتك.
- تقصدين "إسرا"؟
- لابد وأنها تعلم أننا قادمان، أليس كذلك؟
- بَلَى بالطبع.
- جيد. لابد وأنك تناقشت معها فيما ستفعلانه.

Twitter: @ketab_n

- في الواقع، نعم لقد تناقشنا.
- دعنا أولا ننهي المهام غير السارة في هذه الرحلة، فإذا أنجزناها فسنشعر بارتياح كبير ثم يمكننا بعد ذلك أن نتجول معا.
- بالتأكيد...
- هل معك رقم هاتف الطبيب؟
- ماذا؟
- كنت أسألك عن هاتف الطبيب، قل لي إنك لم تنسه
- لا يا عزيزتي، لم أنسه.

كان الرجال في بيتنا يستخدمون كلمة "عزيزتي" في ظروف خاصة للغاية، عندما يكونون متوترين ولا يرغبون في أن يظهروا هذا أو عندما يحاولون إخفاء شيء هام. ملت ناحيته ونظرت إلى وجهه، فابتسم وحاول ألا يبعد وجهه عن عيني المحملقتين فيه. في الحقيقة كانت ابتسامته لطيفة، لكن وجهه الطويل الحاد كان يفضح سره وبالتالي لم تسعفه هذه الابتسامة بأي حال.

- هل هناك مشكلة ما يا "فيرات"؟
- في الحقيقة، أفضل أن ننتقل إلى موضوع آخر.
- فِيمَ تريد أن تتحدث؟
- "إسرا" لم تعرف بعد أنك قادمة معي إلى إسطنبول.
- جيد، ثم ماذا؟ سيكون مقدمي مفاجأة لها.
- أخشى أن الأمر لن يكون كذلك.
- ماذا تقصد؟
- إنها لا تريد أن يعرف أي شخص عن هذه المسألة. وإن عرفت أنك تعرفين فسوف تهتز ثقتها في كثيرا.

Twitter: @ketab_n

- تهتز؟
- من فضلك لا تنظري إلي هكذا، أعتقد أنه سيكون من الأفضل ألا تلتقيا على الفور.

كنت في القطار مع "فيرات"، وكانت لدينا خطة، لكن قبل أن نصل إلى إسطنبول عرفت أنني في هذه الرحلة مجرد حقيبة. كان أول ما خطر ببالي هو العودة على نفس القطار أو أن أقفز في أتوبيس وأذهب إلى الجنوب للتمتع برحلة على البحر.

لم نتحدث إلى بعضنا بقية الطريق. لم يخطر ببالي أي شيء أقوله له. أعتقد أن عقلي كان بطيئا بعض الشيء. يمكن للمرء بعد هذ أن يجد الكثير من الكلمات المدهشة التي تؤلم وتجرح بقوة، كلمات مشتعلة بالغضب والنقمة.

وعلى الرغم من أنني كنت أحتاج إلى هذه الكلمات بقوة، إلا أن أيا منها لم يخطر على بالي. في الحقيقة، ما كنت أفتقد إليه هو الشجاعة، فحتى لو أنني وجدت كلمات مؤلمة ومصوبة بدقة فلن أستطيع النطق بها.

للحظة تمنيت ألا تنتهي رحلة القطار أبدا، فالأمور جيدة هكذا. وأنا أفضل أن أنصهر في حرارة القطار هذه لمائة ليلة على أن أصبح جزءا من خطة لا أعرفها. سأتناول إفطاري في الكافيتيريا وسأتودد للنادلين والعاملين بالقطار، وأقضي ما تبقى من حياتي هنا كي ألعب دور شحاذة حمقاء. هذا أفضل من أن أعيش مع هذ الخبل الذي أصاب "فيرات".

على جانبي القطار، مرت مصانع كبيرة وصغيرة ومناطق صناعية بلون الأرض. كانت هذه علامة على أننا اقتربنا من إسطنبول. في طريق العودة إلى مقاعدنا مررنا بالفتاتين وأمهما. كن نائمات وقد احتضن بعضهن فأصبحن كرة قش كبيرة، لكنها كرة مصنوعة من الشعر والملابس.

Twitter: @ketab_n

ما الذي كنت آمل أن يحدث؟ وما الذي وجدته؟ هل كنت أعرف "فيرات" جيدا؟ عقلي، الذي لم يكن يعمل بشكل جيد، انخرط في هذه الأفكار مما زادني حيرة. نظرت إليه من جانب عيني، كان قد أراح رأسه على النافذة، ولصق وجهه بالنجوم والهلال المنعكسين على زجاجها. نظر إلى الأمام بعينين عازمتين. بدا كما لو أنه أراد أن يرى إسطنبول. وكان على وجهه تعبير لم أستطع أن أفهمه على الفور. تعبير بدا كما لو أنه من أثر الألم أو المعاناة أو الاكتئاب، لكنه بدا في الوقت ذاته كأنه لا يمت بصلة إلى أي من هذه الأشياء.

لا لم أعرفه جيداً. وهو لم يعرفني جيدا بكل تأكيد. أدى ثقل وقوة هذه الأفكار إلى التخفيف من حدة تلك المشاعر التي كنت أشعر بها في عربة الكافيتيريا حتى جعلها تبدو صغيرة وغير هامة.

لم أرغب في الوصول إلى إسطنبول. ولم أرغب في العودة إلى البيت أيضا. أخذت نفسين عميقين، ووضعت سماعات الأذن على أذني وأغلقت عيني. استمعت لواحدة من أغاني "كوين" القديمة وكانت تقول: "يا حب حياتي، كم تؤلمني!".

Twitter: @ketab_n

8

خفضت أمي صوت التلفاز بحرص كبير، إذ لا ينبغي أن نزعج الجيران لكن في الوقت نفسه ينبغي أن يكون صوت التلفاز عاليا بما يكفي لنسمعه. كان هناك وقت طويل يفصلنا عن الصباح.

تذوقت القهوة التي صنعتها بحماس غير متوقع والتي كانت رغوتها كثيرة وسكرها معتدلا. لقد صنعتها كي تجعلني أشعر أن قيامي من الفراش في هذه الساعة له قيمة. أخذت كوبي وجلست على الكنبة بالقرب من التلفزيون وأمام النافذة مباشرة. فتحت الستائر ونظرت إلى الشارع الذي كان ساكنا للغاية. لم يكن بداخلي أي حنين للماضي أو شوق لأحداثه. كان كل شيء طبيعيا وكما ينبغي أن يكون.

عرض التلفزيون فيلم "انتقام ثعبان" Yılanların Öcü، لكن هذه كانت نسخة سيئة ومليئة بالخدوش والأجزاء المقتطعة. كما أن الصوت كان يختفي بين الحين والآخر. كنا نحب هذا الفيلم على الرغم من كل شيء. فقد كان "فكريت هاكان" أجمل وجه لممثل في الأفلام كلها، أتحدث مع أمي لمدة طويلة عمن كانت تلعب في النسخة الجديدة من الفيلم دور الممثلة "أيلي رونا" في

Twitter: @ketab_n

النسخة الأولى. مر بعض الوقت وتظاهرنا أننا لا نذكرها ، ربما لأننا تذكرنا وجه "فاطمة جيريك" المسن والمليء بمواد الزينة والغضب.

- كانت فاطمة جيدة للغاية أيضا، لكن الفيلم الأول كان أفضل.
- هل يعرضون أفلامًا مثل هذا كل يوم في هذه الساعة؟
- نعم، يعرضونها لأمثالي من أشباح الليل. لكن لن يكون في كل ليلة فيلم جيد.
- من أين يمكنهم أن يأتوا بفيلم جيد لكل ليلة على أي حال؟
- أنا أحب أفلام "فاهي أوز" أيضا. إنه يجبرني على الضحك.
- في هذه الساعة؟
- نعم، أقوم وأشاهد الأفلام في هذه الساعة دائما.

كان هذا طقسا نقوم به، طقسًا ينطوي على تحد لإرادتنا، بينما نحاول أن ندفع الوقت إلى المرور بسرعة. كلما عدت إلى "إسكيشهر" جلست مع أمي وشاهدنا التلفزيون لساعات وساعات. ما نشاهده لا يهم على الإطلاق، فالمهم هو أننا نقوم بفعل شيء مع بعضنا. يمكننا أن نفعل أشياء أخرى أكثر فائدة بالطبع، على سبيل المثال يمكننا القيام بطلاء المنزل، أو الذهاب للتمشية في المساء، أو يمكننا أن نعمل في الحديقة التي أهملناها فنزيل العشب الضار منها، لكننا على الرغم من قدرتنا على القيام بكل هذا إلا أننا كنا كسولتين للغاية. كنا نعرف جيدا أنني ـ إن آجلا أم عاجلا ـ سأنهض على قدمي مرة أخرى، وستلتئم جروحي تاركة بعض الندب، وأنه مهما كان حجم الانهيار بداخلي فسوف أقف مترنحة وأحاول أن أعيد نفسي إلى قوتها وأعيدها إلى الحياة بعد تنظيفها من الأتربة التي علقت بها بعد هذه الكبوة. تعرف أمي هذا أكثر مني، وقد كانت مشاهدة التلفزيون أفضل شيء نفعله، فهكذا لن يتوجب علي أن أعطي وعودا. كنا متعلقتين بهذه الأفلام لأنها ظلت كما هي دون تغير بينما الحياة تجري مثل الماء وتنسال. مهما حدث لنا فستظل "فيكريت" جميلة وممشوقة القوام، وستجلس "ألي" دائما على سطح منزلها بعصا في يدها وهي تلعن أعداءها.

Twitter: @ketab_n

9

عندما نزلنا من القطار، كان بانتظارنا هواء ثقيل ورطب. كنت قد استطعت أن أهدأ قليلا وأنام في النصف ساعة الأخيرة من رحلة القطار. لكنني كنت حائرة للغاية بسبب تلك الأحلام التي لا حصر لها والتي باغتتني أثناء نومي. في واحد من هذه الأحلام، كنت في غرفة المعيشة في بيتنا في "إسكيشهر" وكنت أحاول أن أفرغ حقيبة كبيرة مليئة بالملابس. لكنني لم أستطع إفراغها، فكلما أخذت قطعة ملابس منها حلت قطعة ملابس أخرى لم أرها من قبل محل الأولى. بعدما بذلت مجهودا كبيرا، شعرت بأنني مرهقة ولا حيلة لي حتى إنني ألقيت بنفسي فوق الحقيبة وبكيت.

سحبنا حقائبنا ومشينا ناحية إحدى بوابات الخروج بمحطة قطارات حيدر باشا. لم تكن مثل بوابات الخروج التي نراها في الأفلام والتي يقف أمامها القادمون إلى المدينة للمرة الأولى ويطيلون النظر من خلالها إلى المدينة. كان لها سلم يقود إلى موقف التاكسي ومحال تجارية على الجانبين. توقفت بعد أن هبطت درجتين. نظرت إلى الأمام ورأيت مرسى للقوارب حافته كانت عند حافة شبه الجزيرة التي وصلنا إليها. كانت النوارس تهبط نحو مياه البحر ثم تطير مرة أخرى ولم تكن المدينة مزدحمة بالقدر الذي كنت أتوقعه.

Twitter: @ketab_n

حاولت أن أستعد جيدا لذلك اللقاء الأول في إسطنبول. كنت أعرف أن هذه المدينة ستنقض علي من اليوم الأول بأبراجها وقصورها ومناراتها، وأنها لن تهدأ حتى تترك في نفسي انطباعا، وحتى تتمكن من أن تحول السبعة عشر عاما التي عشتها في الحياة إلى شريط مسح بغير قصد، وقبل أن تحول المدينة التي ولدت ونشأت فيها إلى مركز ريفي صغير.

لهذا فقد كنت أعي أنني ينبغي أن أقاوم إسطنبول بكل قوتي وبكل الثنايا والتجاعيد التي تغلف مخي الذي لم يعد ملكا لي، وبأظافري وأسناني. حيث كنت أعرف جيدا ما الذي سيحدث لي لو لم أفعل هذا، وأعرف هذه البلاد جيدا، فقد أمضيت فيها سبعة عشر عاما على الرغم من كل شيء.

- المرسى الذي تنظرين إليه هو مرسى كاديكي، حيث تنطلق القوارب منه إلى كاراكوي وبيشيتاش.
- وأي قارب تأخذه أنت؟
- بالنسبة لهذه المرة دعينا نسرف قليلا، سنأخذ تاكسي؛ فالحركة بالحقائب ستكون صعبة للغاية إن أخذنا أيا من هذه القوارب.

ترك "فيرات" حقيبته عند قدمي ومشى ناحية إحدى السيارات الأجرة. على الفور لاحظه سائق كان يقرأ صحيفة وهو متكئ على مقدمة سيارته. قام "فيرات" بإرسال إشارة له بأن مد ذراعه وأشار بكف يده إلى اليسار. رد عليه السائق بعمل دوامات في الهواء بيده التي رفعها للأعلى. بينما فتح السائق حقيبة سيارته، جاء "فيرات" نحوي وأمسك بحقيبتيه من مقبضيهما.

حاولت جاهدة أن أبقي عيني مفتوحتين وأنا في التاكسي. لقد أرهقتني الرحلة وبدأ هذا الإرهاق يضرب جسدي كأنما يقذفه بطن من الحجارة. بدأت أنسحب إلى النوم، ثم بعد فترة وجيزة، بينما كنا نعبر داخل شارع عريض، رأيت يدا تعطيني زجاجة صغيرة من الكولونيا. وجدت نفسي أحملق فيه من خلال المرآة الخلفية.

Twitter: @ketab_n

- هيا يا أختي الصغيرة، خذي هذا، سيشعرك بتحسن.

كانت زجاجة كولونيا من نوع هاز أرماغان والتي يشكل الكحول 80 بالمائة من محتواها. مسحت بها على رسغي وعنقي، ثم شكرته وأعدت الزجاجة إليه. لم يكن المرور بطيئا، على الرغم من أن الشوارع أصبحت أكثر ازدحامًا عند الساحل. بدا "فيرات" أكثر انتباها ويقظة مني. تبادل المزاح مع السائق الذي أخبره أن أفضل ما يفعله هو أن يشتري سيارة خنفساء مصنوعة في البرازيل، وأن يحولها إلى سيارة مكشوفة في إحدى الورش بمدينة بورصة. عرفت من حديثهما أن أمطارا غزيرة هطلت على إسطنبول في الأسبوع الماضي. لابد وأن هذا هو السبب في رطوبة الهواء وثقله.

تركنا الطريق الرئيسي الذي كنا عليه منذ أن مررنا بكاديكي. وأخذنا شارعا جانبيا تصطف عليه مبان بارتفاع ثلاثة إلى أربعة طوابق. لطفت الأشجار الموجودة على جانبي الطريق من حرارة الجو وغطت بظلها بلكونات المباني. وكان السائق يحاول قراءة اللافتات الإرشادية عند كل تقاطع.

بعد أن مررنا بالكثير من الشوارع المتشابهة، وقفنا أمام كبائن الهاتف، نظرت حولي بينما كان السائق يعد نقوده كي يعطينا الباقي. وقف متجر صغير على ناصية الشارع وبجواره محل حلويات وأمامهما كابينتا هاتف إحداهما معطلة فيما يبدو. لم يطابق هذا الشارع أي تصور جال بخاطري عن إسطنبول من قبل، لكنه كان مكانا لطيفا على أي حال، يمكن للمرء أن يعيش فيه بعد سن معينة.

- هل وصلنا؟
- وصلنا تقريبا. علينا أن نقوم بعمل مكالمة هاتفية.
- هل أمامنا الكثير حتى نصل؟
- المكان على بعد خمسين مترا تقريبا. لقد نزلنا هنا كي نقوم بهذه المكالمة.

Twitter: @ketab_n

بينما تحدث في الهاتف، ذهبت أنا للمتجر واشتريت زجاجة مياه معدنية وجريدة. ثم رأيت "فيرات" وقد بدا عليه الضيق بينما كان ينظر إلى الاتجاه الذي ينبغي علينا السير فيه. كان يقلب عملة معدنية في يده بتوتر شديد.

- "إريتجرول" ليس بالمنزل.
- ما الذي سنفعله إذا؟
- سننتظر هنا، ربما ذهب إلى محل بقالة أو شيء ما.

أشرت إلى المتجر الذي كنا نقف أمامه. قلت:

- محل البقالة هنا.
- ربما هناك بقالة أخرى في الطرف الآخر من الشارع. إنه يعرف موعد وصولنا. دعينا ننتظر.

وضعنا الحقائب فوق بعضها وجلسنا فوق سور صغير على جانب الرصيف، أعطيت لـ"فيرات" زجاجة الماء. أخذها وشرب نصفها تقريبا في جرعتين. ثم شطف وجهه وبلل شعره.

كان هذا الشارع هادئا وصامتا للغاية. لم يقطع هذا الصمت سوى قطار العمال وجرس يقرع بين الحصص في مدرسة لا نراها على الرغم من أنها قريبة، وكان الجرس عبارة عن المعزوفة التاسعة الحزينة لـ"بيتهوفن". في الطريق الذي يتقاطع مع الشارع الذي جلسنا فيه، قفزت ثلاث بنات صغيرات على الحبال بينما هن في طريقهن إلى شريط القطار. رأيت أيضا رجلا وامرأة عائدين من تمشيتهما الصباحية وأمهات أخذن أبناءَهن إلى الخارج ورحن يدفعنهم على عربات، وسيدات يلبسن أغطية للرأس ويرتدين ملابس فقيرة، هن على الأغلب عاملات نظافة.

اقتسمنا صفحات الجريدة التي كنت قد اشتريتها من المتجر. جلسنا على صفحات باب الاقتصاد الذي لم يكن يهمنا كثيرا. أخذت أنا الصفحة الأولى

Twitter: @ketab_n

والأخيرة. بينما أخذ أخي الصفحات الوسطى، وبالتالي فقد أخذ لنفسه صفحات باب الفن والتلفزيون، لكنني لم أصر على أن آخذها لنفسي. قرأنا في صمت لفترة.

- هل تناقشت مع "إسرا" حول موعد اللقاء؟
- سأهاتفها عند الظهيرة. لقد قالت لي إنها ذاهبة للمكوث عند صديقة لها.
- صديقة؟
- نعم، صديقة من أيام الطفولة. وقد دعتها للمكوث معها.
- وأين تعيش؟
- صديقتها؟
- لا .. "إيسرا".
- في الناحية الأخرى. في نيشانتاشي. لماذا تسألين؟
- لا شيء .. مجرد سؤال.

مرت لحظات من الصمت. ومر تاجر خردة جوال أمامنا دافعا عربته. كان يبيع أجهزة المطبخ المستعملة وأطرا للصور ومعاطف شتاء.

- ما الذي ينبغي علي أن أفعله حتى المساء إذا؟
- لديك ما يكفي من المال. يمكنك أن تتجولي في المدينة بعد أن ترتاحي قليلا في بيت "إريتجرول".
- إلى أين أذهب يا "فيرات"؟ لا أعرف أي مكان هنا!
- كاديكي ليست بعيدة عن هنا. سأعطيك إرشادات. من المفترض أن يكون مودا لطيفا جدا في هذا الوقت من السنة.
- وهل مودا قريب من كاديكي؟

Twitter: @ketab_n

- قريب للغاية. ويمكنك أن تذهبي إليه من خلال سؤال المارة.
- وماذا لو ضللت الطريق؟

كنت على وشك الانفجار لكنني احتويت نفسي حيث لم أرغب في أن تبدو تصرفاتي طفولية. غير أنني -وعلى النقيض من بقية أفراد عائلتي- لدي حس جيد بالاتجاهات. لم أنس شارعًا مررت به من قبل. عندما كنت صغيرة تهت عن أمي في السوق. وقد عدت إلى المنزل بمفردي معتمدة على نفسي في هذه السن الصغيرة وهو ما تعتبره أسرتي أسطورة بحق.

- كم مر من الوقت حتى الآن؟

نظرت إلى ساعتي ثم رددت:

- ثماني عشرة دقيقة. اتصل ثانية إن أردت.

وضع فيرات صفحات الجريدة جانبا... لم يكن يقرأها على أي حال. نهض ومشى بضع خطوات ناحية كابينة الهاتف. ثم استدار ونظر إلي. كانت الشمس قد وجدت لها ممرا ضيقًا تنفذ من خلاله بين المباني السكنية التي تقف خلفه. أغمضت عيني قليلا ثم نظرت نحوه. ابتسم، ثم اقترب دون أن يحول عينيه المحدقتين في ثم جلس بجواري. كان صوته متعبا وناعما.

- كما قلت من الأفضل ألا تراك في الأيام القليلة الأولى. بعد أن ننتهي من تلك المشكلة، ستتقابلان، بطريقة ما...

نهض دون أن ينتظر مني ردا ثم اتجه نحو كابينة الهاتف وهو يتمايل بينما يدفع جسده الضخم.

Twitter: @ketab_n

10

ضغطت الزر الأحمر الذي في الأعلى فاسودت الشاشة بسرعة. يدهشني أن تلك الصور الظريفة التي تجبرنا على متابعتها لساعات تستجيب وتنصرف عنا بمجرد هذه الضغطة الهينة. عندما كنت في إسطنبول لم أشاهد التلفزيون كثيرا. إنه يحتل الوقت بشكل كبير. وإذا ما أتقنت فن التنقل بين القنوات واختيار البرامج فسوف أقضي يومي بالكامل أمامه.

كان الصباح يقترب بخطوات هادئة. بدأت العصافير تغرد مع رؤيتها لأول خيوط النهار قادمة من الشرق. أحسست بأن شيئا ما يبدأ. فعندما ينقشع الظلام، أشعر أن شيئا ما لم يحدث من قبل قد بدأ، شيئًا تنتظره كل الكائنات الحية باشتياق، شيئًا عانينا من غيابه لفترة طويلة... معجزة.

نظرت إلى غرفة المعيشة. وأطفأت أغلب أنوارها بعدما ذهبت أمي لفراشها. تركت المصباح الكريستالي الوحيد والموضوع فوق البوفيه ذي المرايا مضاء. على المنضدة الواقفة بين كنبتين وكرسي أمي يوجد فنجانا قهوة. قرأت أمي أحدهما ولم تقرأ الآخر. المنفضة مليئة بأعقاب السجائر التي دخنت الواحدة تلو

Twitter: @ketab_n

الأخرى. وأشعة النور التي أتت من المصباح الوحيد المضاء ترقص على بقايا الدخان الكثيف الذي لابد وأنه أحاطنا حين كنا جالستين معا.

أمشي بتكاسل وأفتح النافذة. ضرب هواء الصيف الصباحي النقي وجهي. كان هواء باردا إلى حد ما. لم أمانع في أن أرتعش قليلا فأنا كنت أريد أن أنظر إلى الشارع. توقف القط الأصفر الذي يتجول في الحديقة حتى بدا كما لو أنه مات حين رآني. نظرت عيناه اللامعتان في ضوء الشفق نحوي بانتباه كامل. إنه معتاد على رؤية أمي، أما أنا فهو لا يعلم إن كنت علامة أمل أم خطر يهدده. تقول أمي إن هناك عددًا لا يحصى من القطط الصفراء في الجوار. إنها تدخل عبر النوافذ المفتوحة بحثا عن الطعام.

- هل تريد أن تفطر؟ انتظرني مكانك فحسب...

رد علي بمواء قصير متعب كأنه يقول "أخيراً!". جريت إلى المطبخ فلم أجد لبنا. غير أنني تذكرت أننا رمينا ما تبقى من الإسباجيتي. لم يعد لدينا سوى الفول الأخضر. هل تأكل القطط الفول الأخضر؟ إن هذا قط شوارع ذكي، لابد وأنه لم يجد الكثير من الفرص وبالتالي لن يصعب إرضاؤه. وضعت ما يكفي من الفول الأخضر على طبق وعدت إلى النافذة. لكنه لم يكن هناك. ربما لم يكن جائعا للغاية رغم كل شيء. ربما ابتلع حشرة عملاقة في الحديقة وجرى بها.

أرتب المكان بعينين مؤرقتين. لم يكن علي فعل الكثير من الأشياء على أي حال، فقط كان على أن أفرغ منفضة السجائر وأضع الطاولة الصغيرة التي وضعنا عليها قهوتنا في مكانها، وإعادة الأكواب والفناجين إلى المطبخ ثم غسلها إن لم أشعر بكثير من الكسل.

نظرت داخل الفناجين قبل أن أفتح مياه الصنبور. كانت حبات القهوة قد اتخذت أشكالا متعددة. منذ وقوع الحادث وأمي تحرص للغاية على كلامها عندما تقرأ لي حظي داخل فنجاني. تحاول ألا تقول أي شيء له علاقة بهذا

Twitter: @ketab_n

الحادث. لكن أثناء محاولة ذلك أجدها تبالغ كثيرا حتى إن أغلب ما يمكن أن يقال أثناء قراءة حظي تسقطه ولا تبقى سوى بعض الأشياء العامة التي يمكن أن تنطبق على جميع الأشخاص.

كان في جوف الفنجان الذي أمسكته بيدي فوق الحوض أكثر بكثير من هذا. ففيه يمكنني أن أرى شعر "إيمرا" الموج الذي يشبه شعر أبيه. وفيه يمكنني أن أرى ذراعي تحتضناه، وبجانب رأسه المجعد هناك شخصان يقفان إلى جانب بعضهما. إنهما أبوه وعمه. يمكنني أن أرى كل هذا بوضوح.

تندفع المياه الخارجة من الصنبور إلى داخل الفنجان وتزيل كل شيء.

وأنا أغلق النافذة، نظرت إلى الطبق الذي وضعته في الخارج، لم يأخذه أحد بعد... ارتميت على الكنبة بأن خطوت خطوتين كسولتين. لا أريد أن أذهب إلى الفراش في الغرفة الصغيرة. أنظر إلى السماء وأرى زرقتها وهي تتأكد شيئا فشيئا. هل أذن لصلاة الفجر؟ تمر سيارة في الشارع، إنها أول سيارة تمر اليوم. أسمع أمي وهي تتنفس بعمق أثناء نومها. كانت قد بدأت تغفو قبل النصف الأخير من الفيلم. لكنها تماسكت حتى انتهى المشهد الذي توقف فيه "ألي" المحافظ الشاب في الشارع.

أتساءل لماذا لا تقرأ حظها أبدا؟ إنها حتى لا تترك الآخرين يقرؤونه لها. هل هي خائفة للغاية مما سيقرؤونه في فنجانها؟ أو ربما العكس، ربما تكون خائفة من ألا يخبروها بما تريد أن تراه وتسمعه.

- "فيرات"؟
- هل لديك أي أخبار عن "فيرات"؟
- اتصل منذ شهر مضى. لا توجد أخبار جديدة.
- لابد وأنه بخير للغاية... حيث إنه لا يتصل.

Twitter: @ketab_n

- لا أدري، أعتقد هذا أيضا.
- لكن عليك أن تعترفي أنه مر بالكثير، إن الأمر ليس هينا عليه.
- نعم يا عزيزتي، لكن... هل يعني هذا أن يمكث هناك وحيدا؟
- إنه لا يمانع في الوحدة. و"ليندا" معه على أي حال...
- أحيانا أتمنى لو أصبح مثل "ألي رونا"، سأجمعكما بعصا في يدي. ليست هناك طريقة أخرى...

قبل أن أنام مباشرة أسمع خشخشة مخالب قط أثناء انقضاضه على الطبق.

Twitter: @ketab_n

11

فتح ولد طويل القامة باب الطابق الثالث. كان المكان باردا وجيد الإضاءة. تهادى من الداخل صوت مكتوم لبيانو. وشممت رائحة شيء لم أستطع التعرف عليه على الفور، كانت رائحة تشبه رائحة لبن يتم تسخينه على موقد. قدمنا "فيرات" لبعضنا. لاحظت أن "إريتجرول" في طول "فيرات" لكنه أنحف. كان يرتدي تي شيرت باهتا عليه صورة، وبدا على وجهه الداكن تعب أيام قليلة مضت. كما كانت لديه عينان واسعتان لونهما أسود. لا أتذكر أنني رأيته في الصور التي قلبتها في المنزل.

- أنا آسف. هل انتظرتما لفترة طويلة؟
- قليلا. لا عليك.
- كنت أعد طعام الإفطار ولم يكن لدي خبز، لذا ذهبت إلى المخبز.

مررنا عبر الباب الأول نحو غرفة المعيشة. لم أر منزلا كهذا من قبل. كانت غرفة المعيشة فوضوية للغاية. ولم يكن هناك أي أثاث من النوع الذي اعتدت عليه. فقط قليل من الكراسي التي وضعت بشكل عشوائي وكنبة وأرضية باركيه خشبية عارية وعليها آثار طلاء. رأيت بعض اللوحات الزيتية مسندة على الحائط في الجانب الذي به نافذة. كانت بعض هذه اللوحات غير مكتملة

Twitter: @ketab_n

وكانت غرفة المعيشة طويلة كما لو أنها عربة قطار في نهايتها مطبخ يجعلها تبدو كحرف L. كانت الإضاءة بالشقة جيدة بالفعل، حيث إن ضوء النهار كان ينساب من النوافذ العريضة على هذه الفوضى العارمة.

- اجلسا حيثما تريدان. توجد مياه ساخنة بالمناسبة، يمكنكما أن تستحما إن أردتما. سيكون الإفطار جاهزا في لحظات. فقط كونا على راحتكما ولا تجبراني على لعب دور المضيف.

كنت جالسة على الكنبة أنظر حولي. بينما كان "فيرات" مستلقيا على الكرسي. بدا الآن متعبا بالفعل. شعرت بشيء ناعم يمشط قدمي. انحنيت لأجد قطًّا سياميًا يحاول أن يتشمم رجلي. تركني أمسده لمرات قليلة ثم ذهب بعيدا، واختفى خلف الباب الذي انفتح على سلم صاعد للأعلى. في هذه اللحظة رأيت قطا آخر. كان مختبئا خلف رف في خزانة الكتب عليه كتب ثقيلة مجلدة. وكان لونه مثل لون الكتب مما جعل ملاحظته أمرا صعبا. لابد وأن الرائحة التي كانت آتية من المطبخ كانت رائحة لبن إذًا. بدأت أفكر في أن هذه الرائحة التي شممتها حين دخلنا إلى الشقة كانت مزيجا من روائح الطلاء والقطط والورق واللبن.

كنت حين تقدم لي صديقة الطعام وأنا لست جائعة، أخبرها فحسب ولا تقع أي مشكلة لهذا السبب. لكن "فيرات" و"إريتجرول" كانا صديقين مختلفين. فعندما دعينا لتناول الإفطار أحسست من الطريقة التي نظر إلي بها "فيرات" أن علينا أن نجلس على الطاولة ونأكل.

أقراص البيض بقطع السلامي، وجبنة بيضاء، والكثير من الشاي، ولبن دافئ. لم يكن بمعدتي أي مساحة لتناول المزيد من الطعام. إذ لم أكن قد هضمت ما أكلته في القطار. أخذت رشفة من اللبن لأضيع ولو قليلا من الوقت.

- كيف كان القطار؟

- حارا. لم يستطيعوا إصلاح مكيف الهواء.

Twitter: @ketab_n

- ياه! لابد وأن سخونة الجو جعلتكما مستيقظين طول الليل.
- لم نستطع أن ننام على الإطلاق.
- المكان الأفضل هو عربة الكافيتيريا. هل شربتما شيئا هناك؟
- لا .. كانت مقفلة حين ركبنا القطار.
- دعونا نركب القطار معا في يوم ما، سوف نكون سويا ونشرب معا.
- أخشى أن هذا لن يحدث لأنهم يغلقون هذه العربة بعد ساعة معينة.
- إن هذا سيئ للغاية.
- نعم، سيئ بالفعل.

مرت لحظة من الصمت ثم التفتنا إلى صوت البيانو الذي ارتفعت نغمته والذي كان يعزف منذ لحظة وصولنا.

- ما هذه المقطوعة؟
- جارديف. أنا أسمعها للمرة الأولى.
- إنها لطيفة.
- نعم. لطيفة للغاية...

جلس القط السيامي فوق خزانة الكتب وتمطى ببطء. فكر بتردد في النزول إلى الأسفل، ثم بعد أن تثاءب مرتين استعاد وضعيته الأولى. غطى السحاب الشمس بشكل بطيء فأخفاها. وفقد الضوء داخل الشقة لمعانه لفترة. طفت فوق سطح اللبن الذي لم أستطع أن أشربه طبقة من الدهون المثيرة للاشمئزاز، فحاولت أن أصطادها بشوكة.

- آسف، لقد نسيت اسمك...

Twitter: @ketab_n

توقفت عن العبث في اللبن ورفعت رأسي. كان "إريتجرول" ينظر نحوي. بنفس اليقظة التي رأيتها في عينه حين دخلت ورأيته للمرة الأولى. لاحظت ثنية جلدية على جانب فمه.

- "أردا".
- إنها المرة الأولى التي أقابل فيها فتاة تدعى "أردا".

لم يكن في كلامه ما يزعج. قلت:

- نعم، إنهم عادة ما يستخدمون هذا الاسم مع الأولاد.
- وماذا تفعلين؟ أعني الدراسة وما شابه...
- سأتخرج من المدرسة الثانوية في العام المقبل.
- بهذه السرعة؟
- إن الدراسة في المدارس الحكومية عادة ما تنتهي مبكرا بطبيعة الحال.
- هذا أفضل كثيرا... وبعد ذلك؟
- وبعد ذلك؟
- أعني الجامعة وما شابه؟
- لا أدري... لا يزال أمامي وقت طويل.
- أم إنك فنانة مثل أخيك؟

لم يكن لدي أدنى فكرة عن أن أخي فنان. لم أستطع أن أمنع نفسي من النظر إلى "فيرات". رأيت خديه يتوردان من الخجل.

- لا أعتقد أنني كذلك.. ليست لدي أي موهبة.
- بعض المواهب تظهر متأخرة.

Twitter: @ketab_n

شعرت أنني لا أريد لهذا الحديث أن يطول. قلت باقتضاب: وبعضها لا يظهر أبدا خاصة تلك المواهب غير الموجودة من الأساس.

بدا لي أن "فيرات" و"إريتجرول" شخصان يحبان بعضهما لكنهما غير قريبين. كانت هناك مسافة فاصلة بينهما. لم يقاطعا بعضهما، ولم يمزحا. ولم يكن "إريتجرول" يسخر من سقوط الشوكة من يد "فيرات" بشكل متكرر. كما لم يسخر "فيرات" من مظهر شعر "إريتجرول" غير المشط والذي بدا كما لو أن صاحبه قام لتوه من النوم. كان شعره ظريفا في رأيي.

في البداية اعتقدت أنهما ولدان نضجا قبل الأوان بسبب مكوثهما في مدرسة داخلية. لكنهما لم يصلا بعد إلى الثلاثين من العمر، لذا فقد غلبت أنهما يتصرفان هكذا لأنني معهما، حيث يحاولان أن يختارا كلماتهما بعناية حين يتحدثان.

نظرت إلى "فيرات" ولاحظت أنه لم يكن متحفظا ومؤدبا معي ومع أسرتنا هكذا. لكنني لم أغضب منه يوما لهذا السبب، فالإنسان يتغير حين يكون مع أصدقائه. على سبيل المثال لقد كنت أنا أكثر تسامحا وأنا مع أصدقائي. فالموقف الذي يجعلني أستشيط غضبا في المنزل يكون موقفا قابلا للإدارة والحل حين أكون مع أصدقائي. كان هذا أمرا محزنا لأسرتي بالطبع. إننا معرضون على الدوام لخسارة الأصدقاء، فنحن لن نستطيع أن نفعل كل شيء لأجلهم. وقد اعتدت على وجود فاصل يرسم نفسه بنفسه في الأيام الأولى من صداقاتي. إنه الحد الذي يمنع الآخرين من المزاح معي بالاحتكاك الجسدي أو يمنعهم من القيام بعمل المقالب مما يجبرني على الحفاظ على ذلك الفاصل وتلك المسافة.

لكنني لست كذلك مع أفراد أسرتي. فهم على الدوام قريبون مني وسيظلون هكذا طالما لم يجنوا أو يموتوا وسواء كنت أحب هذا أم لا.

بينما أنا جالسة مكاني، شعرت أنني أحمل عبئا كبيرا على أكتافي. كان جلدي رطبا ولزجا بسبب العرق الذي بلل ملابسي وجف بشكل متكرر أثناء الرحلة.

Twitter: @ketab_n

تذكرت أن مضيفنا قد تحدث عن مياه ساخنة متاحة للاستخدام. سيكون من اللطيف أن أستحم... أستحم ثمّ أنام. تحركت الستائر المعلقة أمام النافذة المفتوحة بشكل متكاسل مع الهواء، وبشكل متناغم مع عزف البيانو. لسبب ما، بدأت أستمع إلى حديثهما وكأنه صوت بعيد باعث على الملل لا يرتفع ولا ينخفض. نظرت نظرة خاطفة للبحر الذي استطعت أن أراه من النوافذ المفتوحة وإلى قطعتي أرض سوداوين ظننتهما جزيرتين ثم مرة واحدة اختفيتا. استيقظت عندما مال رأسي إلى الأسفل.

- أعتقد أن "أردا" تريد أن تنام.
- "أردا"، هل تريدين أن تنامي؟

قلت إنني أريد أن أستحم أولا إن لم يمانعا. لم يكن بمقدوري أن أنام وأنا في هذه الحالة. نهضت من الكرسي وأنا أفرك عيني بيدي. نهض "إريتجرول" أيضا. ذهبنا إلى الأعلى معا، واستخدمنا نفس السلم الذي صعدته القطة منذ قليل. كان أكثر إضاءة من الشقة، رأيت أبوابا مغلقة على الجانبين. سألني "إريتجرول" إن كنت أريد منشفة فشكرته، وقلت له إن لدي واحدة في حقيبتي. فتح أحد الأبواب وأدخلني إلى غرفة لم أر أكثر منها فوضوية على الإطلاق.

- إنها غرفة أختي.. الملاءات وجميع المتعلقات الموجودة هنا نظيفة. نادي علي بالأسفل إن أردتِ أي شيء.

كان أول شيء فعلته حين دخلت إلى الحمام هو أني نظرت في المرآة. لم يعجبني ما رأيته. حيث لاحظت وجود دوائر تميل إلى اللون البنفسجي تحت عيني، وشعرًا غير نظيف يوشك أن يفر من دبوس الشعر. كما رأيت بثرة بدأت لتوها تتكون تحت شفتي. هل أحضرت الصابونة الطبية معي؟ لست ممن يهتمون بمظهرهم كثيرا لكنني لا أزال منزعجة من أنني جلست لساعتين مع شخص غريب عني ويراني للمرة الأولى وأنا بهذه الحالة.

Twitter: @ketab_n

بشكل لا إرادي تنهدت تنهيدة طويلة ومرتفعة الصوت حين انسابت المياه الدافئة ولامست جسدي. أسندت رأسي على الحائط المغطى بالقيشاني، ووقفت لفترة دون أن أتحرك بينما كنت أنظر إلى الماء وهو ينهمر تاركا جسدي. لقد عانى جسدي كثيرا في هذه الرحلة التي استغرقت سبع ساعات وأصبحت أنا منهكة. وقد كانت هذه المشاعر مقلقة بالنسبة لي.

ثم حدث شيء أظرف حين كنت أحاول أن أتبين أيًّا من الزجاجات ذات الأسماء التجارية المميزة التي لم أرها من قبل تحتوي على شامبو، وأيها تحتوي على كريم. خطوت خطوة واحدة إلى اليسار ورأيت نفسي في المرآة التي كانت طويلة وتعكس الجسم بكامله. لسبب ما شعرت أن جسدي لا يبدو سيئا للغاية على الرغم من أنني دائما ما كنت أراه غير متناسب ونحيفًا. نظرت إلى الفتاة الواقفة في المرآة والماء ينهمر عليها، ثم قلدت "سيال تانر"، ثم تظاهرت أنني امرأة عجوز ثم مصاص دماء.

Twitter: @ketab_n

12

- لماذا نمتِهنا يا عزيزتي؟

لا أتذكر لماذا استيقظت، كان المنزل صامتا. لم أر تلك الكوابيس الخانقة التي اعتدت على رؤيتها. فمنذ فترة قصيرة كنت أحلم أحلاما تبدأ وتنتهي بـ"إيمرا". إن الجميع يحبون أن يعيشوا ذكرياتهم السعيدة القديمة مرة أخرى في أحلامهم وذلك إن رأوها وشعروا أنها أحلام فحسب. الجميع يحبون أن يروا تلك الملامح الصغيرة التي تنتمي للحظات سعادة عادية. لكنني كلما كانت الأحلام أكثر قربا من الواقع، شعرت بالألم وأستيقظت. فتلك اللحظات القصيرة التي يحدث فيها كل شيء طبقا لمنطق خاص بالأحلام وحدها تدمر كل مقاومة كنت أحاول جاهدة أن أبنيها. إنها تقطع روحي إلى قطع وتضعها أمامي كي أجمعها مرة أخرى.

أحيانا ما يشعر المرء أنه في حلم. لا أدري ما الذي يحدث فيجعلنا ندرك أن لحظة ما حلم وليست واقعا. لكنني أشعر بألم كبير حين أدرك أن "إيمرا" الواقف كحارس مرمى بين جذعي شجرتين كي يصد تسديدة أبيه سوف يؤخذ مني بسبب حركة صغيرة في غرفتي أو بسبب عربة بائع الخضراوات التي

Twitter: @ketab_n

تدخل إلى الشارع. أصدم صدمة كبيرة في اللحظة التي أدرك فيها أنني أحلم وأن بقايا الحلم سوف تختفي أيضا. ساعتها أستيقظ وأنا غارقة في دموعي.

أحيانا تأتيني أحلام تدور حول الحادث. وعلى الرغم من أنني لم أر هذا الحادث إلا أن هذه الكوابيس المليئة بالزجاج والأجسام المعدنية والبلاستيكية المهشمة المتطايرة تملأ عقلي بالأفكار السيئة. ما يدهشني حقا هو أنني مؤخرا بدأت أفضل ذلك النوع عن النوع الأول. حيث إن رؤية أتوبيس المدرسة وهو يتقلب والتراب الذي يتطاير من حوله والصراخ اللانهائي للأطفال، كل هذا يكون أقل أثرا علي من أن أرى ابني وهو يأكل وقد غطت المربى جميع وجهه. فبعد النوع الثاني من الأحلام أستيقظ على صرخاتي... وينفصل عندي الحلم عن الواقع، فأذهب إلى الحمام لأبلل جسدي بالماء.. أحاول النوم مرة أخرى بعد نوبة بكاء قصيرة... وهذا كل شيء. إنها حالة لا تشتمل على ذلك الإحساس القوي بالافتقاد والحنين، ولا ذلك الشعور بالحرمان، واستحالة اللقاء مرة أخرى، تلك المشاعر التي تنتابني عادة بعدما أراه ووجهه ملطخ بالمربى أو حين أحلم به وهو يصد ضربات الجزاء. ينتابني أيضا مع النوع الأول من الأحلام شعور بالرعب لكنه شعور محتمل. إنه الرعب الذي يبني مقاومتي التي تنهار من حين لآخر، الرعب الذي أعتقد أنه سيجعلني أقوى طالما أنه لا يقتلني.

كنت قد ألقيت بطانية خفيفة على جسدي، في حين انعكس شعاع ملون من النور على زجاج نافذة في الدور الأول من المبنى السكني المقابل لشقتنا وسقط عند قدمي. اقتربنا قليلا من الظهر، حيث الأولاد الذين يلعبون في خارج حديقتنا يتشاجرون، ربما تكون الضوضاء التي يحدثونها هي التي أيقظتني. نظرت إلى أمي. كانت تشرب الشاي بينما تجلس في الجانب البعيد من غرفة المعيشة.

إنها هادئة جدا، لا أعتقد أنها استطاعت أن تستيقظ مبكرا، لكنها ارتدت ملابسها ولم تعد ملامحها تميل إلى النعاس، مما يجعلني أعتقد أنها لم تستيقظ لتوها. منذ متى وهي جالسة هناك؟ إنها لم تغسل الأطباق ولم تفتح

Twitter: @ketab_n

الراديو، فما الذي كانت تفعله وحدها طيلة هذا الوقت؟ منذ أن أصبحت تعيش وحدها وهي تقضي وقتها كله في الأعمال المنزلية التي تقوم بها ببطء كي تأخذ يومها كله بينما يمكن أن تقضي جميع هذه الأعمال في ساعة واحدة إن أرادت. بدا عمرها وكأنه يتقدم ببطء أكبر بسبب هذا. بالنسبة لي فإن لم أجد شيئا أقضي فيه يومي فسينتهي بي الحال إلى نفس المصير.

- لقد أعددت بعض الشاي. اغسلي وجهك سأجلب لك كوبا منه.

في الحقيقة أنا أعلم ما كانت تفعله بينما كنت أنا نائمة. إنها كانت تفكر... وتنظر إلى ابنتها النائمة على الكنبة وتفاضل بين الاحتمالات: إلى متى يمكنها أن تستمر هكذا؟ كم يومًا أو كم شهرًا سيمر حتى تعود إلى حياتها؟ هل ستعود إلى زوجها مرة أخرى؟ هل ستحصل على وظيفة؟ هل ستنجب طفلا؟

أنا أعرف ما يدور بعقلها، إنها لا يمكنها أن تحدد إن كانت سعيدة أم حزينة بوجودي معها.

الأقدار التي كسرتني وأعادتني إلى هذا المنزل هي أقدارها أيضا، بشكل جزئي على أقل تقدير. لم نعد مطلقا إلى هذا المنزل وأحوالنا على ما يرام. فعندما نكون على ما يرام لا نفكر مطلقا في "إسكيشهر". بالنسبة لنا كان هذا المنزل مجرد صوت يأتينا على الجانب الآخر من خط الهاتف، أو ذكريات مراهقة نتذكرها بابتسامة، أو طفل طيب لكنه أحمق لذا نريده ألا يلعب معنا لكننا نريده قريبا منا في الوقت نفسه. وبالتالي فعليه أن يمكث على جانب الملعب لكن دون أن يبتعد. وكنا ننظر إليه ونتذكر كيف غادرناه ورجعنا إليه ونحن نتمتع بنفس القدر من الجنون.

- هل ترغبين بإضافة بعض الليمون إلى كوب الشاي الخاص بك؟

- نعم يا أمي، من فضلك...

Twitter: @ketab_n

- لقد رأيت بائع السميط فاشتريت منه. هل أحضر لك واحدة كي تأكليها مع الجبن؟
- فيما بعد يا أمي، ليس الآن.

تنهض مسرعة إلى المطبخ، تفتح الدواليب وتغلقها. أسمع أصوات اصطكاك الآنية الزجاجية والفخارية. أذهب إلى النافذة وأنظر إلى الطبق الذي تركته بالخارج قبل أن أنام، أجده في مكانه تحت عتبة النافذة، لكنه مقلوب وقطنا ليس موجودا بجواره ولا أي قط آخر. في الخارج يسيطر يوم صيفي شديد الحرارة على الأجواء. تناديني أمي من المطبخ:

- جاءك خطاب وقد تركته لك في غرفتك.
- ممن؟
- عنوان المرسل غير مكتوب. إنه ليس من إسطنبول على ما أعتقد.
- من أين يمكن أن يكون إذًا؟

يمكنني القول إنني وزوجي لم نكتب لبعضنا على الإطلاق، هذا بالطبع إن لم أحسب تلك الخطابات الطريفة التي تبادلناها في بداية علاقتنا. أعتقد أننا لم نعش بعيدا عن بعضنا وبالتالي لم تكن لدينا أي حاجة لكتابة خطابات. من ثم فكل ما كنا نكتبه لم يتجاوز سوى بعض الجمل على بطاقات كنا نلصقها على الثلاجة: لدي اجتماع هذا المساء، هاتي الولد من المدرسة. لقد استمتعتنا في مرات عديدة بقراءة خطابات كتبتها شخصيات مشهورة لبعضها، لذا فمن الغريب للغاية أننا لم نفعل الشيء نفسه. لابد وأننا كنا نرى أن كتابة الخطابات أمر رومانسي ونبيل، ولهذا فربما اعتقدنا أنه رفاهية لا تنتمي إلى عالمنا. كان ينبغي أن نكون شخصيات مشهورة مثل "كافكا" أو "ناظم" أو "ميلينا" أو "بيراي" كي نفعل هذا، وإلا فما الطائل من الكتابة؟

Twitter: @ketab_n

لاحظت أن غرفتي مرتبة، وبالتالي فقد استنتجت أن أمي لم تكن جالسة هكذا فحسب. كان الظرف موضوعا على الكومودينو ومسندا على الأباجورة الواقفة عليه. جلست دون حراك على السرير وتأملته بعيني لبرهة. كنت أريد أن أطيل لحظة الانتظار التي نادرا ما تحدث. في أذني كنت أسمع صوت خشخشة وطقطقة حيث كانت أمي تبحث عن محطة على الراديو... مددت ذراعي وأمسكت الظرف. لم يدلني الختم ولا الطابع على الكثير من المعلومات. إنه مرسل من مكتب بريد في مدينة تقع شرقي تركيا لم أذهب إليها من قبل. عندما قرأت اسمي وعنواني شعرت أن الخط مألوف بالنسبة لي.

وشممت رائحة لبن تأتيني من مسافة بعيدة...

دفعت أمي الباب والصينية في يديها.

- قلت لنفسي إن علي أن أجلب لك سميطة على أي حال، ربما تأكلينها مع الشاي. أين أضعها؟
- فقط ضعيها بالخارج يا أمي. لن أتأخر.
- ممن هذا الخطاب؟
- لا أعرف، لم أفتحه بعد.

Twitter: @ketab_n

13

استيقظت في سرير أخت "إريتجرول" الواسع وأنا أشعر بصداع رهيب. ذكرني الضوء القادم من النافذة بالمكان الذي انتقلنا إليه. على الرغم من أنني كنت منهكة للغاية حين ذهبت إلى السرير إلا أنني لم أنم جيدا. لم يكن من الصعب بالنسبة لي أن أنام في سرير غير سريري. فعيناي يمكنهما أن تناما على الكنب أو الأرض أو الكراسي التي أجدها مريحة. في الحقيقة لقد كنت أجد صعوبة في النوم حين أكون على سريري، فحين تكون الوسائد والأغطية مألوفة بالنسبة لي يبدأ عقلي في عمل ارتباطات متعددة بين الأفكار، وبالتالي أبقى في الفراش بصعوبة شديدة حتى الصباح وأتنقل من شعور بالندم إلى آخر. خاصة حين تكون غرفتي مظلمة وهادئة. لا يأتيني ملاك النوم الحزين أبدا إذا ما كانت كل الظروف من حولي مواتية للنوم. وبالتالي أتقلب وأتقلب.

كانت هذه غرفة كبيرة وضعت فيها الأشياء بترتيب يصعب فهمه. فبين السرير والنافذة وقف إطار بعجل لتعليق الملابس مثل تلك الإطارات التي تستخدمها المحلات التجارية. بعض الملابس كانت ملقاة على هذا الإطار أما بقيتها فقد كانت مبعثرة في كل أرجاء الغرفة. أمامي مباشرة وقف مكتب خشبي عاق وصولي إلى النافذة. بدا مثل تحفة أثرية بزخارفه الجانبية المحفورة

Twitter: @ketab_n

وجزئه العلوي المنزلق الذي امتلأ بأشرطة الموسيقى. علقت صورة بالحائط فوق المكتب مباشرة. وعلى الرغم من شعرها الأحمر بمظهره الغريب إلا أنني فهمت مباشرة أن الفتاة التي في الصورة هي صاحبة الغرفة حيث كان لديها نفس التجعيدة على جانب شفتيها.

نهضت على مهل وارتديت ملابسي ببطء. كان أمامي يوم طويل، يوم لا أعرف كيف سيمر. وكنت أعاني من صداع رهيب في منزل اكتسى بالصمت. فحتى الموسيقى التي كانت تأتي من الطابق الأدنى توقفت. لابد وأن "فيرات" قد غادر لمقابلة "إيسرا". أزعجني شعوري بأنني تركت وحيدة في هذا المكان. فتحت النافذة ونظرت على مد بصري، لم يكن هناك سوى بحر من أسطح المنازل يمتد بلا نهاية. سألت نفسي إن كانت لدي القدرة على العيش في هذه المدينة في يوم من الأيام. كان التراس المقابل لنا لطيفا للغاية. أعجبتني أيضا بلكونات الشقق المطلة على الناحية المؤدية إلى المسجد. اصطفت أصص الورد على أسوار أغلب هذه البلكونات بينما رقد في بعضها كنب كثير الألوان.

فكرت في أسرتي في المنزل. لقد وعدناهم بأن نتصل بهم ما إن نصل إلى مقصدنا. لابد وأنهم قلقون الآن. هل ينبغي علي أن أتصل بهم وأكذب عليهم كذبتين محكمتين؟ ماذا لو كان "فيرات" قد اتصل بهم وقال شيئا آخر؟ إننا لم نتفق على كذبة واحدة نقولها لهم. شعرت بالكثير من التوتر ما إن أدركت أننا نسينا أن نفكر في هذا. تخيلت أبي وأمي وهما يستمعان إلى خبر عن حادث سير على الراديو دون أن يبديا قلقهما لأحدهما الآخر. شعرت بألم الصداع يزداد. لا أتذكر إن كنت قد أحضرت الدواء معي. قررت أن أبحث حولي، لابد وأن هناك خزانة أدوية في مكان ما بالأسفل.

أعطتني الفتاة التي رأيتها في المرآة بينما كنت أغسل وجهي قليلا من الأمل. على الأقل فتلك الهالات السوداء التي كانت تحيط بعيني قد اختفت. انتعش شعري بعدما بللته بالماء وبدا أكثر صحة. كان العيب الوحيد في وجهي هو تلك

Twitter: @ketab_n

البثرة الصغيرة التي وضعت عليها بعض الكريم. حاولت أن أبتسم وأنا أركز على أنني قد أصبحت الآن من بني البشر، هذا طبعا مع التغاضي عن ذلك الكريم الأصفر الذي يغطي بثرتي.

عندما نزلت إلى غرفة المعيشة لم أجد "فيرات" ولا "إريتجرول". لقد تركا مائدة الإفطار كما هي. توقف القط السيامي عن لعق اللبن من قاع أحد الأكواب حين رآني. نظر إلي للحظة ثم عاد مرة أخرى يلعق اللبن. لا تزال النوافذ مفتوحة منذ الصباح وقد انساب منها ضوء أكثر. كان الضوء يغطي كل شيء في المكان بما في ذلك الجمادات والقطط، ويصل إلى كل شق وزاوية، مما جعل اللوحات المتكئة على الحائط تبدو كما لو كانت حقيقية. للحظة نسيت الصداع، نظرت إلى الضوء الذي لم أعتد عليه. وحاولت أن أخمن اتجاه النوافذ التي عكست كل هذا الضوء. في هذه المدينة والشقة الغريبتين علي، شعرت أن صلة ما حميمة تصل بيني والقط السيامي واللوحات حيث كنا جميعا نتشارك نفس الضوء.

- صباح الخير. هل استطعتِ أن ترتاحي؟

كان "إريتجرول" جالسا في زاوية الغرفة عند التقاء غرفة المعيشة بالمطبخ. كان يرتدي نفس الملابس المضحكة وكان شعره لا يزال غير ممشط.

- نعم... أشكرك.
- ترك "فيرات" لك هذه الورقة.

أخذ الورقة النائمة على الطاولة التي مازلت تحمل طعام الإفطار، وأشار بها إلي وهو مبتسم. على الورقة المربعة، كتب لي "فيرات" أنه ذهب إلى هاربي كي يرى "إيسرا". ولو سار كل شيء على ما يرام فسيعود في المساء. ويمكنني أن أتصل بأسرتنا في "إسكيشهر" وأقول إننا وصلنا إلى ديديم!

Twitter: @ketab_n

قرأت ما كتبه مرات عديدة، وخطر ببالي أن خط "فيرات" يشبه خط والدي إلى حد كبير. حاولت أن أرتب أفكاري بينما بدأ "إريتجرول" في تنظيف المائدة. وضع الأطباق فوق بعضها بسرعة وحاول أن يبعد القط السيامي الذي كان لا يزال يلعق اللبن بيد واحدة. لم أستطع أن أحشد شجاعتي من أجل إكمال خطاب "فيرات" الذي لا يزيد على ثلاثة أسطر. فما إن أنتهي من قراءتها، ينبغي علي تطبيق ما بها، وأنا لم يكن لدي أي شعور بأنني مستعدة للقيام بهذا الاتصال الهاتفي ولا التجول في المدينة.

- هل هناك مشكلة؟
- لا. لدي فقط صداع خفيف. لابد وأن تغيير الهواء هو السبب.
- هل ترغبين في تناول مسكن؟
- هل لديك دواء مسكن؟
- لدي الكثير منه. فالجميع في هذا المنزل ينتابهم الصداع على الداوم.

دخلنا المطبخ، فوضع "إريتجرول" الأطباق المتسخة بجوار الحوض وفتح الخزانة الموجودة فوق الصنبور. كان طويلا ومع هذا وجد صعوبة في الوصول إلى الرف وهو واقف على أطراف أصابع قدميه. كانت هذه الخزانة مليئة عن آخرها بعلب وزجاجات الأدوية. بعد أن جال بنظره بين تلك العلب والزجاجات، اختار بعضها ووضعها على طاولة المطبخ. انحنينا وتفحصناها بأعيننا.

- هل تعرفين هذا الدواء؟ إنه أسبرين قابل للذوبات وبه فيتامين ج. هذا يسمى بانالجين وهذا أوبتاليدون. لا تهتمي بهذا، فأنا حتى لا أذكر اسمه.

أخبرته بأنني أريد أسبرين. لم يجبني وإنما أعاد الأدوية مرة أخرى إلى الخزانة وصب الماء في كوب نظيف ووضعه أمامي.

Twitter: @ketab_n

- الأسبرين أفضل شيء بالنسبة لك. إن به فيتامين أيضا. كما أنه سيخفف عنك إرهاق السفر. الأدوية الأخرى قد تعطل قدرتك على التركيز لكن هذا يختلف من شخص لآخر بالتأكيد.

نظرت إلى الفقاعات التي تسبب بها قرص الأسبرين في الماء، ونظرت إليه أيضا. كانت نبرة صوته مختلفة وهو يتكلم عن الأدوية. بدا كما لو أنه طبيب يصف الدواء لمريض. أشعر بإحساس غريب حين أجمع هذا مع وجهه الغريب الذي لا يبدو وجه مراهق ولا وجه راشد. نظرنا إلى أعين بعضنا للحظة بينما انحنى هو للأمام كما لو أنه يقرأ أفكاري.

قال بنفس الابتسامة:

- صداع نصفي .. إنه أمر شائع في عائلتكم.

كانت هناك طالبة في فصلي تعاني من الصداع النصفي. أعلم كم هي قاسية نوباته، لذا قررت تغيير الموضوع لكنني لم أستطع أن أفكر في أي شيء آخر. ثبت نظري على الفقاعات ورأيت الأسبرين وهو يذوب بسرعة.

Twitter: @ketab_n

14

عزيزتي "أردا"...

هناك دائرة نفسية كريهة تمنع المرء من كتابة الخطابات. في البداية قد لا يكتب لأنه ليس قويا بما فيه الكفاية أو لأنه لا يعرف ما الذي سيكتبه. ثم بسبب هذا الحالة من التردد يمر الوقت المخصص لكتابة الخطاب. ثم ينتاب المرء شعورا بالذنب لأنه تأخر كثيرا في الكتابة ومن ثم يمنعه هذا الشعور من القيام بالأمر وبالتالي لا يكتب أبداً.

حاولت أن أكسر هذه الدائرة النفسية الكريهة منذ أن وصلت إلي أخبارك وما مررت به. في الموقع الذي أعمل به، لدينا واحد من أهل المدينة يدعى حمدين. إنه ولد طيب وطاهر ومخلص. بالأمس بعد أن تجولت معه لفترة طويلة، وجدتني أخبره عنك. لكنني وأنا أتحدث إليه شعرت أن كلامي يعود إلي فأسمعه مرة أخرى. وبفضل حمدين هذا الذي لم تقابليه والذي على الأرجح لن تقابليه مطلقا، أكتب لك الآن هذه الكلمات. وأتمنى أن تكون لدي الشجاعة كي أضع هذا الخطاب في صندوق البريد.

Twitter: @ketab_n

ما الذي حدث طيلة كل هذه السنين؟ ما الذي فعلته أنا؟ في الحقيقة لست موهوبا بالقدر الذي يسمح لي بأن ألخص كل ما حدث في خطاب قصير (ربما يستطيع "فيرتو" أن يفعل هذا)، وربما لا يوجد داعٍ لذكر هذه التفاصيل الآن. ربما أنت غاضبة مني لأنني لم أسأل عن أخبارك طيلة هذه المدة. للأمانة أنا لست نادما على هذا، فقد كان هذا هو الصواب.

عرفت من زوجك أنك في "إسكيشهر"، من صوته الذي سمعته في الهاتف أستطيع أن أقول إنه رجل طيب. ولولا أنني لا أملك الشجاعة الكافية لكنت أتيت في أول الأسبوع كي أراك.

أتمنى ألا يكون هذا الخطاب قد أذاك أو أزعجك. أنا سعيد على أي حال أنني استطعت أن أكتبه أخيرا.

محبتي

"إيرت"

ملحوظة: حمدين يرسل تحياته أيضا.

يتداعى صوت أغنية شعبية من الراديو القابع بالداخل، أخيرا وجدت أمي المحطة التي تريدها. كانت ساعة أبي القديمة تصدر تكتكة من خلفي. حاولت أن أجد معنى لصمتي، لكن كان علي أن أعرف أولا أي شعور من بين مشاعري الميتة سيرفع رأسه أولا. على أي حال لا ينبغي أن ينتابني إحساس بعدم القدرة على المقاومة، فأنا لست في سن تسمح لي بهذا، هو أيضا لم يعد في سن تسمح له. لقد تركنا مثل هذه المشاعر خلفنا منذ سنين. وقد تم ملء الفراغ الذي كانت تشغله بأشياء متنوعة، مثل زواج مناسب وطفل له شعر مجعد وساعات طويلة من العمل ونبض سريع، وقلب مضطرب... لا يمكنني القيام بأعمال بطولية الآن لأنني أعرف هذه المشاعر جيدا، لا يمكن لأي منا أن يعود لهذا.

Twitter: @ketab_n

كان الظرف على السرير. وكان بإمكاني النظر إليه ولمسه إن أردت. كما كان بإمكاني أن أقرأ الخطاب مرة أخرى. لكن فعل هذا سيخلق الكثير من الاضطراب بداخلي. لن أسمح لقلبي بأن تتسارع دقاته ولن أسمح بوجود غصة في حلقي. سأثبت لنفسي أنني قادرة دائما على خلق توازن بداخلي، بالطبع لقد مررت بالكثير من الألم، وتكسرت أجنحتي. نعم لقد مررت بالأسوأ. وها أنا الآن، امرأة تحاول أن تلعق جروحها دون أن تحدث الكثير من الضجة. كيف يمكنني أن أتغاضى عن الحالة التي أصبحت عليها بسبب تصاريف القدر؟

تحركت بشكل هادئ ودون أي عجلة ووضعت الخطاب في الدرج. كان هذا تصرفا يدل على أنني أستطيع أن أصل إلى النضج ولو كان هذا يحدث بصعوبة. هناك الكثير من الأشياء في هذا الدرج الذي لم تلمسه أمي أبدا حين كنت بعيدة عن المنزل. صور من أيام المدرسة وخطابات من صديقاتي، كان أحدثها منذ عامين، وتقارير المدرسة الثانوية، وصحف مصفرة وباهتة يعلم الله فقط لماذا وضعت هنا. الآن أصبح هذا الشيء الذي يحمل اسمي وعنواني جزءا من هذا المتحف.

ذهبت إلى غرفة المعيشة وجلست على الكنبة التي نمت عليها في الليلة الماضية. مددت يدي نحو طاولة القهوة. وتناولت السميط الموضوع عليها بشهية لم أكن أتوقعها. انتعش جسدي مع مذاق السميط الطازج والشاي الساخن. كان الأطفال يلعبون مرة أخرى في الشارع محدثين جلبة عالية، لابد وأنهم ملوا من العراك إلا أنهم ما زالوا يصرخون. أشعر من داخلي بإحساس بالانسجام ولا أذكر متى كانت آخر مرة انتابني مثل هذا الشعور. الكون كله يتحرك بشكل دائم وأنا جزء من هذا الكون. ربما أكون ترسا قديما عليه الكثير من الصدأ، ربما أنا مسمار تم دقه، لكن لي مكانًا وسط كل هذه الفوضى.

كانت أمي في المطبخ تغسل الأطباق، بينما يذيع الراديو أغنية شعبية من أنقرة لها نغمات سريعة. من المكان الذي أجلس به أستطيع أن أرى ظل أمي في زاوية المطبخ، كانت تتحرك حركات بطيئة كما لو أنها مخلصة فقط للإيقاع البطيء.

Twitter: @ketab_n

يخطر علي، زوجي، على بالي. من المثير للشفقة أننا لم نستطع أن نتشارك في مشاعر العجز التي انتابتنا. فبعد شهور قليلة من الحادث انفتح قوس في حياتنا لم نستطع أن نقفله حتى الآن. فقد كرسنا ما بقي من طاقتنا من أجل القضاء على بعضنا. لقد انهارت علاقتنا من خلال الصمت والعتاب على أشياء تافهة أو اللوم على تلميحات ساذجة. ولم يعد لدينا سوى محارة فارغة ليس لها أي قيمة. ولم يعد هناك من يمكن أن نجعله يدفع فاتورة هذا الانهيار، وبينما كنا نقتلع روحينا، كنا نشاهد معاناتنا ونرى أنفسنا ونحن نتعذب في نار ملتهبة. ثم قررت أن آتي إلى هنا، وتركت تلك المحارة الفارغة الباعثة على الحزن، تركتها لعلي كي يصلحها ويعيدها إلى حالتها السابقة.

توقف صوت المياه الآتية من المطبخ، ورأيت الظل يخلع مريلة المطبخ. ثم اقتربت أمي وهي تجفف يديها. ذهبت لتتناول علبة السجائر الموجودة على رف المدفأة، لم تلمس السجائر بيديها المبتلتين، وإنما سحبت سيجارة بشفتيها. ثم مددت يدي ممسكة بالولاعة الحمراء التي اشتريتها من المحطة.

- ممن هذا الخطاب؟
- صديق من أصدقاء "فيرات". لقد سمع لتوه عن الحادث.
- هل أعرفه؟
- ربما.. اسمه "إريتجرول".
- "إريتجرول".. لا.. لا يمكنني تذكره.

جلست على كرسيها المريح ونظرت نحو الحديقة. لم تعد تهتم بالعالم، حيث إنها لم تعد تقرأ الجرائد، ولم تعد تشاهد التلفاز. في البداية بدا لي أنها ستتوجه نحو المزيد من التدين. حيث اعتقدت أنها ستذهب للحج. لكنها كانت كسولة للغاية، وقد منعها هذا الكسل من القيام بهذه الرحلة. ثم حولت هذا المنزل إلى مكة لها. وحشرت نفسها في الصمت الذي يسيطر على الغرف، في

Twitter: @ketab_n

السكون الكئيب الذي يجعلك تشعر أن الزمن قد توقف. أصبح منزلها عاصمة لها ولم تعد تستطيع أن تتغاضى عن أي رسالة بريدية تصل إلى هذه العاصمة.

من الطبيعي أنني أصبحت مركز الانتباه حين أتيت إلى هنا، فقد ضاعفت أنا من سكان مدينتها الصغيرة بمجيئي، وتسببت تحركاتي في المكان في إثارة موجات عالية في بركة الزمن الراكدة التي كانت تعيش فيها. لم أختنق وأنا في سني هذه من كل هذا الانتباه الذي من الممكن أن يصبح كابوسا بالنسبة لمراهق. بل إنني كنت أشعر بالرغبة في احتضانها بينما كانت جالسة في صمت على كرسيها.

قلت بصوت كنت أظنني قد نسيته منذ زمن: أمي.. تعالي نتمشى بعد الظهر، يمكننا أن نمشي على طول نهر بورسك.

Twitter: @ketab_n

15

وقفت أمام مرسى عبارات بكيشتاش. هنا بإمكاني أن أقف وجها لوجه أمام إسطنبول. كنت قد تركت "إريتجرول" لتوي بعد أن سألته عن كيفية الذهاب إلى كاديكوي، حيث اقترح أن يرافقني إلى العبارة.

سار التاكسي الذي أقلنا ببطء شديد بين الزحام المروري الذي كان سيئا لدرجة أنه جعل أغلى السيارات تسير بسرعة عربة يجرها ثور. لم أمانع في الوصول إلى العبارة بهذا البطء على الرغم من الرطوبة وارتفاع درجة الحرارة التي حولت الأمور إلى الأسوأ، لكن هذا البطء مكنني من أن أرى وأستوعب المحيطات بي. نظرت إلى واجهات المحلات التي تزين شارع باجدات فتذكرت شوارع "إسكيشهر". أدركت الآن أن شوارع "إسكيشهر" لم تكن سوى تقليد لشارع باجدات. بدا لي أن مشهد الأزواج وزوجاتهم اللاتي تدفعن عربات تحملأ طفالهن بيد وتحملن الأيس كريم باليد الأخرى والذي أراه كثيرا هناك، هو مشهد مستنسخ مما أراه الآن هنا.

Twitter: @ketab_n

في التاكسي الذي لم يتحرك لمدة عشر دقائق تقريبا، جلس "إريتجرول" جانبي، كان ينظر إلى ساعته والتوتر على وجهه بينما كنت مستعدة لأن أدفع عشر سنوات من حياتي كي أعيش هنا.

- هل أنت متأخر على موعد ما؟
- قليلا. إنه ليس موعدًا هامًّا على أي حال.
- هل هناك قوارب كثيرة؟
- يغادر قارب كل نصف ساعة، وبالتالي فإن فاتك الأول فسيكون عليك أن تنتظري نصف ساعة كي تأخذي القارب الذي يليه.

كنت قد سمعت أشياء أفظع عن إسطنبول. نظرت إلى ساعتي.

- لو كنت تريد أن تأخذ القارب الأول، فأعتقد أن هذا غير ممكن.
- أعرف، لهذا غادرت المنزل وأنا أفكر في أن آخذ القارب الذي يليه، لكن مع هذا البطء ربما لن أصل في موعد القارب التالي.
- هل ستقابل أحدا؟
- نعم، فتاة تحب الرسم. أعتقد أنها تحاول أن تتواصل مع أبي. وقد حددنا موعدا للقاء وبالتالي فعلي أن أصل في الوقت الذي اتفقنا عليه.
- هل هي رسامة؟
- إنها مهتمة باللوحات، وهذان أمران مختلفان.
- وما الذي تريده من أبيك؟
- لا أعرف. كما أن هذا لا يخصني.
- لماذا ستقابلها إذًا؟
- لأنها فتاة جميلة.

Twitter: @ketab_n

كانت أرصفة الشارع مزدحمة بالناس، ربما يجدر أن تسجل هذه الحقيقة في كتب التاريخ. آلاف الناس خرجوا إلى الشارع في ظهر هذا اليوم الحار، يتحدثون بلا اكتراث، وينظرون إلى بعضهم وإلى واجهات المحال. ربما يفرق بينهم من وقت لآخر شخص يتزلج، لكن هذا الزحام ينفرج ببطء ثم يعود إلى شكله الأول.

بادرته قائلة:

- هل أنت رسام؟
- لا.
- مهتم بالرسم؟
- لا أعرف. لا أعتقد أنني مهتم به. في الحقيقة لا أحب اللوحات كثيرا.
- لكنك تبدو رساما.
- وهل قابلت رساما من قبل؟

فكرت لثانية إن كان مدرس الرسم الذي كان يعلمني في المدرسة الثانوية من الممكن أن يعتبر رساما أم لا.

- لا، لم يحدث من قبل.
- ثم ماذا؟
- تبدو كفنان...

خفت من أن يسألني: "وهل قابلت فنانا من قبل؟"، إلا أنه لم يفعل. في البداية ظهرت تلك التجعيدة على جانب شفتيه. ثم تمددت إلى ابتسامة.

Twitter: @ketab_n

- لكل واحد منا في المنزل هواية. فأبي رسام ومصور، أما أمي فهي مصورة وكاتبة. بينما تدرس أختي السينما، وهي تذيع برنامجا على الراديو.
- إذًا لم يتركوا لك شيئا لتفعله!
- نعم، بالضبط.

تركنا الشارع الرئيسي الذي لم يعد مزينا بالمحلات والذي كان امتدادا لشارع باجدات ودخلنا إلى شوارع ضيقة في نهايتها كان من الممكن رؤية البحر بوضوح. سار التاكسي بصعوبة بالغة، كانت الساعة الثالثة وعشر دقائق. وبهذه السرعة لن نصل إلى القارب قبل أن يتحرك. قررنا أن نغادر التاكسي ونمشي، ثم وجدنا نفسينا نجري نحو اللون الأزرق الذي كان ينتظرنا في نهاية الشارع، اجتهدنا في تفادي الناس الذين كانوا في طريقنا.

- إن تهت، فلا تنسي أن جميع الشوارع هنا تؤدي إلى البحر!

كنت أريد أن أقول له إنني بذلت مجهودا كبيرا كي أجد طريق العودة من السوق، لكننا كنا نجري بشكل جنوني وبالتالي لم أفعل.

قلت بحزم:

- لا تقلق، لن أتوه.

توقف "إريتجرول" فجأة أمام البوابات الخاصة بالمرسى. بدأ يبحث عن شيء في جيوبه. انطلقت الصفارة الحادة للقارب الذي أوشك على الإبحار. وبعد بحث يشوبه الفزع، أخرج "إريتجرول" من جيبه سلسلة مفاتيح زرقاء بها مفتاحان ووضعها في يدي.

Twitter: @ketab_n

- أحدهما هو مفتاح المبنى والآخر مفتاح الشقة.. كي لا تضطري إلى الانتظار بالخارج.

جرى عبر البوابات بعد وداع سريع. تمكن ببراعة من أن يمر من بين فرجة ضيقة بين البوابات المنزلقة في نهاية المرسى بينما كانت تغلق. قفز على ظهر القارب الذي كان قد تحرر من مراسيه ثم بعد لحظات قليلة اختفى.

نظرت إلى الشيء الأزرق الذي في يدي بينما كنت وحدي على رصيف المرسى. بدت سلسلة المفاتيح كحافظة نقود مصغرة وكان بها خرزتان أحدهما حمراء والثانية وردية. لم أستطع أن أمنع نفسي من الضحك عندما رأيت الكلمات المكتوبة على ذلك الشيء الأشبه بحافظة نقود، كان نشيدا قديما لم أسمعه منذ أن كنت في الصف الرابع تقريبا:

يا أيتها العيون الزيتونية، لا أعرف لماذا تأسرين قلبي؟ جدي حبيب أم أبي.

وصل أربعة أشخاص عند بوابة المرسى وهم يلهثون، نظروا بحزن وعيون دامعة نحو القارب الذي كان قد غادر الرصيف بالفعل. بدت عليهم بعض مشاعر الغضب تجاه بعضهم وتجاه ساعة المرسى التي يبدو أنها أسرع من تلك التي لديهم في منزلهم، تذمروا بعض الشيء. وقفنا إلى جوار بعضنا وصوبنا نظرات زائغة نحو الواقفين في الميدان المقابل للمرسى.

في البداية أردت أن أنهي مسألة الاتصال بالمنزل. بعد أن سألت المارة مرتين عن الاتجاه الصحيح، وجدت ميدانا صغيرا به صف طويل من كبائن الهاتف، ثماني كبائن بكل منها هاتف في الأمام وآخر في الخلف. كان هذا الميدان أكثر ازدحاما من المرسى، وأمام كل كبينة كان هناك على الأقل ستة أشخاص. أغلب الواقفين كانوا من الجنود الذين أخذوا إجازة لتوهم. حاولت أن أكون صبورة وقررت الانتظار. لابد وأن الجنود مشتاقون للغاية لأهلهم، كانت الصفوف تتحرك ببطء شديد، أنهى الجندي الأول الحديث مع جميع أبناء وبنات عمومته

Twitter: @ketab_n

ثم خرج من الكابينة، ضربت الوقت الذي قضاه في خمسة كي أعرف فترة الانتظار التي سأقضيها هنا. كان أمامي ثلاثة جنود وعريفان بدوا مشتاقين لأهلهم مثل الجندي الأول الذي غادر.

ندمت أنني لم أتصل بأسرتي من منزل "إريتجرول". كان الجو حارا للغاية تحت هذه الشمس الحارقة، وكان الجندي الواقف في الكابينة يحاول أن يسمع صوت ابن أخيه حديث الولادة. فكرت في أن أستسلم، وأن أذهب للجلوس على حجر في الظل حتى يأتي المساء. توقف المارة الذين أتعبهم الزحام لالتقاط الأنفاس عند المقاهي التي تطل على البحر. كان إحساسي بالمسئولية تجاه أسرتي يتزايد وقلت لنفسي إنني لن أغادر قبل أن أتصل بهم. فلو لم أفعل فسوف يحدث لهم شيء. كانت المدينة تجذبني كمغناطيس كبير وتحاول أن تحررني من هذا الطابور الذي يخرج منه كل اللكنات. أخبرت المدينة بأن تنتظر قليلا إذ لم يكن بداخلي النية للاستسلام.

لقد أصبح هذا هو الدور الذي وضعت فيه: إصلاح المشكلات الصغيرة المزعجة. أخذت منديلا من حقيبتي. كان مطبوعا عليه اسم السكك الحديدية التركية وكنت قد أخذته من كافيتريا القطار. مسحت قطرات العرق التي سالت على حاجبي. أردت أن أضحك مرة أخرى، نظرت إلى سلسلة المفاتيح التي أعطاها لي "إريتجرول"، وقرأت تلك المزحة التي يبلغ عمرها ألف عام:

جدي حبيب أم أبي...

Twitter: @ketab_n

16

- لقد أصبحت "إسكيشهر" أجمل بكثير مما كانت عليه، فقد تحولت الآن إلى مدينة كبيرة.

تناولت أنا وأمي القهوة على جانب مجرى بورسك الذي يعتبره العامة دائما نهرا. كانت أغلب الطاولات غير مشغولة. فنحن في فصل الصيف رغم كل شيء، وبالتالي فلا يوجد طلبة بالجامعة. نظر ملازمان جويان جالسان على الطاولة القريبة منا إلى الماء دون أن يتحدثا. تراجعت الحرارة أمام نسمات الهواء التي أتت من السهول التي أذكرها منذ طفولتي. إننا نتجول الآن بعد أن مررنا بالكثير من التقلبات المزاجية وبعد الكثير من الشد والجذب. من المكان الذي نجلس فيه يمكننا أن نرى منطقة كوبروباشي وجسرها وتمثال الاستقلال، والحديقة التي تمتد في الناحية الأخرى من نهر بورسك.

- لقد كنت تركبين دراجتك هنا.
- "فيرات" هو الذي كان يفعل هذا، لم أتعلم قيادة الدراجات مطلقا.
- تغيرت المنطقة كثيرا بعد أن زاد عدد الطلبة هنا. توجد الآن مقاهٍ متجاورة ومتراصة حتى بيتنا العتيق. لقد ذهب الطلبة إلى مدنهم في

Twitter: @ketab_n

بداية الصيف، وهذا هو السبب في عدم وجود الكثير من الزبائن هذه الأيام.

استدرت قليلا محركة كرسيي البلاستيكي ونظرت إلى الطاولات وإلى المظلات التي تمتد على جانب بورسك. إن هذا مكان مناسب لاستدعاء الذكريات. لكنني لا أريد أن أتذكر شيئا، فلو سمحت لذكرياتي بالتداعي فسيجري في السهول أطفال كانوا هنا قبل عشرين عاما، وفي الطريق الجانبي غير المرصوف الذي حلت محله هذه المقاهي، ستتقافز عشرات الأقدام والأيدي والأعين والأفواه الصغيرة وتثير الغبار في كل اتجاه. وعندما يهدأ الغبار فأنا أعرف أنني سأرى وجها واحدا متفردا، إنه وجه "إيمرا"، بملامحه المحفورة في جفني.

جرت مجموعة من الأطفال على طول بورسك متجهين ناحية كوبروباشي، ما إن ركزت قليلا، حتى اكتشفت أنهم جميعا ينظرون إلى نفس الاتجاه، نحو بورسك، إلى الجزء الأكثر عمقا منه. كانت هناك كرة باللونين الأحمر والأسود على صفحة المياه، وفي منتصف النهر بالضبط، في الناحية الأخرى كان هناك ولدان يحاولان أن يدفعاها ناحيتنا من خلال إلقاء الحجارة عليها.

علينا أن نجري بشكل أسرع، يجب أن نصل إلى الجسر قبل أن تصل إليه كرة "مورتي".

في أثناء هذه الجلبة، أنظر أنا و"فيرات" إلى بعضنا. على وجهه تعبير يوحي بخطورة الأمر وقلة الحيلة. الكرة التي في الماء هي كرة "مورتي"، وقد أصبحت في النهر بعد أن ركلها "فيرات"، ستمر الكرة بعد فترة قصيرة تحت الجسر. لو استطعنا أن نصل إلى الجسر قبل أن تمر من تحته فسوف نستطيع أن نصطادها بالعصي الطويلة التي نمسك بها. الجسر هو فرصتنا الوحيدة. وإن لم نستغلها فستضع الكرة إلى الأبد، وسيكن على "فيرات" أن يدفع ثمنها. وهو مبلغ يكفي لأن ينهي على كل المال الذي يمتلكه أي طفل صغير مثله.

Twitter: @ketab_n

يقود "فيرات" مجموعة الأطفال أثناء الجري، يلوح بذراعيه ويصيح بأعلى صوته ويحاول أن يجعلهم يسرعون. إلا أنهم لا يبذلون الجهد المطلوب على الرغم من هذا. فالكرة ليست كرتهم وهم ليسوا من أوقعوها في الماء. كانوا يجرون لسبب واحد وهو ألا تتوقف مباراة الكرة التي كانوا قد بدءوها. وبالتالي فقد كان "فيرات" و"مورتي"، صاحب الكرة، هما بطلا السباق الوحيدان...

- أنا هنا منذ شهر تقريبا.
- أعتقد هذا. هل مللت؟
- لا أعرف...
- ربما عليك الذهاب إلى إسطنبول لبعض الوقت.
- أمي! وما الذي يفترض بي أن أفعله في إسطنبول؟
- ما الذي يفترض بك أن تفعليه؟ سترين منزلك، وزوجك. أتساءل عن حال هذا الشاب المسكين الآن.

يتداعى إلى مسامعنا صوت مرتفع النبرة، إنها أغنية بلقانية اختلطت بالضوضاء القادمة من ازدحام السيارات في كوبروباشي. وكانت أكثر حزنا من أي أغنية أخرى.

أخبريهم ألا يبنوا بيوتهم على التلال العالية...

على بعد القليل من الطاولات كان هناك ملازم يحرك رأسه للأعلى والأسفل مع الأغنية، بدا واضحا أن الجندي الأشقر الوسيم هو من يغني. كانت عيناه مصوبتين على المياه المتدفقة في البورسك. استقر كوبان من الشاي على طاولتنا، لم نلمسهما منذ أن وضعا هنا. لم نتكلم ولم نجرؤ على الاستدارة والنظر إليهما، لذلك فقد استمعنا إلى جمال هذا الصوت المدهش:

أفتقد أمي، وأبي وقريتي...

Twitter: @ketab_n

قرب نهاية الأغنية يصبح الصوت أكثر انخفاضا، لكن نغمة الموسيقى تصبح أعلى. تغرق الأغنية في ضوضاء المدينة، ونسمعهما يضحكان. هاتان ضحكتان لشابين يحاولان أن يشتتا شعورهما بالحزن الذي تراكم داخلهما لمدة طويلة.

تستدير أمي وتنادي عليهما:

- هل أنتما من تركيا يا ولدي؟

يقول الملازم الوسيم:

- أنا من تاير يا أمي.

ثم يضرب صديقه في كتفه ويضحك:

- أما هو فمن الغجر!
- أزونكبرو، يا أمي. آسف على إزعاجك.
- صوتك جميل.
- أشكرك.

يتحولان إلى بعضهما ويصمتان كما لو أنهما يخافان من أن تستمر أمي في طرح الأسئلة عليهما. ساعدتهما في هذا بأن شغلت أمي بسؤال طرحته عليها، بينما كنت أشير إلى الحديقة الموجودة في الجانب الآخر من النهر.

- هل آخذك إلى الحديقة حتى تركبي العجلة الدوارة؟
- اذهبي أنت! مالي أنا والعجلة الدوارة!

أشعر بوجود شيء من التناغم حين أنظر إلى الضفة الأخرى، إلى حي أدالار الممتد على طول النهر، إلى المشاة الذين يسيرون ببطء كما لو أنهم يريدون أن يمضوا بنفس سرعة المياه المتدفقة في البورسك. لا يوجد هنا ما يدعوني إلى العجلة أو البطء. لكنني لست شجاعة بما يكفي كي أترك نفسي لمد وجذب ما نطلق عليه

Twitter: @ketab_n

"سعادة الحياة"، تلك السعادة التي ندركها حين ننظر للآخرين. لذا فالسعادة التي انتابتني لم تكن سوى بحيرة.. بحيرة لا تتضاءل ولا تزداد، وليس لديها أي طموح كي تصبح محيطا.. حتى متى؟ هل هذا شيء يمكنني تحديده؟

- ربما يكون أفضل شيء تفعلينه هو الذهاب إلى إسطنبول.
- هل تشعرين بالملل لوجودي معك؟
- لا تقولي هذا.
- إذًا لِمَ تريدينني أن أرحل؟
- عزيزتي، أنت تنتمين إلى هناك.

دفع الجنديان ثمن الشاي الذي برد دون أن يشرباه ثم نهضا. مرا بجانبنا وهما حريصان ألا يزعجانا، رفعت أمي يدها وأوقفتهما:

- لقد درست لمدة عام في مدرسة في كيركلارلي، هل تعرفها؟ إنها مدرسة ابتدائية...

يبتسم الملازم ذو البشرة الفاتحة بأدب:

- سأرسل لهم تحياتك.

مشيا ببطء ناحية كوبروباشي.

Twitter: @ketab_n

17

أجلس على أريكة في الشارع في مكان يطلق عليه مودا بيرنو (قبعة مودا) وبجوار تمثال نصفي للممثل "هالدن تانر" ينظر لزجاجة المياه الغازية التي في يدي. بدأ الغسق يخيم على المدينة، ومع تراجع سخونة الجو، بدا ازدحام الناس والمرور في الشارع خمسة أضعاف ما كان عليه في ذروة النهار.

لم يكن يومي مثمرا. لكن روحي المعنوية لا تزال مرتفعة. لم يكن لدى أسرتي الفرصة للشعور بالقلق علينا إذ انشغلوا بالكثير من الأشياء التي جدت مؤخرا. وقد أخبرتهم أننا في داتشا، فصدقوني على الفور. نعم كنت أتصل من كابينة في الشارع، لم يكن لدي رقم البنسيون الذي استقررنا فيه، "فيرات" بخير حال، لابد وأنه لايزال نائما. كان أكثر أسئلة أبي صعوبة هو سؤاله عن وجود حمام في غرفتنا، أجبته: "نعم لدينا حمام"، تثاءب وتمنى أن نستمتع بوقتنا.

في الساعات القليلة التالية تجولت في الشوارع. همت على وجهي بين باعة الحلي والزهور والكتب التي تباع بنصف ثمنها. مر الوقت وأنا أذوب في شوارع كاديكوي وأستمتع بالتوهان فيها، إنها شوارع غير مستوية يتطلب المشي فيها مجهودا. من المستحيل أن يضل المرء طريقه هنا وهذا ما جعل التيه في هذه

Twitter: @ketab_n

الشوارع أمرا ممتعا وجذابا. فإذا ما مرّ المرء بأي من الشوارع الضيقة، فإنه لابد سينتهي عند شاطئ البحر كما قال "إريتجرول". وبالتالي كانت سهولة العثور على الطريق الصحيح تغري الناس بتجربة المرور بكل طريق. استخدمت إحساسي الذي لا يخطئ بالاتجاهات والذي اشتهرت به منذ طفولتي. لم أقرأ اللافتات التي تحمل أسماء الشوارع، فلم أكن أحاول حفظ أسماء الشوارع التي أمر بها. لم أنظر إلى نوافذ العرض الخاصة بالمحلات ولا إلى الأشجار أو غائط الكلاب على أنها إشارات قد تفيدني في العودة إلى الطريق الصحيح، وإنما نظرت إليها ونسيتها فحسب.

كانت المنطقة التي يمكن استكشافها هنا كبيرة للغاية بالنسبة لي غير أن بها الكثير من التفاصيل إلى الحد الذي قد يجعل المرء يستسلم ويعود. شعرت أنه من الصعب علي أن أدرك كل ما حولي وبالتالي فقد كان من العبث أن أسير بمعدل أسرع. بعد فترة بدا المشي أمرا عبثيا أيضا. لذلك فقد توقفت.

أستطيع أن أرى من هنا الجوامع الكبيرة التي في الجانب الآخر، وشاطئ البحر الذي يصل مودا بيرنو بمرسى العبارات وقوارب الشحن الراسية في البحر. كنت أحتاج إلى المزيد من الوقت كي أدرك هذا المنظر. لم أكن سائحة ماهرة، فلم أستطع أن أنتقي ما أريد أن أراه، فكل ما مرت به عيناي كان مهما بالنسبة لي. حديقة الشاي أو مسجد سليماني، أو قصر توبكابي أو نادي كافيرَجا الرياضي، كلها كانت أشياء مهمة بالنسبة لي. فكلها كانت جديدة علي ومدهشة.

جلست إلى جانب تمثال "هالدن تانر" لوقت طويل. قمت مرة واحدة كي أشتري بعض الطعام. كانت الشمس متوهجة بلونها الأصفر الساطع وتتوسط سماء صافية. شاهدتها وهي ترحل إلى الغرب ولاحظت تغير الضوء الواقع على المنازل من خلفي. كانت هذه منازل لطيفة للغاية. من الواضح أن ساكنيها كانوا يستمتعون بالضوء والنور في جميع أيام السنة. لابد وأنهم مختلفون عنا، نحن الذين نحملق في غرف تضاء بضوء خافت كئيب طيلة النهار.

Twitter: @ketab_n

هناك اختلافات هامة تفصل بين هذه المدينة الساحلية والمدن الصغيرة التي لا ترى البحر. إذ يكفي أن تقضي ساعات قليلة على البحر حتى تقع في غرام هذه المدينة. سوف تجذبك هذه المدينة وتربطك بها بمجرد أن ترى الشمس وهي تضحك خلف مراسي قوارب الشحن، إنه منظر ملائم جدا كي يصبح صورة على بطاقة بريدية. في حين أن المدن غير الساحلية لا تتمتع بهذه الميزة. فعلى المرء أن يجتهد كي يحب مثل هذه المدن. إذ يجب عليك أن تجد المباني المميزة فيها وأن ترى العلاقات التي تربطها بالناس الذين يعيشون بها، وأن تستكشف كل أسرارها الغامضة. الآن أدرك ما الذي جعلني أشعر بالخوف في أول لقاء لي مع إسطنبول. فقد كنت أريد أن أستكشفها بنفس الطريقة التي أستكشف بها المدن غير الساحلية.

وضعت زجاجة المياه الغازية على الأرض بجانب الأريكة التي أجلس عليها حيث كانت في يدي لما يزيد على نصف الساعة. مددت رجلي وملت للأمام ووضعت رأسي على الحائط القصير عند بداية التل المنحدر للأسفل. لم تصل قدمي للحائط وكان الجزء العلوي من جسدي موازيًا تقريبا للأرض. نظرت إلى جسدي، ورأيته وهو يهتز مع كل نفس أستنشقه. يمكنني سماع أبواق السيارات في الشارع من خلفي وأصوات الناس وأصوات إطارات السيارات تصطك بالأرض بسبب توقف مفاجئ، على جانبي الطريق المؤدي إلى مودا جلست مجموعات من الأولاد والبنات. ينخرطون في الضحك بين الحين والآخر، وفاح إحساس بالفراغ والراحة من هذه الضحكات.

ثم فجأة سمعت شخصا ينادي باسمي من خلفي.

استدرت برأسي بقدر ما استطعت، كان هناك ظلان خلفي مباشرة، لم أكن أعرف الشخص الذي وقعت عليه عيني أولا، كان ولدا داكن الشعر له مظهر يشبه مظهر الغوريلا كما كان يحمل خوذة دراجة نارية في يده، ولم يكن ينظر نحوي،

Twitter: @ketab_n

بدا كما لو أنه لم يعرفني من قبل، استدرت قليلا فرأيت "جولايد" تبتسم نحوي بشعرها الذهبي وزينتها الرائعة التي تبهرك حتى في ضوء المساء الخافت.

قالت وهي تصيح بنبرة أعلى:

- "أردا"، هل هذه أنت حقا؟

عانقنا بعضنا، وشعرت بأنني على وشك فقدان الوعي من رائحة عطرها. انتهى العناق فنظرت إليها. كانت ترتدي بلوزة قصيرة بدون أكمام تكشف عن بطنها وبنطلونا جلديا ضيقا يصل حتى ما بعد ركبتيها كما كانت ترتدي حذاء له كعبان رفيعان للغاية. على كتفها وشم على شكل رسم لم أعرف دلالته، لقد كانت "جولايد" بكل سحرها تقف أمامي.

بعد هذه الصدمة المبدئية قدمتني بالإنجليزية للولد الواقف بجوارها. قالت إنني "أردا"وقالت اسمه. من خلال ما تعلمته في المدرسة الثانوية من دروس الإنجليزية، تبينت أن "جولايد" كانت تحكي له كيف تعرفت علي ولماذا هي مسرورة للغاية لرؤيتي هنا الآن.

- وماذا تفعلين هنا يا "أردا"؟

كانت "جولايد" تعيش في حينا، وكانت أكبر مني بعامين أو ثلاثة. وقد اعتدنا منذ نعومة أظافرنا أن نلعب مع بعضنا. إنها أول من استخدمت المكياج من بين بنات الحي وأول من خاض الناس في سيرتها، وأول من يقرر والدي أنني لا ينبغي أن أكون صديقة لها. كانت جميلة، حسنا لقد كانت بهية المنظر، وكانت الفتيات يحملقن دائما بحقد وغيرة إلى ثدييها اللذين كبرا ونموا مبكرا جدا. وكان أكثر ما أحببته فيها هو اسمها: "جولايد".. كم تمنيت أن يكون لي اسم جميل كهذا.

قلت:

Twitter: @ketab_n

- لقد جئت إلى هنا مع "فيرات". وسنمكث هنا لثلاثة أو أربعة أيام على ما أعتقد.

مرت غمامة في عيني "جولايد" ما إن سمعت اسم "فيرات". كانت هذه غمامة حزينة لكنها كانت صغيرة وغير مؤذية على الإطلاق:

- حسنا، حسنا.. وما الذي يفعله السيد "فيرات" هذه الأيام؟
- إنه بخير. لقد تخرج هذا العام.
- لقد كان يدرس هنا، أليس كذلك؟
- بلى، وماذا عنك أنت؟

قالت وهي تنظر بطرف عينها إلى الغوريلا الواقف على بعد خطوات قليلة ويبدو عليه الملل:

- لقد انضممت إلى وكالة، وقد أمثل دورا في فيلم سينمائي.
- هل هو حبيبك؟
- لا أعرف.. أعتقد أنه كذلك.

للحظة فكرت في أن أخبر "جولايد" عن سبب وجودنا هنا. فعلى الرغم من التحول الكبير في مظهرها الخارجي، لم يبد أنها تغيرت كثيرا. كان صوتها والطريقة التي تنظر بها إليك تجعلك تفتح لها قلبك وتخبرها بكل أسرارك. كنا نشعر بالكثير من الراحة ونحن مع بعضنا نتحدث عن خطايانا الخفية. وعلى الرغم من أن "جولايد"كانت كابوس الأمهات الأول إلا أنها كانت مستمعة جيدة للغاية. لم تتعامل معي من قبل على أنها أكبر مني أبدا. وإنما كانت تتعامل بجدية كبيرة مع الأشياء التي كنا نعاني منها وكانت تقترح حلولا أيضا. لهذا، فقد كنت أشعر من داخلي أنني أريد أن أخبرها بكل المتاعب التي وقع فيها "فيرات"، لكنني لم أفعل. كانت الغوريلا العابسة لا تزال تنتظر انتهاء حديثنا.

Twitter: @ketab_n

همست بصوت يذكرني بـ"إسكيشهر": "ستوصلين تحياتي إلى "فيرات"، أليس كذلك؟ آسفة لأنني متعجلة للغاية".

بحثت في حافظتها الصغيرة المغطاة بالترتر وأخرجت قلما. لم يكن لدى أي منا أي قطعة ورق لذلك كتبنا أرقام هواتفنا على أيدينا. يمكنني الاتصال بها إن أردت أي شيء. أخبرتني بأن لديها الكثير من الأصدقاء في المدينة. ثم افترقنا بين الضحكات والابتسامات. ملأ عطرها منخاري مرة أخرى. رأيتهما وهما يبتعدان صوب موداوكان. لون السماء الأزرق يزداد عمقا.

Twitter: @ketab_n

18

عدنا إلى المنزل مع حلول المساء، ونحن دائما ما نفعل هذا، حيث تجد أمي دائما أعذارا لعدم الخروج من المنزل لكننا ما إن نخرج حتى تنعدم لديها الرغبة في العودة إليه، فكل حركة ضئيلة تحدث من حولنا تجذب انتباهها. الفتاة الصغيرة التي تبيع الورد، جسم معدني تسحبه مياه بورسك، سحابة كبيرة داكنة تنبئها بأن السماء قد تمطر الليلة، كل هذا يخلق روابط سريعة وجديدة بينها وبين الحياة. بينما كانت تتحدث مع بائعة الورد، فكرت في أن هناك الكثير من الطرق للتشبث بالحياة. لكن جهود أمي لإبقاء ما بداخلها على قيد الحياة، لا تؤدي في النهاية إلى شيء. فعلى الرغم من أن صلتها بالحياة وثيقة إلا أنها متقطعة، وعلى الرغم من أنها متعمدة إلا أنها اعتباطية وغير مخططة. ربما يكون استجماع قوانا وجهودنا للوصول إلى الهدف لا علاقة له بالرغبة في الوصول إليه. فنحن نشكل علاقتنا بالعالم من خلال خبراتنا كما نشكلها من خلال رغباتنا. وعندما تمر الأيام، فإن خبراتنا الصغيرة ستتجمع لتشكل كيانا أكبر، ستتجمع بفضل مواهبنا وصبرنا ودون تدخل منا.

لم تستطع أمي أن تستخدم مواهبها في التشبث بالحياة على الإطلاق وكان هذا مثيرا للشفقة.

Twitter: @ketab_n

ترمي جسدها المرهق على أقرب كرسي، ولو أن أحدا رأى حالتها الآن فإنه حتما سيعتقد أنها نجت بالكاد من عذاب غير محتمل. كما لو أنها لم تكن هي من سحبتني خلفها في الشوارع طيلة الساعات الماضية.

- على أي حال فأنا ممتنة لأننا عدنا سالمتين يا عزيزتي، اذهبي وارتدي ملابس مريحة بشكل أكبر.

وأنا أخلع فستاني في غرفتي، أفكر مرة أخرى في الخطاب. أتوقف قبل أن أفك آخر زرين في الفستان، ثم تذهب عيناي نحو الدرج الذي به الخطاب. كنت أعلم أنني سأرغب في قراءة هذا الخطاب مرة أخرى. لكنني مدهشة من أن هذه الرغبة أتتني بهذه السرعة. حاولت أن أؤجل هذا، خلعت ملابسي ببطء وارتديت تي شيرت قديمًا من ملابس "فيرات". فتحت الدرج والتقطت الخطاب الذي كان فوق بعض الشهادات المدرسية. من الغريب بالنسبة لي أن أشم رائحة اللبن المغلي مرتين في نفس اليوم، فهي رائحة لم أشمها منذ سنوات.

قال "إريتجرول" إنه سيكون هنا خلال أيام قليلة. لكن من المؤكد أن هناك طريقة لإثنائه عن المجيء. يمكنني أن أكتب له خطابا يثبط من رغبته هذه، لكن لا يوجد عنوان على الظرف ولا على الخطاب. يشير ختم البريد إلى مدينة تركية بعيدة للغاية. مدينة لم أذهب إليها من قبل. أحاول أن أتخيل "إريتجرول" في موقع بناء تحت شمس الجنوب الحارقة، وتحت كل الأتربة والغبار المتصاعد من أعمال الإنشاء، فيبدو وجهه الهادئ المسرور غريبا واهنا. كما لو أنه قد لصق على جسده.

أتذكر أنه أحب وظيفته حين كان شابا صغيرا، وكان يحب حسابات الخرسانة المسلحة وهو في الجامعة، فكان يهرب من بيته المهووس بالفن ويتركه إلى أحضان الهندسة. كان يقول بنبرة شخص وجد هويته للتو: "على

Twitter: @ketab_n

الأقل الهندسة بها بعض اليقين، فالعمود إما أن يقوى على حمل العارضة الخرسانية أو لا يقوى".

خطر ببالي أن أذهب إلى إسطنبول في أول أتوبيس يغادر في الصباح، فكرت في أن أذهب وأحتمي بمنزلي الذي بدا مثل موقع معركة لا يمكن التنبؤ بنتيجتها حين غادرته، فكرت في أن أذهب إليه ولا أخرج منه ثانية. ربما هذه هي الطريقة التي يفهم بها المرء أمه، شيئًا بشيء. سمعت صوتا داخليًّا يخبرني بأنني سأكون بأمان هناك، وأنه لن يمكن لأي شخص أن يجدني في هذا المنزل.

يقول الصوت: "في هذه الحياة لن تؤذيك إلا نفسك، لا يمكن لأحد أن يؤلمك". بينما يقول صوت آخر بداخلي: "أنتِ فقط من يمكنها أن تؤذي نفسها".

بدا واضحا أننا استنشقنا في يوم واحد كميات من الأكسجين أكثر مما هو جيد لنا. ربما لهذا شعرنا ببعض الإرهاق لبقية المساء. تسألني أمي بشكل متكرر وبخوف إن كان هناك ما يسمى "التسمم بالأكسجين". تشعر بدوار. أخبرها بأنها ستكون بخير لو نامت في موعد مبكر قليلا، فلا تقول لي أي شيء. بعد قليل نشعر بالجوع، وكان من المستحيل أن تطهو أي منا، لذا فقد اقترحت أن نخرج ونشتري طعاما جاهزا، تحاول أن ترشدني إلى بعض المطاعم القريبة وإن كانت تتذكرها بصعوبة. في النهاية تقول بشكل مقتضب: "لا أمانع في أي شيء، اطلبي لي بعضا مما ستطلبينه لنفسك".

ارتديت بنطالا من الجينز وتي شيرت وخرجت. مسدت نسمات الهواء الباردة جلدي، مشيت بخطوات مسرعة نحو الزاوية التي يتقاطع عندها شارعنا مع الطريق الرئيسي الذي يوجد به مطاعم هامبورجر فتحت حديثا، وقفت خلف أطفال صغار أمام خزينة الدفع. سوف ينطلقون من هنا إلى أماكن الترفيه التي افتتحت مؤخرا، حاولت أن أجد من بين وجوههم وجها واحدا مألوفا لي لكنني لم أكن أعرف أيا منهم.

Twitter: @ketab_n

ما إن خرجت من مطعم الهامبورجر حتى لاحظت شيئا ما. بحثت في عقلي للحظة ثم تذكرت فجأة، لقد كان هذا المكان محلا لتأجير شرائط الفيديو التي كانت منتشرة في صغرنا. هل يمكن أن أكون مخطئة؟ لا، لا يمكن أن تكون ذاكرتي قد خدعتني. أتذكر الرجل القصير الوسيم الذي كان يرتدي ملابس أنيقة للغاية في الصيف والشتاء، وهو يقف خلف خزينة الدفع، تصطف على الأرفف من خلفه أجهزة تسجيل من النوع بيتماكس، الغريب أن أبي لم يكن يرتاح له مطلقا ولم يكن يستطيع أن يخفي هذا. أرسلت تحية قلبية لمحل تاشكين لشرائط الفيديو، ومضيت في طريقي خوفا من أن تبرد سندوتشات الهامبورجر.

نمت مبكرا اليوم وعلى غير عادتي، ربما بسبب ما تدعوه أمي بثقة كبيرة "التسمم بالأكسجين". قالت أمي إن أجسادنا غير معتادة على الهواء الطلق، وإنه أتعبنا. عند منتصف الليل، اتصلت بعلي في إسطنبول وتكلمت معه. تبادلنا محادثة قصيرة حافظنا فيها على وجود مسافة بيننا، تكلمنا عن حال منزلنا وقططنا. شعرت بألم شديد لأنه وحده في المنزل منذ فترة طويلة وأنه يمضي مساء الخميس وحيدا. أخبرني بأنه على ما يرام، وأنه مستمر في العمل بالعيادة (علي يعمل طبيبا، إنه أفضل طبيب أطفال في العالم) وأن قططنا تفتقدني. قلت له: "قد أعود قريبا، لا تفرط في شرب السجائر".

أخبرت أمي أنني لم أعد أستطيع مقاومة النوم أكثر من هذا، وذهبت إلى غرفتي بينما كنت أترنح من جانب لآخر. أومأت بدلا من أن ترد، وخفضت صوت التلفزيون بالريموت كنترول الذي كان في يدها.

Twitter: @ketab_n

19

جريت مسرعة نحوه عندما رأيته أمام العمارة السكنية. بدا "فيرات" غير سعيد. من الواضح أن يومه لم يكن جيدا. تفاجأ عندما عرف أن معي مفتاح الشقة، وقال إنه انتظر أمام العمارة لنصف ساعة. كان الفضول يلتهمني لمعرفة ما دار معه اليوم، لكنني لم أسأله. اعتقدت أنه سيخبرني من تلقاء نفسه.

كان المفتاح الاحتياطي، نسخة سيئة من المفتاح الأصلي. وبالتالي فقد دخل في القفل لكنه لم يفلح في تحريكه في الاتجاه الصحيح. حاول كل منا مرتين. وما إن قاربنا على الاستسلام، حتى حالفنا الحظ بشكل لم نستوعبه، حيث قام "فيرات" بتحريك المفتاح ثم سمعنا صوت القفل والباب ينفتحان.

عندما وصلنا إلى درجة السلم الأولى، انفتح أحد الأبواب في الطابق السفلي، أخرج رجل رأسه الذي يشبه رؤوس العصافير ونظر نحونا. حاول "فيرات" أن يخبره بأننا ضيوف جاره الذي يسكن بالأعلى لكن كلماته كانت ملتفة ومعقدة، وقد كانت هذه طريقته في الحديث بشكل عام. حيث كان يحول الأمور المباشرة إلى متاهات. إن الرجل لم يسألنا عن أي شيء، وإنما اختلس النظر إلى غريبين لم

Twitter: @ketab_n

يرهما من قبل. ثم قال بصوت ضعيف ورفيع بشكل يؤلم القلب: "لقد أفزعتماني، اعتقدت أن هناك من يكسر الباب الأمامي".

في المنزل، جلسنا لفترة طويلة ولم نفعل أي شيء. تأخر "إريتجرول"، ولأننا مجرد ضيفين فقيرين في مدينة غريبة فلم نفتح حتى الأنوار، وإنما جلسنا ننظر عبر النافذة إلى ظلال جزر بعيدة تكبر أكثر وأكثر مع مقدم الشفق، ولم نتحدث على الإطلاق. عندما أصبح المكان مظلما للغاية ولم نعد نستطيع رؤية بعضنا، سمعت تنهيدتين عميقتين من ناحية "فيرات".

حين وصل "إريتجرول" بعد ساعة ونصف، قام بفتح النور فوجدنا أمامه كشبحين يستمتعان بالظلام.

- أنتما هنا! لماذا تجلسان في الظلام؟

عندما انفتحت كشافات السقف فجأة، لم أستطع أن أفتح عيني من النور. ومن خلال الضوء الملون لهذه الكشافات رأيت "إريتجرول" يضع الأكياس التي في يده على الطاولة، ويسير نحو النافذة. كان "فيرات" يشعل سيجارة من أخرى، وقد أدى هذا إلى تشبع المنزل بالدخان. أردت أن أخترق الصمت القابع على المكان فسألت "إريتجرول" عن موعده مع هذه الفتاة.

قال ضاحكا:

- كان لقاء فاشلا للغاية، أتمنى لو أنني أتيت معك.
- لماذا؟ ألم تعجبك الفتاة؟
- كانت هي الفشل بعينه.

قلت:

- إن هذا يدعو للأسف.

Twitter: @ketab_n

وكنت أشعر بالأسف بالفعل تجاهه لسبب ما.

- لا عليك، فهناك الكثير من الفتيات في الجوار.

قالها وهو يحمل الأكياس إلى المطبخ، توقف أمام "فيرات" الذي لم ينطق بكلمة منذ أتى "إريتجرول". سأله بنبرة جادة:

- كيف حالك؟

- لست بخير على ما أعتقد...

قالها "فيرات" بصعوبة شديدة.

لكزه "إريتجرول" بالأكياس على كتفه وقال:

- سوف نتحدث ونحن نتناول العشاء، لقد أحضرت الكثير من الطعام.

أعددنا مائدة أنيقة. لم يكن "إريتجرول" طاهيا سيئا، غير أنه كان يطهو باستمتاع وبسعادة. لقد اشترى طعاما سهل الطهي، لكنه في الوقت نفسه يجعلك تشعر بأنك ستتناول وجبة جيدة. ساعدته في إعداد الطعام، ومن حين لآخر كان أحدنا يخرج رأسه وينظر نحو "فيرات" الجالس بمفرده في غرفة المعيشة.

مع أننا كنا مشغولين بالطهي، إلا أننا حاولنا أن نتحدث بصوت مرتفع يمكن لـ"فيرات" أن يسمعه، وكان حديثنا يدور حول المسلسلات التليفزيونية والأفلام القديمة التي شاهدناها، حاولنا أن نزيح جانبا الضباب الكئيب الذي ملأ المنزل. لم أعترض وإنما وافقت على أن أمثل دور السيد سبوك بينما اعتمد "إريتجرول" على أنه مضيفنا ولعب دور القبطان. قمنا بإعداد الكفتة وسلطة الخس بينما كنا نحاول أن نصد هجوم المركبات الفضائية التابعة للأعداء والتي كانت تهاجمنا من ناحية النافذة أو شفاط الهواء الموجود فوق الموقد.

Twitter: @ketab_n

مرت نصف ساعة، نظر بعدها "فيرات" إلى الطاولة، وهنأنا على ما قمنا به بصوت أكثر اطمئنانا. طلبنا منه أن يأتي ويجلس معنا على الطاولة، أو أن يختفي بعيدا من هنا حتى ننتهي. ابتسم، وقال إنه سيمكث معنا.

عاد "إريتجرول" إلى المطبخ، وأخرج زجاجة من الخمر كان قد أخفاها كي تكون مفاجأة الليلة. جلس"فيرات" في نفس المكان الذي جلس فيه عند تناول الإفطار هذا الصباح. أرسلت له ابتسامة أخوية، نظر إلي وأدار رأسه بعيدا. ثم نظر إلي مرة أخرى بعينين لم أرهما كذلك من قبل، وحاول أن يبتسم. ربما كان الضوء المسلط من كشافات السقف والذي كان يربت على وجهه هو السبب في أنني اعتقدت أن عينيه قد امتلأتا بالدموع. قبلت علامة الامتنان الخاصة التي أرسلها إلي، شيء ما بداخلي لا أعلم مصدره دفعني إلى الإمساك بيده. في هذه اللحظة، شعرت للمرة الأولى في حياتي أنني لست تابعة، لست حمقاء سحبها "فيرات" خلفه، وإنما شخص وجوده مهم، شعرت كما لو أنني أخته الكبرى، حتى إنني تفاجأت من هذه المشاعر.

بدأ العشاء بإحساس مريح بالمحبة. لم أتناول سوى سندويتش نقانق صغير منذ الصباح، لذا فقد كنت جائعة للغاية، وبالتالي أكلت بنهم وشهية مفتوحة. كان "إريتجرول" منشغلا بالحديث عن مهارات الطبخ التي نتمتع بها، وأننا كان من الممكن أن نضيف المزيد من زيت الزيتون، أو أننا أسرفنا في إضافة التوابل إلى السلطة. للأمانة، كان الإسباجيتي جيدا. كنا نراقب "فيرات" بجانب أعيننا، محاولين ألا نبدي قلقنا عليه. لم يبد جائعا مثلنا، لكنه بدا أكثر هدوءا. بينما كنا نستمتع بمذاق الخمر الأبيض المثلج جيدا، تحدثنا عن الروايات المصورة والمسلسلات التلفزيونية القديمة.

بعد فترة، وعندما هدأ جوعنا، سادت فترة من الصمت. أدركنا أن هذه وقفة تسبق الدخول في تفاصيل أكثر قسوة. كان على واحد منا أن يتحلى بالشجاعة

Twitter: @ketab_n

وأن يبادر "فيرات" بالحديث. نظرت أنا و"إريتجرول" إلى بعضنا للحظة. تنهد"إريتجرول"، وأخذ زجاجة الخمر وملأ كؤوسنا بدءا بكأس "فيرات".

قال:

- احك لي ماذا حدث؟

بدا أن "فيرات" سيستمر في صمته لفترة، وأنه لن يجيب وسيستمر في اللعب بما تبقى في طبقه من طعام، كما بدا أننا سنحبس أنفاسنا وننتظره كي يخبرنا وأن الصمت سيمتد ويمتد، لأن "فيرات" لم يكن يعرف من أين يبدأ. وكي أمنع كل هذا من الحدوث فقد حاولت مساعدة أخي.

قلت:

- كيف حال "إيسرا"؟ هل هي بخير؟
- لا ليست على ما يرام.
- لماذا؟
- إنها تبكي على الدوام، تقول إنها لن تتحمل ما سيحدث حين نذهب إلى الطبيب، لقد فقدت شجاعتها بالكامل.

قال "إريتجرول":

- من الطبيعي أن تشعر بالخوف، ضع نفسك مكانها.

عادت النظرة الآسفة إلى وجه "فيرات":

- أنا.. أنا أحاول أن أفهم ما تشعر به، وأن أفكرَ فيما كنت سأفعله لو أنني في مكانها.
- ما الذي كنت ستفعله؟

Twitter: @ketab_n

- لا أعرف، ربما كنت سأحتفظ بالطفل.
- هذا مستحيل، وأنت تعرف أنه مستحيل.

كان "فيرات" يضرب بالشوكة التي في يده على الطاولة بإيقاع ثابت. كان إيقاعا غريبا يشعرك بأن هناك من يقرع طبولا تحت الأرض. حنى رأسه وقال بنبرة حزينة:

- هل هذا ممكن؟
- ماذا؟ هل ستصبح طالبا في الصف الأول من الجامعة ولديك أطفال؟

قلت:

- ما الذي حدث؟ لم تكن تفكر بهذه الطريقة في "إسكيشهر".

قال "فيرات":

- لا، لم أكن أفكر هكذا.
- ما الذي غير تفكيرك؟

لم يرد، لكنه زاد إيقاع الشوكة على الطاولة قليلا.

ابتسم "إريتجرول" قائلا:

- هل تريد أن تكون أبا؟

ترك "فيرات" الشوكة التي كانت في يده.. أخيرا تخلصنا من هذه الضوضاء الغريبة. بصوت أتى من أعماق حلقه، بشكل ذكرنا بأفلام الإثارة القديمة، قال:

- إنها تريد أن تتركني.

Twitter: @ketab_n

كان هذا دورنا كي نفكر في الموقف. نظرت أنا و"إريتجرول" إلى بعضنا وحاولنا أن نفهم عبارته الأخيرة. كان الصمت يجعل الأمر أثقل بكثير. سألته أول سؤال جال بخاطري:

- ألا تحبك؟
- إنها تريد أن تسافر بعد الثانوية.
- إلى أين؟
- إلى الخارج.. أمريكا، إنجلترا، إلى أي مكان...

قال "إريتجرول" الذي كان ينظر نحو "فيرات" بقلق شديد:

- ما علاقة هذا بالموضوع الآخر؟
- لا أريدها أن ترحل.
- بمعنى؟
- لو احتفظت بالطفل فلن تتركني.

رفع رأسه، ونظر إلينا مباشرة، كان صوته متعبا لكن به الكثير من العزم. تنهد "إريتجرول"، ومال بظهره إلى الخلف على المقعد. كان من الصعب الحكم على كلامه، فربما هو مليء بالتوتر أو الشك أو اليأس. بالنسبة لي، لم أعرف ماذا أقول. فكل ما جال بخاطري بدا تافها مقارنة بالموقف. تمايل "إريتجرول" إلى الأمام والخلف على كرسيه لفترة ثم وضع يده على كتف "فيرات".

- ماذا قلت لتوك؟
- ربما بدا ما قلته غبيا، لكنني قلت ما أشعر به.

Twitter: @ketab_n

- ليس هناك ما يبدو غبيا فيما قلت، وإنما هناك أمور لا أفهمها. أولا، أمامها سنة أخرى قبل أن ترحل. يلزمها أن تجتاز الامتحانات وأن تقبلها مدرسة...
- لديها خالة في أمريكا.
- على أي حال ألن تلتحق بالمدرسة هناك؟
- بلى.
- جيد، إنها قد تحتاج إلى ما يزيد على السنة كي تعد لهذا.
- فعلا؟
- لا تقلق مبكرا جدا هكذا.
- أنا فقط لا أعرف...
- أقول لك إن الوقت مبكر جدا على أن تقلق بهذا الشأن. وما الذي يدريك أنها لن ترحل حتى لو احتفظت بالطفل؟

وقف "فيرات" دون أن ينبس ببنت شفة، لاحظت عينيه وهما يمتلئان بالدموع.

- إنها لا تحبني.
- ربما، لكن عليك أن تحترم اختياراتها.
- هل يجب أن أتركها ترحل؟
- نعم، دعها تذهب.
- الكلام سهل...
- نعم، بالضبط، لكن على المرء أن يقتنص الفرص حين تواتيه.
- ماذا لو لم تعد ثانية؟
- سأقول إنها فتاة ذكية إذًا.

Twitter: @ketab_n

صمتنا جميعا، شعرت أنني خارج هذه المسألة. فهذه الأشياء ينبغي أن يتبادل النقاش فيها أشخاص لهم ذكريات متبادلة. أحسست بألم كبير حين أدركت أنني و"فيرات" ليس لدينا سوى القليل من الذكريات المشتركة حتى الآن. صُبَّت الكؤوس الثلاثة وأُخِذ من كل واحد منها رشفة.

سألني "فيرات" إن كان لدي مناديل ورقية، فأعطيته العلبة التي معي، كان صوته مختنقا.

- لماذا تقول إنها ستكون ذكية لو لم تعد؟
- لأن هذه هي الحقيقة.
- هل أنت متأكد؟
- هل ستعود أنت لو كنت مكانها؟
- أنا أحب هذا المكان.
- أي مكان تعني؟ إسطنبول؟ تركيا؟
- إسطنبول بالطبع، وتركيا أيضا.
- دعنا من هذا الكلام العام، من فضلك...
- أنا لا أقول كلاما عاما، أنا فقط أقول ما أؤمن به. أعتقد أنك لن تعود لو واتتك الفرصة.
- لن أقترب حتى من هنا.
- لماذا؟
- لأنني ذكي.
- وهل نحن أغبياء؟
- لا أعرف. الشيء الوحيد الذي أعرفه جيدا هو أن أي شخص تواتيه الفرصة لترك هذه البلاد فلن يفوتها أبدا.

Twitter: @ketab_n

- طلبت ألا نطلق التعميمات.
- حسنا، يمكنني أن أقول إن أيا منا لن يفوت فرصة الخروج خارج هذا البلد لو واتته.
- من تقصد بكلمة منا هذه؟

فتح "إريتجرول" ذراعيه واسعا كما لو أنه يريد أن يحتضننا:

- أنت وأنا و"أردا".. وبالطبع فإن هذا يشتمل على "إيسرا" وبقية الشباب. هذا ما قصدته بكلمة منا.

كان دخان السجائر يضايقني ويدمع عيني. وكنت أشعر أن تفكيري أصبح بطيئا. لم يكن علي أن أشرب كأسا ثانية من الخمر. سألت إن كان بإمكاني أن أفتح نافذة أخرى. لم يردا، عندما فتحت النافذة التي أغرقت الغرفة بالضوء في النهار، مسدت نسمات الهواء الباردة وجهي، كانت إسطنبول تتلألأ تحت سماء صافية مليئة بالنجوم.

- لم أر أي مكان آخر غير "إسكيشهر" وإسطنبول، ربما زرت مدنا أخرى صغيرة، لكن لكل شخص مكانه في هذا العالم، لكل شخص وطن، لا يمكنك أن ترحل وتترك وطنك.
- هل هذا وطن بالنسبة لك؟
- بالطبع!
- جيد، إذًا...

أصبح صوت "إريتجرول" مرهقا.

استأنف "فيرات" بعد أن سكت لبرهة.

Twitter: @ketab_n

- أنا لست الشخص الوحيد الذي أحفظ قصيدة العم عن ظهر قلب، أليس كذلك؟

أغلق "إريتجرول" عينيه مبتسما، وضع يده على كتف "فيرات" وهمس بكلمات من القصيدة التي كنت أسمعها للمرة الأولى في حياتي في تلك الليلة:

- لن تجد بلدا جديدا لن تجد مدينة جديدة ستتبعك المدينة إلى حيث تذهب الطريقة التي تعيشين بها حياتك في هذا الركن الصغير هي الطريقة التي ستقضين بها حياتك في كل أنحاء العالم.
- لكنك لم تقل الجزء الأوسط من القصيدة.

رد "إريتجرول":

- العم "قسطنطين" أناني جدا، إنه يخاف أن يفقد حبيبته، تماما مثلما تخاف أنت.

قالها ثم نهض متوجها نحو المسجل الموجود في الناحية الأخرى من غرفة المعيشة، بدأ يقلب الشرائط. ثم سمعت صوت هسيس خفيف في البداية، بعدها انساب صوت مقطوعة موسيقية لا أعرفها وملأ البيت إشراقا، فقد حلت الألحان والنغمات محل الصمت الذي كان على وشك المكوث مرة أخرى بيننا.

- ما الذي كتبتِه على يدك؟

عندما سألني "فيرات"، أدركت أن رقم الهاتف لايزال مكتوبا على يدي، رفعت الكأس ومددتها عبر الطاولة ناحية الفتى الضخم الجالس أمامي كي أشرب في صحته:

- خمن من قابلتها صدفة اليوم؟

Twitter: @ketab_n

20

استيقظت مبكرا. كان الصمت مخيما على المنزل. لابد وأن أمي نائمة. لم يعد لدي أي مشاعر سيئة، ولم يعد لدي ذلك الشعور بالذنب الذي يرتبط عادة بهذا النوع من المواقف. شعرت أنني أستيقظ من نوم عميق استهلك أشهرًا من عمري. كنت أعرف أنني أشعر بالراحة هكذا لأنني أخيرا أدركت أن الألم الذي أحسه لن يغادرني. طيلة الفترة الماضية كنت أخاف أن يغادرني هذا الألم، تشبثت فيه بأنانية ولم أحك عنه لأحد. لم أحتمل مجرد التفكير في أن شخصا آخر قد يشعر بنفس الألم الذي لدي. ولأنني كنت أعرف أن هذا مستحيل، فقد ادخرت هذا الألم عن قصد وخبأته عن علي.

أنا الآن أكثر ثقة بنفسي وبألمي. يمكنني الآن أن أخرج وأواجه الناس مرة أخرى بينما يصاحبني هذا الألم.

في الظهر، كنت في موقف الأتوبيس. كان الطنين العالي الذي يخرج من تلك الخلية المزدحمة بالبشر يملأ المكان طيلة الوقت. تناولت إفطاري في محل لبيع المخبوزات والفطائر في كوبروباشي. قرأت جريدة لأول مرة منذ شهور. شعرت بأنني أستطيع أن أتحكم في السرعة التي يتحرك بها العالم من حولي. كان

Twitter: @ketab_n

شعورا غاب عني لفترة طويلة، وقد كنت منتشية لأنه عاد لي. فلا أحد يسعده أن يضطر إلى زيادة سرعته أو التقليل منها. لم يعرني الموجودون في محاذاتي بموقف الأتوبيس أي انتباه. على العموم لن يصنع انتباههم لي أي فارق:

فأنا راكبة بين الركاب أخت بين الأخوات ألم صغير وعادي بين آلام كثيرة.

أقترب من خزينة الدفع الخاصة بالشركة التي فضلتها على الشركات الأخرى لأنها تقدم عروضا موسيقية، على الرغم من أنها أغلى قليلا. كان الوجه المنعكس على زجاج نافذة الخزانة الملصقة عليها خريطة لألمانيا عليها أسماء المدن وجها لمسافرة عادية مثل جميع المسافرين. أشعر بشعور غريب حين أرى العيون المصطفة التي جملتها الزينة والتي أصادفها بين فرانكفورت ودويزبيرج. حتى الزينة القليلة التي أضعها وضعتها بتردد شديد كما لو أنها المرة الأولى التي أستخدم فيها المكياج.

أسأل الفتاة ذات العينين الضيقتين:

- هل لديك مكان في رحلة الغد؟
- بالنهار أم بالليل؟
- بالنهار، بعد الظهر.

تفتح السجل الذي على طاولة حجز التذاكر وتريني الأماكن الشاغرة التي ليس عليها علامة إكس حمراء. عندما تبتسم ناحيتي وتعطيني الباقي مع التذاكر، تختفي عيناها تقريبا داخل ملامح وجهها الصغير.

- تشغلون موسيقى في هذه الرحلات، أليس كذلك؟
- بلى، ونوزع سماعات للأذن على المسافرين.

أعود إلى المنزل بعد الظهر بكثير. تفتح أمي الباب بعينين منتفختين من أثر النوم. لا تدرك أننا أصبحنا بعد الظهر، تسألني إن كنت تناولت الإفطار.

Twitter: @ketab_n

فأقول: "لست جائعة". تقف أمامي وتتردد بين العودة للنوم وبدء نشاطها اليومي، ثم تلحظ الساعة على الحائط.

- يا إلهي، إنها الثانية بعد الظهر؟!
- اذهبي ونامي إن أردت، سأوقظك.
- لابد وأنه طقس أمس، لقد خدرني الهواء.
- هل نمت متأخرا ليلة أمس؟

تضحك بينما تشعر بالذنب:

- بينما كنت ذاهبة للفراش، عرض التلفزيون فيلما آخر، لقد شاهدت "عصافير المنفى" (*Gurbet Kuşları*)
- ألم تريه من قبل؟
- ربما عشر مرات. ربما خمس عشرة مرة أو ربما خمسًا فقط، المهم أنني في النهاية شاهدته حتى نهايته.
- سوف نشاهد فيلم الليلة سويا.
- سوف أغفو قليلا وأعود.
- حسنا يا أمي، نامي.
- إن هذا لا ينطوي على الكثير من الوقاحة، أليس كذلك؟
- وقاحة تجاه من يا أمي؟
- تجاهك يا عزيزتي.

امتلأ وجهها بالخزي، حتى إنني شعرت بالرغبة في القفز عليها وقرص خديها:

- هيا، النوم في عينيك. اذهبي للفراش. سوف أوقظك.

Twitter: @ketab_n

تمشي نحو غرفتها ببطء كأن قوة أكبر منها تسحبها. تتوقف عند بداية الرواق القصير. تعقد حاجبيها كي تتذكر شيئا يبدو أنه سقط من ذاكرتها:

- لقد اتصل بك ولد ما.

بالنسبة لأمي، الرجال أولاد حتى لو في الخمسين من عمرهم:

- متى حدث هذا؟
- لا أتذكر، في الظهر على ما أعتقد.
- ومن هو هذا الرجل؟
- "إردوغان".. أو ربما "إريتجرول". كان صوته جميلا.
- هل قال شيئا؟
- نعم، ترك رقم هاتفه وقد دونته مع اسمه بجانب الهاتف.

فجأة شعرت بتقلصات في معدتي.

- من أين اتصل؟
- من هنا. من "إسكيشهر".

كانت رائحة اللبن المغلي تحوم من حولي في اليومين الماضيين أما الآن فهي تخترق حلقي بشكل أكثر تركيزا، وتوقفني عن التنفس كما لو أنني أردت أن أخنق نفسي. إنها رائحة دافئة ومراوغة تعطي شعورا بالغثيان، أنظر إلى أمي وأحاول أن أبتسم:

- هل كانت "تانجو" و"كونيت" في الفيلم؟
- "كونيت" و"تانجو فيليز أكين". أيقظيني بعد نصف ساعة من فضلك.

نظرت إلى الرقم الذي كتبته على ورقة صفراء. خطر ببالي أن الأرقام بلا مشاعر، وأنها بلا شخصية على عكس كل الأشياء التي تستثيرها هذه الأرقام في

Twitter: @ketab_n

عقلي. أحاول أن أفهم إلى أين ستأخذني هذه الأرقام، ربما لا ينبغي علي أن أهتم بالأمر هكذا. فبعد كل هذه السنين، من يمكنه أن يتوقع ما سيحدث ممن؟ لا يزال الصوت بداخلي يهمس قائلا: "لا أحد يمكنه أن يؤذيكِ إلا أنت". وأنا مازلت ضعيفة وواهنة حتى إنني لا أستطيع أن أؤذي نفسي؛ فلماذا الخوف إذًا؟

الصوت الذي رد على الهاتف أخبرني باسم الفندق وسألني عمن أريد. أطلب منه أن يوصلني بـ"إريتجرول كيراش". يتحول الصوت إلى السخرية قليلا حين أخبره بأنني لا أعلم رقم الغرفة. أسمع صوتًا لرجل أو لامرأة تتحدث عن الرقم الذي ينبغي أن يصلوني به. ثم تقول عاملة الهاتف: "انتظري قليلا من فضلك". أنتظر بينما أستمع لموسيقى "مونلايت"(*Moonlight Sonata*) التي لا تصلح إلا للمصاعد.

في النهاية يأتيني صوت من على بعد آلاف السنين ويقول:

- أفندم؟
- "إريتجرول"؟
- "أردا"، أهذه أنت؟
- لقد اتصلت بي.
- هل وصلك خطابي؟
- نعم.
- كيف حالك؟
- أفضل قليلا. أنت هنا في المدينة؟
- وصلت هذا الصباح. أتعرفين.. صوتك لم يتغير على الإطلاق.

يستمر الحوار بيننا هكذا دون أن يتطرق إلى ما هو أكثر. أنتظر أجوبة مباشرة قدر الإمكان، أجوبة لا تجعلنا نغوص في مياه أعمق. لا تزال طريقة

Twitter: @ketab_n

"إريتجرول" كما هي، فهو يتحدث بشكل يشي بالراحة والضيق في الحين نفسه، وهذه هي طريقته التي كان يتحدث بها دائما. لم يتحدث إليّ كما يتحدث المرء لامرأة تحطمت، كما لم يحاول عبثا أن يواسيني أو يشاركني الألم، صوته يخبرني بأن حياته ليست مريحة مما يجعلني أفكر في أن الحياة تستمر بالرغم من كل شيء. لو أننا جميعا يمكننا أن نتحلى بالشجاعة، فربما كان من الأسهل علينا تحمل الألم.

قال فجأة:

- أريد أن أراك.
- لكنني لن أمكث هنا طويلا.
- لقد وعدتني من قبل بأن تأخذيني في جولة حول "إسكيشهر".
- هل أعطيت هذا الوعد بالفعل؟
- هل تريدينني أن أذكر لك أسماء الشهود على هذا؟

أقول باستسلام:

- لا، لا تفعل.

Twitter: @ketab_n

21

صمت "فيرات" لبعض الوقت بعد أن سمع اسم "جولايد". نظرت إلى وجهه دون أن أطرف بعيني حتى أتبين إن كانت هناك أي مسحة تأثر على وجهه أو تغير في تعبيراته أو أي إيحاء بالاهتمام. أعددت أجوبة للأسئلة التي كنت أتمنى أن يسألها،

لكنه لم يسأل.

لم يبد متفاجئا، وإنما ابتسم ابتسامة غريبة لم أستطع تفسيرها. هناك أشياء تجعل المرء يبتسم بغضب، وتجبر الآخرين على الرد بشكل غير مهذب وسريع بشكل لم يتخيلوه. كان هذا هو الحال بيننا الآن حتى إنني شعرت بأن شيطانا صغيرا يحترق بداخلي. لم يكن من الممكن أن أؤذيه في نهاية هذه الأمسية، بل كان علي أن أصطنع الحزن لأنه حزين. إلا أن هذا التصنع يحتاج إلى موهبة لا أملكها وبالتالي اكتفيت بالاشتراك معه في صمته.

عاد "إريتجرول" إلى الطاولة وشعر بصمتنا الذي لم يعرف من أين أتى، لم يبد في عينيه أنه حريص على معرفة سبب الصمت على أي حال، إلا أنه لم يكن ليمتنع عن الاستماع إلى السبب إن أردنا نحن أن نخبره. للحظة بدا الموقف وكأن

Twitter: @ketab_n

هناك أمرا ما عائليا يخصنا أنا و"فيرات" ويصعب أن يناقشه أحد غيرنا، شعرت بالحزن حين تذكرت أنني و"فيرات" من أسرة واحدة بالفعل!

استمر صمتنا إذ لم يكن هناك سبب يمنع الصمت من الانتشار لمسافات أوسع، لم يبد أن أيا منا يعي وجود البقية على نفس الطاولة، بدا "إريتجرول" شارد الذهن وبدت ملامحه مختلفة للغاية. لست متأكدة من أنني أستطيع أن أصف ملامحه هذه كما لا يمكنني التأكد من أنني فهمت ما تعنيه تعبيرات وجهه، لكن من الواضح أننا جميعا في هذه الليلة كنا نبتعد ونشرد بعيدا عن بعضنا وبسرعة كبيرة حتى بدا لي أننا نبتعد بأجسادنا وبشكل فعلي. يمكن للمرء أن يكون صديقا لشخص آخر لألف عام دون أن يرى على وجهه تلك التعبيرات التي رأيتها على وجه "إريتجرول"، كان مثل طفل يقضم تفاحة أعطاها له بائع فاكهة كي لا يبكي لفقدان أمه. هذا هو التعبير الذي أراه، ولا أعلم من أين جاءني هذا التشبيه، الله وحده يعلم.

شرب "فيرات" ما تبقى من النبيذ في كأسه ثم قال بصوت بدا وكأنه قادم من مسلسل تلفزيوني ممل:

- وما الذي تفعله الآنسة "جولي" حاليا؟

كانت الطريقة التي سأل بها مملة مثل صمته. وكانت عيناه قد انتفختا من البكاء والنحيب بينما احمر خداه ربما من أثر النبيذ أو حرارة الغرفة. لقد كان احمرار الخدود أمرًا منتشرًا في عائلتنا، لابد وأننا ورثنا ذلك عن أجدادنا، فحين نشعر بالتردد أو الجبن ونرغب في عدم إظهار هذا فإن الدماء تتدفق إلى وجوهنا. وهذا ينطبق علينا جميعا ما عدا أمي.

قلت:

- إنها تعمل.

Twitter: @ketab_n

ولم أكن سعيدة بأنه دعاها "جولي".

- وما الوظيفة التي تعمل بها؟
- إنها عارضة.
- ماذا؟
- قلت عارضة، كما أنها ستمثل جزءا في فيلم.
- لا تقولي..

كنت أعرف أنه سيقول شيئا بذيئا لو أننا استمررنا في الحديث وكان الفارق بينهما يشعرني بالغيظ، فـ"جولايد" بدت طيبة بشكل فطري بينما اتخذ "فيرات" توجها أظهره كمراهق يظن أنه يعرف كل شيء.

لم يقل أي شيء بعدها. كما أنه لم يقم بأي حركة يمكنني أن أفهم منها أي شيء. قام وهو يتوخى الكثير من الحذر، وربما لهذا السبب اصطدم بالأثاث من حوله بينما همس قائلا:

- أعتقد أنني لم يكن ينبغي أن أشرب النبيذ، سوف أذهب للفراش. أشكرك لمكوثك معي طيلة الليل.

استيقظ "إريتجرول" وأمسكه من أكتافه بيديه. وضع رأسه للأسفل واتكأ بجبهته على جبهة "فيرات":

- هل ترغب في بعض القهوة أو أي مشروب آخر؟
- لا.. سأخلد للنوم.
- نم في فراشي.
- وماذا ستفعل أنت؟
- هناك خمسون سريرًا في هذا المنزل. ناد علي لو احتجت أي شيء.

Twitter: @ketab_n

لم يكن لدى "فيرات" أي طاقة للمزيد من الأسئلة. فتح فمه وأغلقه مثل سمكة ومشى مترنحا نحو السلم المؤدي إلى الطابق الأعلى.

قبل أن يغادر الغرفة، وقف عند أول السلم محولا ظهره لنا بينما يزفر ويشهق بعمق كما لو أن طقسا آخر مختلفا ينتظره خارج الغرفة.

صاح قائلا:

- ألم تجدي بلدا جديدة؟

قالها كما لو أنه يتحدث للجيران الذين يسكنون فوقنا.

قال "إريتجرول" بهدوء شديد:

- حسنا يا عم "قسطنطين".

Twitter: @ketab_n

22

كان لقاؤنا في حديقة شاي في حي أدلر. لست متأكدة من أن "إريتجرول" قد فهم الإرشادات التي أعطيتها له. كنت قد رأيت هذا المكان للمرة الأولى أثناء تلك المرات التي تمشيت فيها مع أمي. جذبني إليه اسمه في البداية، كان يدعى "كولديبي" (أسفل البرج). لا يكترث الناس كثيرا في "إسكيشهر" وما شابهها من المدن بتاريخهم وبالتالي فإن مثل هذه الأسماء ليست منتشرة هنا. كما لا يوجد برج قريب من المكان.

في هذا المساء الذي كنت أتمشى فيه مع أمي كنا قد انتهينا من تناول الشاي وقمنا عائدتين إلى المنزل. كانت هذه هي الأيام الأسوأ على الإطلاق والتي كان من الممكن أن تضايقني فيها حتى أتفه الأشياء، إذ لم يمر الكثير من الأسابيع على مقدمي إلى هنا وكنت متأكدة من أنني سأموت قريبا. كانت أمي هي من تصر على الخروج دائما. وفي هذه الأيام اكتشفنا سويا ذلك الطريق الذي نستخدمه إلى الآن. عندما قرأت لافتة حديقة الشاي للمرة الأولى ورأيتها تقف عاليا كما لو أنها جزء من ديكور معرض يعرض قطعا تراثية، ووقفت بين الأطفال الذين كانوا يلعبون وسط حرارة الصيف التي كانت قد حلت لتوها، ورأيت أزواجا من المحبين الحالمين، لا أعرف لماذا تذكرت "إريتجرول" حينها. في الحقيقة "إريتجرول" خبير في حدائق الشاي وعندما كان شابا كان يفكر في أن يجمع

Twitter: @ketab_n

نصوصا تدور حولها ويسميها "أنثولوجيا حدائق شاي إسطنبول".

ما إن تذكرت كل هذا حتى بدا لي أن الربط بين حدائق الشاي و"إريتجرول" أمر متوقع جدا، خاصة في الحالة التي كنت فيها. لا أذكر أنني فكرت في حدائق الشاي مؤخرا إلا أنها جالت بخاطري بعد مكالمة "إريتجرول" الأخيرة وبعد كل هذه السنين. لابد وأنها كانت فوق أحد رفوف ذاكرتي بعد أن طوتها دوامات الزمن.

بزغت لافتة حديقة الشاي هذه في عقلي عندما باغتني بطلبه وقال إنه يريد أن يقابلني. على الرغم من أنني لا أستطيع أن أجد أي رابطة حميمة بين الاسم "كولديبي" والموقف الذي كنت فيه إلا أنني تذكرته بسهولة. أعتقد أنني اخترت هذا المكان الواقع في شارع خلفي لأنني كنت أتمنى ألا يجده "إريتجرول". كما أنني أعطيته إرشادات تعمدت ألا تكون واضحة. إن "إسكيشهر" ليست مدينة صغيرة ومن الصعب للغاية العثور على بعض حدائق الشاي فيها، حتى لو كان الذي يبحث عنها هو "إريتجرول".

كان باستطاعتي رؤية نهر البورسك من طاولتي القريبة من الطريق بينما ثبتت عيناي على كوب الشاي الذي كان في يدي. النادلون هنا لطفاء للغاية، فهم يعرفون كيف يوفرون سبل الراحة لسيدة جاءت لموعد لا تعرف نتائجه. يمر بجانبي أطفال على دراجاتهم وأمهات تدفعنَ عربات أطفال. ألاحظ أنني الآن أستطيع أن أرى الصورة كاملة، فمنذ شهرين كانت رؤية عربة الأطفال أو سماع صوت طفل يبكي تقلب يومي كلية. بينما يمكنني الآن أن أرى كل هذا وأسمعه دون أن أتأثر به مما يشعرني بشعور جيد.

كيف سيمر اليوم؟ لقد نسيت منذ وقت طويل ذلك الشعور بأنني أقضي يوما لا أعرف كيف سينتهي. سيكون هنا خلال لحظات، والله وحده يعلم عما سنتحدث. يمكنني أن أخمن كيف ستمر الدقائق العشرون الأولى. حديث حذر يستمر كامتداد للكلمات التي تبادلناها على الهاتف دون الدخول في أي تفاصيل مما سيعطينا شعورا بالاطمئنان. أما بقية حوارنا فلا أعرف كيف سيسير.

Twitter: @ketab_n

من السهل على المرء الحديث مع شخص غريب عنه تماما. حيث هناك ألف طريقة لفعل هذا، لكن لا يوجد كتاب يرشدك إلى الطريقة السليمة في الحديث بعد خمس وعشرين دقيقة من لقائك بغريب كنت تعرفه في الماضي. خاصة لو كان هذا الغريب يعرف جميع الشوارع الخلفية لروحك، بينما لا تعرف أنت على وجه اليقين إن كان هو لا يزال نفس الشخص الذي عرفته في السابق.

عرفته على الفور ومن بعيد، علي أن أعترف بأنني بإمكاني أن أعرفه من شعره الكثيف ولحيته التي تغطي أغلب وجهه حتى لو تنكر في شكل صيني أو رجل إسكيمو أو ساحر إفريقي.

قال مبتسما:

- هل يمكنني أن أجلس؟

قلت:

- نعم، من فضلك.

في لحظات كهذه، يعد الانطباع الأول هو أهم شيء. فالفارق بين الصورة الحالية لإيماءة بسيطة وعادية والصورة المخزنة في ذاكرتنا لهذه الإيماءة، يبين الفارق بين الشخص الحالي والشخص الذي عرفناه. فما يبني التواصل بيننا في مثل هذه المواقف هو مثل تلك الإيماءات العادية، ابتسامة بسيطة بينما نسحب الكرسي، أو التململ بتوتر وتحريك الأصابع حول كوب الشاي. بينما لا تعدو الكلمات كونها ظلالا باهتة تصاحب هذه الإيماءات، ظلالًا لا يهتم لها أحد.

جلس في الناحية الأخرى من الطاولة، لم نتصافح، ولم تتلامس منا الخدود. لم تتحرك أي من الشياطين التي بداخلنا. وضع حقيبة التسوق الحمراء التي بيده على الطاولة.

قال:

Twitter: @ketab_n

- إنها هدية. لكن دعينا نتحدث قليلا قبل أن تفتحيها.
- هل وجدت المكان بسهولة؟
- نعم، ولا. بدا الوصول إلى هنا سهلا للغاية عندما وصف لي شخص من الفندق طريق الوصول إلى هنا. لكن المباني مرقمة بطريقة غريبة، لقد كنت أدور حولها لمدة نصف ساعة.
- لكنك لست متأخرا.
- لقد غادرت الفندق مبكرا، لم يكن لدي ما أفعله.
- وأين الفندق الذي تقيم به؟
- في مكان ما قريب من محطة الأتوبيس. تبدين غاية في الجمال.

في الممشى الذي أمامنا أتى طفلان نصف عاريين من حيث لا أعرف وجريا ثم تسلقا السور المنخفض الذي يفصلنا عن المياه، وما إن قفزا وأيديهما تقبض على أنفيهما حتى اختفيا عن النظر وسمعت صوت جسديهما يصطدمان بالماء. في الضفة الأخرى، كان الحارس يصفر بصَفّارته باستمرار.

قال:

- أفضل ما فعلاه أن قفزا، الجو حار اليوم.
- أين كنت؟
- متأسف لم أستطع أن أتصل بك اليوم.
- لا عليك. أنا فقط أتساءل لماذا جئت إلى هنا؟
- كنت في موقع إنشاءات في دياربكير. إننا نبني وحدات سكنية هناك وما شابه. وقد عينوني مديرا للمشروع، إنه عمل لا ينتهي، فقد مر عامان ونحن نعمل هناك. لا أعتقد أن هناك سببا آخر.
- هل تعيش في موقع الإنشاءات؟

Twitter: @ketab_n

ظهرت ابتسامة مختلفة عن كل الابتسامات التي أذكر أنني رأيتها على وجهه المكتسي بسمرة الشمس.

نعم، إننا لا نعاني هناك من أي نقص في الطعام أو الشراب أو السجائر. يمكنني القول إننا نعيش في راحة هناك، ولا يفكر المرء في الذهاب للمدينة عندما يعيش في مكان كهذا. إنه مثل العيش في قاعدة فضائية على سطح القمر، يمر الوقت ثم تكتشفين فجأة أن عامين كاملين قد مرا من عمرك.

جاء الحارس مسرعا وصاح في الولدين اللذين خاضا في المياه. لم نستطع أن نسمع رد الطفلين عليه، لكننا لاحظنا أن الحارس وقد بدأ يتضايق أكثر وأكثر ملوحا بيديه في غضب ومتوعدا بأنه سيخرجهما من الماء.

قال مرة أخرى:

- تبدين غاية في الجمال.
- لا أعرف. ربما كنت ستخاف لو رأيتني منذ أسبوعين.
- كيف حال "فيرات"؟ هل هناك أخبار عنه؟
- تتصل "ليندا" من وقت لآخر. إنها تتحدث التركية بشكل أسوأ مما أتحدث أنا الإنجليزية، وبالتالي فمن الصعب التواصل معها. أعتقد أن "فيرات" قد عين في وظيفة جديدة.
- وماذا كان يعمل قبل هذه الوظيفة؟
- كان نَقَّاشًا، يطلي البيوت.
- وهل يكسب مالا جيدا؟
- تقول "ليندا" إن حالهم ليس سيئا، أو على الأقل أفسر أنا كلامها على هذا النحو. لديها راتب من عملها بالمدرسة، أعتقد أنهما يتدبران أمرهما جيدا.

Twitter: @ketab_n

عبث "إريتجرول" بشعر ذقنه. بدا أنه لا يشعر بالراحة، ليس لأنه لا يجد ما يقوله، ولكن لأن هناك الكثير ليقال. طلب كوبين من الشاي لنا. ثم خلع الجاكيت الذي تفاجأت أنه يلبسه في هذا الجو الحار وعلقه على ظهر كرسيه. جلسنا دون أن ننبس ببنت شفة لفترة، شاهدنا الطفلين يقفزان خارجين من الماء على الضفة الأخرى والحارس يجري خلفهما. كان الطفلان يلبسان سروالين رياضيين قصيرين فحسب، ولم يبد عليهما أنهما كانا خائفين من الحارس، كانا يجريان بينما قطرات الماء تسيل من جسديهما. جرى الحارس خلفهما مرة أخرى وهو يصيح ويسبهما. قبل أن يصلا إلى الكوبري الواصل بين الضفتين، كان نفسه قد انقطع. تمهل في جريه وفي النهاية بدا عليه الإرهاق وتوقف عن الجري خلفهما.

تمتم قائلا لنفسه:

- لم يحضرا معهما أي ملابس.
- ماذا؟
- كانا يعرفان أن الحارس سيراهما وسيطاردهما لذلك لم يحضرا معهما أي ملابس، كي لا يضيعا وقتهما في ارتدائها.
- لكن الحارس يعرفهما الآن، لن يستطيعا أن يفعلا هذا مرة أخرى.
- أعتقد أنه كان يعرفهما بالفعل، لابد وأنهما يلعبان هذه اللعبة معه كل يوم.
- أتقصد أنهما سيعودان مرة أخرى إلى هنا في الغد؟
- بالتأكيد.

امتدت عيناي إلى حقيبة التسوق الحمراء التي تفصل بيننا. رأيت عليها عبارة "أكالار للأحذية – ديارباكير"، وعليها صورة لامرأة مبتسمة لا صورة حذاء.

قال "إريتجرول":

- افتحيها، إنها هدية لك.

Twitter: @ketab_n

أخذت الحقيبة وقلبتها بين يدي. من الواضح أن بها صندوقًا ما. لكنه أثقل من أن يكون مصنوعا من الخشب. حاولت أن أخمن ماذا يكون بتذكر الهدايا التي أهداها لي "إريتجرول" من قبل. تتحسس يدي بروزات وانخفاضات لما يبدو أنه شيء منحوت، وضعت يدي في الحقيبة.

سحبت من الحقيبة ما اتضح في النهاية أنه صندوق أعلاه شكل منحوت يذكرني بالرسوم المصغرة. كان الشكل عبارة عن رجل وامرأة واقفين وجها لوجه في حقل أخضر وعلى ضفة نهر. كانا مرتديين ثيابا محلية وعلى وجه هذه المرأة تعبير عميق بالحزن أبرزه سيل من الدموع منهمر نحو جانب شفتيها. وعلى الرغم من أن هذا الشكل يعطي انطباعا في الوهلة الأولى بأنه عمل صنعه حرفي عادي، إلا أنك كلما نظرت إليه أكثر اتضح لك أن من قام به شخص متمكن لديه انتباه كبير للتفاصيل.

قال "إريتجرول":

- إنهما ميموزاي، ياله من مشهد حزين.

فتحت غطاء الصندوق وفيه رأيت الشمس في البداية تنعكس مباشرة على وجهي من فوق رأسي مباشرة، ثم لمعت عيناي من أثر المفاجأة وبشكل كنت قد نسيته منذ زمن طويل. فخلف المرآة الصغيرة التي لها إطار مصنوع بنفس حرفية ما نحت على غطاء الصندوق، توجد جملة مكتوبة بخط اليد:

- "كل الحب والتقدير من حمدين ديمير. أتمنى أن تكون ظروف الحياة مواتية لك".

يقول "إريتجرول":

- عم حمدين حداد محترف في سوق الآنية والمصنوعات النحاسية، وقد طلبت منه أن يصنع هذا لأجلك.

Twitter: @ketab_n

23

حلمت بحلم غريب، وقد كان غريبا لأنها كانت المرة الأولى التي أحلم فيها بـ"فيرات". عادة ما أجد صعوبة بالغة في الحديث عن الأماكن التي حدث فيها الحلم حينما أتحدث عنه، لكنني أتذكر الألوان جيدا. كانت هذه ألوانا باهتة مثل ألوان فيلم قديم يعرض من جهاز فيديو غير مضبوط حيث الصوت مشوش وأشكال متعرجة تطغى على المحيطات.. كآبة تثير الشفقة والتعاطف.

وبين هذا المشهد الكئيب وقف "فيرات" بملابس المدرسة. كان يقول لي إنه عاد لتوه من رحلة طويلة، ربما قال لي هذا بكلمات فعلية أو بإشارات أو ربما بالتخاطر. أراني حذاءه الذي تمزق إربا كدليل على هذه الرحلة الطويلة. حين سألته إن كان قد مشى الطريق كله، قال لي: "لا" ثم تنهد واستطرد قائلا: "كنت على متن قارب". عندما نظرت من حولي اكتشفت أننا كنا على متن قارب بالفعل، وحين أخبرته عن هذا قال بصوت جاف: "يا إلهي! وسنغرق هكذا!".

ولأنني لم أستطع أن أقول أي شيء آخر، فقد سألته عما حدث لحذائه. قال بشيء من الحزن: "لقد جعلوني أمشي طيلة اليوم، ولم أستطع أن أجد إيسرا". طلبت منه ألا يقلق وأننا سنبحث عن "إيسرا" وسنجدها إن آجلا أم عاجلا لو

Twitter: @ketab_n

كانت هي الأخرى على القارب بالفعل. استمر في تكرار ما قاله لي من قبل كأنني لم أسمعه: "سنغرق هكذا.. سنغرق هكذا".

عندما استيقظت كنت على وشك الانفجار من الضيق. لم يكن هناك أحد في المنزل وكانت الستائر مغلقة حيث تسرب النور من خلفها إلى غرفة المعيشة، كانا كلاهما قد تركا لي رسالتين منفصلتين. قال "فيرات" إنه ذاهب مرة أخرى إلى هيربايو إنه لا يعلم متى سيعود، وبشجاعة كبيرة كتب رقم هاتف "إيسرا" في زاوية الورقة. أما "إريتجرول" فقد رسم في رسالته شخصيات كرتونية تعبر عن "فيرات" وعني وعنه. رسم "فيرات" جادا وبنظارة وشعر مجعد. بينما رسم نفسه بلحية طويلة وشعر أشعث ورسمني مبتسمة وبنمش على بشرتي. أشارت البالونات المرسومة فوقهم إلى ما قد يفعله كل منهم. حيث سيأخذ "فيرات" قاربا إلى الجانب الآخر، بينما سأتجول أنا في المدينة. كانت هناك علامة استفهام في البالون المرسوم فوق "إريتجرول" مما يعني أنه لم يقرر بعد ما سيفعله.

لم أرغب في فتح النوافذ. جلست ونظرت إلى خزانة الكتب التي أخفت خلفها الجدار المقابل بالكامل. لم أكن مولعة بالكتب للغاية حينها، كما لم أكن جاهلة أيضا. كان لدينا في المنزل عدد كبير من الكتب التي قرأها أبي لكن هذا العدد لم يكن كبيرا للغاية كما هو الحال هنا. كنت أحب للغاية الاطلاع على كتب الأطلس، حيث كان بإمكاني النظر لساعات إلى الأنهار والجبال التي تفصل الدول وإلى دوائر القطبين الشمال والجنوبي وإلى وحدات العملة والنظم السياسية. لم يكن هذا يشعرني بالملل على الإطلاق. لا أعرف إن كان هذا يمكن اعتباره قراءة أم لا لكن كان بإمكاني أن أجيب بلا تردد على أسئلة مثل عاصمة نيبال وعملة تشيكوسلوفاكيا.

فكرت في القصيدة التي تلاها "إريتجرول" ليلة أمس، وتذكرت سطرين منها كما تذكرت أن الشاعر كان يونانيا. لم أستطع تذكر اسمه، سألت نفسي إن كنت قد أحببت هذه الأبيات، وقررت أنني أحببتها لأنها ذكرتني بكتب الأطلس التي أحبها. لم أكن قد قرأت الكثير من الشعر. اقتربت من خزانة الكتب

Twitter: @ketab_n

فرأيت كتبا موضوعة على الأرفف طبقا لنوعها. لم يكن من الصعب بالنسبة لي أن أجد دواوين الشعر حيث كانت قد احتلت رفا كاملا وحدها. بينما كانت الروايات على رف آخر. على الرف الذي يقع تحت الكتب المصورة وضعت ألبومات الصور والقصص القصيرة والأدلة السنوية وقد وضعت عليها بعناية وحرص شديدين بطاقات بأسمائها ورتبت في أماكنها الصحيحة. اخترت بشكل عشوائي ديوان شعر من بين الدواوين التي لها مؤلفون تبدو أسماؤهم يونانية؛ "يورجو سيفريس – القصائد الكاملة". لم أعرف إن كان هذا هو الشاعر الذي أريد القراءة له، بدا الرجل الذي في الصورة المطبوعة على غلاف الديوان رجلا سياسيا أو ناظر مدرسة وليس شاعرا. من مقدمة الديوان عرفت أنه كان دبلوماسيا. من الواضح أن الدبلوماسيين يمكنهم كتابة الشعر أيضا. أخذت الديوان وجلست على الكنبة في منتصف غرفة المعيشة. في البداية جلست معتدلة ثم ثنيت قدمي تحت فخذيّ ثم استلقيت بشكل كامل في نهاية الأمر على الكنبة وتحت النظرات الفضولية للقطط السيامية التي كانت تتفحصني من وقت لآخر، أخذت أقرأ وأنا هكذا لساعات.

لم يكن هذا هو الشاعر الذي أبحث عنه، لكنني لم أندم على اختياري. لو أنني قررت أن أحكي عن تلك المشاعر التي حركها الديوان بداخلي، فإن كلمات مثل الحزن والسعادة ستكون ضعيفة للغاية للتعبير عن هذه المشاعر. لقد شعرت بالدهشة وكأنني أمام قوة عظيمة لم أستعد لها. على الأغلب ينبغي على المرء أن يقرأ قصائد أخرى قبل هذا الديوان. كنت كمن دفعته يد عنيدة إلى متاهة يجهلها. فتوقف كل إحساسي بالزمان والمكان، وقرأت، وقرأت مرة أخرى قصائد تحكي عن سفن ذهبت إلى ما وراء جزر وخلجان بعيدة، عن بحارة أحبوا رياح الجنوب وجنوا بها، عن كلمات تطن مثل الرياح على متن السفن،

أغلقت الديوان بعد القصيدة الأخيرة التي تقول: "في منتصف النهار حين ثقبت الشمس/ زهرة لها مائة ورقة". نظرت مرة أخرى على صورة "يورجو

Twitter: @ketab_n

سيفيريس". كان في سيارة ولم يبد منه سوى نصفه العلوي. كان الشاعر في الكرسي الخلفي وبدا كما لو أنه يجيب سؤالا سأله له شخص بجواره. بدا كما لو أنه قد عاد من رحلة طويلة وأنه كان يحكي عنها للناس الذين أتوا لتحيته. رأيت في عينيه تعبيرا يمكنه أن يبرر اعتقادي هذا، ففيهما إرهاق سنين من السفر. تذكرت ملصقا كبيرا كنت قد رأيته على شاحنة في الطريق ذات مرة؛ "وهبت حياتي للطرق".

فتحت الكتاب مرة أخرى وقرأت بصوت مرتفع الأبيات التي أبهرتني: "عندما عدنا، جلبنا معنا/ منحوتات بها فن بسيط".

غفت القطط، وأصبح الضوء الآن أكثر قوة، كانت الكراسي واللوحات وأشياء عديدة أخرى في أماكنها بينما كنت أنا في حالة ذهنية غريبة جعلتني أرى كل شيء بشكل مختلف عما هو عليه.

دار مفتاح في قفل الباب، وجاء الضحك من خلف باب الشقة فعاد إلي إحساسي بالوقت والمكان على الفور. كان أحد هذه الأصوات هو صوت "أريتجرول"، أما الصوت الآخر الذي كان حادا ويتخلله قهقهات فكان غير مألوف بالنسبة لي. اعتدلت بسرعة من استلقائي على الكنبة وفتحت الديوان على صفحة ما بطريقة عشوائية. انتبهت أذني إلى الصوت الآتي من عند باب غرفة المعيشة، ونظرت بعينين زائغتين إلى هذه الصفحات التي كانت سبب نشوة لي منذ لحظات قليلة. انتظرت اقتراب خطوات أقدامهما.

كانت طويلة ولديها شعر أشقر مموج وقصير، وعينان كبيرتان بشكل لا يحتاج إليه البشر. بعد القليل من التردد، تركت يد "إريتجرول" واقتربت مني. قمت أنا بدوري وخطوت نحوهما خطوتين متثاقلتين فتقابلنا عند المائدة. اقتربت مني أكثر بحماس مبالغ فيه وقبلتني، قالت إن اسمها "ياسيم".

قال "إريتجرول" مبتسما:

Twitter: @ketab_n

- "أردا" ضيفة هنا وهي أخت صديق حميم لي، لقد جاءا من "إسكيشهر" أمس.

قالت "ياسيم":

- فعلا؟
- وزادت من اتساع عينيها.
- كنت على وشك المغادرة..
- لا تنزعجي من مجيئنا.

قالها "إريتجرول" ثم استدار نحو "ياسيم" وسألها إن كانت تشعر بالعطش. ذهب إلى المطبخ بخطوات سريعة وسمعت صوت الخزانات تفتح وتغلق وأصوات أكواب تصطك.

سألتني "يا سيم" وهي تنظر إلى الديوان الذي في يدى:

- هل تقرئين الشعر؟
- أحاول أن أفعل هذا.
- هل تحبين الشعراء اليونانيين؟ إنهم في أغلب الأحيان دبلوماسيون أو بحارة.
- إن هذا في الواقع هو أول شاعر يوناني أقرأ له. وهذا أول ديوان شعر أقرؤه على الإطلاق، لكنني أحببته.

غمغمت لنفسها قائلة: "إذًا فقد أحببتِه".

أدركت أن الشعر خارج دائرة اهتماماتها حتى قبل أن تنهي حديثها. خطت خطوة إلى الخلف، نظرت شرزًا نحو اللوحات التي كانت خلفي. كانت تميل من

Twitter: @ketab_n

جانب إلى آخر فأدركت أنني أقف بينها وبين اللوحات، لذا فقد تحركت. انحنت بسرعة أمام واحدة من هذه اللوحات ومرت بيدها أمامها وعلى طول الإطار كما لو أنها تريد لمس اللوحة لكنها لا تستطيع.

سألتها:

- هل أنت رسامة؟
- يمكنك القول إنني أدرس الفن، يمكن للمرء أن يتعلم من خلال النظر إلى لوحة كهذه لمدة نصف ساعة أكثر مما يمكن أن يتعلمه في أربع سنوات بالجامعة.

جاء "إريتجرول" والأكواب في يده. نظر إلي أولا ثم نظر إلى "ياسيم" التي كانت لا تزال تتفحص اللوحات. لمس كتفها بيده التي كانت لا تزال تحمل الكوب. تركت "ياسيم" اللوحة من دون رغبة منها ونهضت. ثم عانقت "إريتجرول" مصدرة ضحكة مرتفعة. قبلها "إريتجرول" في شفتيها وهو يحاول ألا يسكب العصير على الأرض.

Twitter: @ketab_n

24

بلا أي سبب واضح التزمت أمي الصمت وانطوت على نفسها، كانت تشاهد التلفزيون لكنها لم تكن تتفاعل مع كل ما تراه. كان اسم الفيلم "الدراجة الثلاثية" وكان بطولة "أيهان إيشك" لكنني لا أتذكر اسم الممثلة التي كانت أمامه. لم يبد أن أمي تريد أن تتحدث، ولم يكن بإمكاني أن أطلب منها هذا. إنها غالبا لا تلتزم الصمت هكذا، لكنها اليوم لا تلحظ محاولات "أيهان" الجادة حتى لا يمسك، ومدى المخاطرة التي تتعرض لها هذه المرأة بإخفائها له. وضعت أمي ساقا على ساق بينما يدها ممسكة بسيجارة ثبتتها عند ذقنها، نظرت إلى الشاشة بعينين ثابتتين. لا يمكنني تمييز ما يدور بعقلها، كما لا أشعر بأنني أرغب في مشاركتها هذا الصمت فأنا أحتاج للحديث معها قليلا والدخول في مجادلات حول قضايا لا طائل من الحديث فيها.

بدأت بداية لا أعتقد أنها سيئة:

- هل تشعرين ببعض الإحباط؟
- لقد اتصل "فيرات" عندما كنت بالخارج.
- فعلا؟ كيف حاله؟

Twitter: @ketab_n

- بخير. إنه يريد الصور.
- أي صور؟
- صور المدرسة، الختان، والصور التي التقطت في المنزل القديم، يريدها جميعا.
- هل تبكين؟
- لقد وضعت كل الصور التي وجدتها في ظرف، يمكنك أن ترسليها له غدا.
- هل قال أي شيء آخر؟
- إنه يرسل تحياته لك.
- متأكدة من أنه فعل. كيف هو الآن؟ وما أخباره؟ هل تحدث معك؟
- هو لا يتحدث كثيرا كما تعرفين. إنه يعمل...

حسبت الفارق بيننا وبينه في الوقت.

- في هذه الساعة؟
- لا أعرف.
- إنه يتحول إلى حيوان بالفعل. ألم يكن ينبغي عليه أن يقول ولو كلمات قليلة؟
- لقد قال، إنه ليس سيئا لهذه الدرجة.
- لماذا تبكين إذًا؟
- لا أعرف. أعتقد أنني أفتقده.
- هل تعلمين ما الذي يحتاجه بالفعل؟

Twitter: @ketab_n

أخذت نفسا بدلا من أن ترد، بينما عرض التلفزيون مشهد "أيهان" وهو يخاطر بحياته من أجل شراء دراجة ثلاثية لابن بطلة الفيلم.

- إنه يحتاج إلى ضرب شديد. لم يضربه أحد منذ فترة، وهذا هو السبب الذي يجعله يعتقد أن ما مر به في حياته هو أسوأ ما يمكن أن يمر به إنسان.

ثم دفعتني رغبتي في الحديث معها وإخراجها من صمتها إلى أن أقول:

كما لو أنه الشخص الوحيد الذي يعيش هناك، كما لو أنه الشخص الوحيد الذي كان عليه أن يناضل أو أنه الشخص الوحيد في العالم الذي أجبر على فعل شيء لا يريد أن يفعله! وكما لو أن هذا يعطيه الحق في أن يتحول لحيوان!

استمرت أمي في هدوئها. لا أعلم كيف حدث هذا لكنها الآن أكثر هدوءا عما كانت عليه. كانت الكلمات التي قلتها لتوي تدور حول رأسينا عند مستوى النجفة. أردت أن أزيحها جميعا كلمة بعد أخرى وأعيدها إلى مكانها وكأن شيئا من هذا لم يحدث ثم أحاول بهدوء أن أتذكر اسم بطلة الفيلم. ولأنني لا أستطيع أن أفعل هذا فقد خفضت ذقني ونظرت إلى الزنبرك الذي تركته من يدي لتوي.

- إنه يريد صور الخدمة العسكرية أيضا.
- حسنا يا أمي، سأرسلها له غدا.

يطلب "فيرات" بشكل منتظم أن نرسل له أشياء حيث إنه قد انتقل إلى كليفلاند. في البداية احتاج بعض الأوراق الرسمية التي ليس لها أي قيمة عاطفية، ثم أراد المجلات، كان لدينا في المنزل مجموعة قديمة من المجلات الأدبية التي نشرت فيها كتابات "فيرات" الأولى، حفظها أبي وجمعها خوفا من أن تفقد إلى الأبد. هذا بالإضافة إلى مجلات المدرسة الثانوية ومقابلات مع جريدتي الاستقلال وساكاريا والمقالات القصيرة التي أشارت إلى "فيرات" على أنه "موهبة شابة" وأغرقت عيني أمي بالدموع. لابد وأن الصدمة الأولى بطلب هذه

Twitter: @ketab_n

المجلات قد استمرت بعد إرسالها. ثم جاءت بعد هذا طلبات أخرى: الكتب، وأشياء صغيرة له قيمة معنوية كبيرة، وملابس، حتى ملاءة السرير. لم نفهم ما كان يحاول فعله. الأكثر من هذا أن "ليندا" أحيانا هي من كانت تتصل لتطلب هذه الطلبات. وبلغتها التركية الضعيفة المترددة تسأل أمي إن كان من الممكن أن نرسل لـ"فيرات" ملابس المدرسة الابتدائية، ثم أصبحت "ليندا" هي من تتصل في أغلب الأحيان. في الحقيقة لقد تعاطفت مع هذه الفتاة المسكينة. فليس من السهل أن تتصل بشخص في النصف الآخر من العالم كي تطلب إرسال زي المدرسة الابتدائية الخاصة بشخص آخر.

- كيف كان يومك؟ هل تقابلتما؟

لم أشعر بالغضب منها لأنها فتحت هذا الموضوع بهذا التسرع، لا يوجد أي تلميح سيئ في صوتها، بينما مازلت أشعر أنا بالرغبة في الحديث.

- نعم. تناولنا الشاي.
- كان من الممكن أن تذهبا إلى "أدالار".
- هذا ما فعلناه.
- كان لابد أن تأخذيه في جولة حول المدينة، "إسكيشهر" أجمل بكثير الآن وفيها الكثير من الأماكن التي يمكن زيارتها، أو ربما كان عليك أن تأتي به إلى المنزل، إنه صديق "فيرات"، أليس كذلك؟

بعد قليل من التفكير تذهب بالحديث إلى نقطة كنت أخاف أن تصلها.

- وأين يمكث؟
- لا أعرف، في فندق ما.
- يجب أن يأتي ويقيم هنا.
- على أي أساس يا أمي؟

Twitter: @ketab_n

- ولم لا؟ ألم يأت العديد من أصدقائكما أنت و"فيرات" وأقاموا هنا معنا؟ فيم الاختلاف إذًا؟ اطلبي منه أن يأتي غدا. يمكنه أن ينام في سرير "فيرات".

لم أجد بداخلي أي قوة للمقاومة، وكان الطريق الوحيد للخروج من هذا الحوار هو تحويل انتباهها عنه:

- هل تتذكرين اسم هذه الممثلة؟
- "سيزر سيزين". اطلبي منه في الصباح أن يأتي ويقيم معنا.

Twitter: @ketab_n

25

رأيتهما لكن دون رغبة مني. كانت هذه هي المرة الأولى التي يحدث فيها لي شيء مثل هذا. لم أكن حريصة على أختلاس النظر إلى حياة الآخرين. بالتأكيد لدي بعض العيوب في شخصيتي، لكن ليس من هذه العيوب التلصص على الآخرين.

بعد مشهد العناق في غرفة المعيشة صعدا السلم معا. وبينما كانا على السلم استدار "إريتجرول" ونظر إلي. كانت نظرة غريبة كما لو أنه يطلب مني أن أسمح له بفعل شيء. أنا ساذجة جدا، كنت أفهم جيدا أنهما يريدان أن أتركهما بمفردهما. لكن ما أدهشني هو سرعة تطور الموقف الذي يجعلك تتساءل كيف صبرا حتى وصلا إلى المنزل.

على أي حال، فقد بقيت وحدي مع ثلاثة أكواب من العصير لم يمسها أحد. فتحت الستائر فأبهر النور عيني. تحركت القطط بكسل إلى أماكن أخرى في المنزل عندما لاحظت تغير الضوء. كانت تعرف مسار الضوء في المنزل طيلة النهار وبالتالي فقد مكثت في الزاوية المقابلة من غرفة المعيشة.

كانت الساعة الرابعة تقريبا وهو وقت مناسب للخروج. اعتقدت أن الطقس قد اعتدل قليلا. انزعجت حين تذكرت أن حقيبتي بالأعلى، حيث سيكره المحبان

Twitter: @ketab_n

أن يتجول أي شخص حولهما، إلا أن كل نقودي كانت في الحقيبة. ربما أستطيع أن أتسلل إلى غرفتي وأخرج منها دون أن أزعجهما.

سرت ببطء على السلالم، وعندما وصلت إلى اعلى السلم سمعت صوتا غريبا. بدا هذا صوت أنفاس عميقة مختلطًا بصوت "إريتجرول" الأجش. ثم لاحظت أن باب "إريتجرول" مفتوح وعندها تجمدت مكاني. جال بخاطر يأمران: أن أهبط السلم أو أن أمر بصمت وأحضر حقيبتي وأعود دون أن أصدر أي صوت.

لا أتذكر كيف واتتني الفرصة إلى النظر بداخل الغرفة حين مررت بالباب. كان "إريتجرول" عاريا ومستلقيا على السرير، بينما لم تكن الفتاة قد خلعت ملابسها بعد، وإنما فكت بعض أزرار بلوزتها فقط. كان رأسها تحت خصر "إريتجرول" مباشرة. كان ممسكا بشعرها ويدفع رأسها إلى الأسفل.

تعقد الموقف أكثر حينما رفعت الفتاة رأسها للحظة فالتقت عينانا. أخذت نفسا سريعا إذ كنت أعتقد أنها ستصرخ كما تفعل النساء في الأفلام، لكنها ابتسمت فحسب. كانت ابتسامتها واثقة وحنونة وجميلة. أعطيتهما ظهري ومشيت بخطوات متسارعة. ذهبت إلى غرفتي بسرعة وأخذت حقيبتي التي كانت موضوعة على الطاولة ثم هبطت السلم ولم أستطع أن أفكر فعليا إلا حين خرجت للشارع كي أنتظر حافلة تقلني إلى كاديكوي.

هبطت من الحافلة في كاديكوي ومشيت نحو ميناء العبارات. لم تكن الشوارع أقل ازدحاما من أمس. كان هذا يوم الأحد وكان الناس يحاولون أن يستعيدوا طاقتهم دون جدوى من خلال التجول والتمشية. رأيت السحب تتجمع في السماء. ربما هذا هو سبب النشاط الكبير في الشارع، فلا أحد يريد أن يعلق في المطر الصيفي. نظرت إلى رصيف الميناء وأدرت عيني. كان أمامي ميدان واسع لا يختلف عما كان عليه أمس وخلفه شوارع ضيقة. أما خلفي فكان البحر، وعندما نظرت إليه واتكأت على السور الصغير المبني حوله، رأيت مياه البوسفور تغطيها طبقة نحيفة من الزيت عليها عدد لا نهائي من القوارب

Twitter: @ketab_n

التي ترسو وتشرع بشكل مستمر والتي تعج بالناس عن آخرها. شعرت أنني لا يمكنني الوصول إلى الناحية الأخرى من مضيق البوسفور والتي يمكنني أن أراها بتفاصيل واضحة.

نظرت إليها وتذكرت "إيسرا". لا يوجد أي توصيف أو معلومات موثوقة حول الأميرة التي جلبتنا إلى هنا. لكن كلما كانت السرية تحيطها زاد فضولي.

اشتريت تذكرة وأخذت أول قارب. جلست على المقاعد الخشبية التي على جانب القارب الذي أشرع بعدما أطلق ثلاث صافرات تصم الأذن. وأنا أغادر كاديكوي خلفي امتلأ أنفي برائحة لم أألفها: دخان سجائر مختلط بيود البحر.

ها أنا مرة أخرى أمام قصور ومبانٍ عملاقة أصغرها عمره قرن من الزمان، كنا نبحر في محاذاة جدران المدينة القديمة وأبراج "مايدن". وأنا واقفة على ظهر القارب تذكرت القصص التي قرأتها وكانت تحكي عن شخصيات تنظر إلى البوسفور وتغرق في أفكارها وأحلام اليقظة. كان نفس المشهد الذي أراه الآن يأخذ منظورا مختلفا مع كل شخصية أتذكرها من هذه القصص. كانت جميعها حكايات جميلة تصف بالتفصيل الدقيق المزاج المعقد للبشر. إنه المشهد الذي ينهمك السياح على الجانب الآخر من القارب في تصويره بكاميراتهم فلا يصلون منه إلا للجانب الخارجي. فمن يُرد الدخول إلى أعماق هذا المشهد تلزمه ذكريات. لو أنني رأيت هذا المشهد من قبل لاستطعت تذكر لحظة أو لحظتين خاصتين بهما ذكريات حسنة أو سيئة. لكنني لم أره من قبل.

لكن هذا هو السبب الذي جعلني أقف ثابتة أمام إسطنبول.

ما إن رسا القارب في كاراكوي حتى بدأت السماء تمطر. قفز الركاب إلى الرصيف وجروا مسرعين. أما أنا فقد واجهت عددًا لا نهائيا من الشوارع الضيقة والواسعة التي لم أعرف إلى أين تؤدي. لكن من بين كل ما رأيته كان الجسر هو أكثر الأشياء إثارة لاهتمامي. وكان هو الشيء الوحيد الذي أعرفه على

Twitter: @ketab_n

أي حال. ودون أن أكترث للأمطار التي بللتني وجعلتني أشعر ببعض البرودة، مشيت نحو جسر جالاطة الذي أعرفه من الأفلام.

عندما وصلت إلى منتصف الجسر، كانت ملابسي قد تشبعت بماء المطر وكانت رطوبة الجو مرتفعة للغاية، حتى إنني أحسست بوجود حمل على أكتافي. نظرت إلى الأمام ورأيت ما اعتقدت أنه ميدان إيمينونو والمسجد الكبير الذي لم أستطع تذكر اسمه. على جانبي المئذنتين رأيت مبانيَ قديمة تعطيك شعورا بمرور الزمن وتبدله.

لا أعرف من أين أتى اسم "إسكيشهر"، ربما سميت بهذا الاسم لأنها بلد قديمة بالفعل. في المكان الذي ولدت وترعرعت به كان ما يرشدني في حياتي دائما هو الحاضر. لم يتغير هذا حين نظرت إلى حي التتار أو إلى البيوت المصنوعة من الخشب في أودونبارازي، لكن هنا في إسطنبول ما يهم أكثر هو الماضي. وهو مهم للغاية. شعرت وأنا واقفة في متصف جسر جالاطة أنظر ناحية إيمينونو وللمرة الأولى بمرور الوقت حتى إنني شعرت أن الوقت يمر من بين أصابعي.

لم يكن من الواضح بالنسبة لي ما الذي أخافني من إسطنبول. ربما خفت منها بسبب ما يطلق عليه الناس الذين عاشوا فيها "الشعور بالزمن" وهو شعور غريب علي.

هبطت السلم ذا الدرابزين المحلى بنقوش محفورة عليه. كان أسفل الكوبري مليئا بالحركة والحياة تماما مثل أعلاه، حيث كان به أماكن لشرب الشاي وصيادون. هرب الناس من الأمطار بأن لجئوا إلى مناضد خشبية صغيرة جلسوا عليها يدخنون الشيشة ويشربون البيرة والشاي. ولم يكترث أي منهم لأي شخص آخر. كان هذا مكانا غريبا يمكن للمرء فيه أن يقابل شخصا يعرفه في أي لحظة.

دخلت إلى مقهى خال نسبيا، وجلست بالقرب من براد الشاي. على الطاولة التي أمامي مجموعة مختلطة من الأولاد والبنات أعتقد أنهم موسيقيون. حيث

Twitter: @ketab_n

كانت آلاتهم مسندة إلى الحائط. بجواري مباشرة كانت سيدتان في منتصف العمر تتناولان الشاي دون أن يصدر عنهما أي صوت. انسابت من جهاز التسجيل أغنية جديدة لـ"باريش مانتشو".شعرت أنني جئت إلى هنا من قبل حيث كان كل شيء من حولي مألوفا. عندما وضع الولد أشقر الشعر الشاي أمامي كنت أشعر بالهدوء والسكينة كما لو أنني لم أذهب إلى أي مكان آخر قبل هذا.

لم أستطع أن أخرج من رأسي ما رأيته في المنزل، إذًا لا يمكن نسيان حملقتها، لقد رأيتهما ورأياني أيضا. كنت كبيرة بما يكفي لأن أفهم حقيقة ما رأيت. وربما كانت فتاة "إريتجرول" خبيرة لدرجة جعلتها لا تمانع في أن يراها الآخرون هكذا.

ثم فكرت في نفسي. منذ سنوات لم أكن أفكر في نفسي. كنت أقول لها على سبيل المثال: لقد ذهبت لبيات ليلة مع صديقة لك، وقد قضيت الليل في المزاح معها وأنتما تتظاهران بالاستذكار معا، تستمعان للموسيقى وتبتدعان أشياء متخيلة وتدخنان السجائر سرا. ولأن مضيفتك هي الصديقة الأقرب إليك فلم ترغبا في النوم في غرفتين منفصلتين. عندما يحين موعد النوم تفرشان مرتبة على الأرض وتغلقان الراديو. وبعدما تتمنيان ليلة سعيدة لوالديها، تغلقان النور، ثم تلتزمان الصمت للحظات، هذا الصمت الهش الذي ينتظر أول همسة منكما ليتكسر. تسأل إحداكما سؤالا عن أحداث اليوم، هذا السؤال الذي يمكن أن يصبح أعمق بكثير إذا ما تم الاستقصاء عنه بإصرار. ودائما ما تصر إحداكما، لتبدأ محادثة جديدة وأنتما لا تنظران إلى وجهيكما وإنما تحملقان في السقف ورأساكما على مخدتين ناعمتين.

إنها محادثة تختلف عن تلك المحادثات التي نتبادلها خلال النهار. محادثة عميقة وليس فيها أي حسابات، محادثة من النوع الذي لن تتبادله سوى الفتيات اللاتي يذهبن إلى صديقاتهن لبيات ليلة عندهن، محادثة مبنية على التورط والاشتراك فيما نحكيه من أحداث. تستمعين إلى مشكلات صديقتك ثم

Twitter: @ketab_n

تربطينها بأشياء عرفتها من خلال خبرة حياتك القصيرة. إنه الوقت الذي كنا نقضيه بطرح أسئلة عامة للغاية لكنها أسئلة لا تقبل الإجابات المباشرة، إنه الوقت القابل لكل مبالغة وتصنع وهو أكثر الأوقات خصوصية. ففجأة يمكن أن تسأل إحدانا سؤالا مثل: "بماذا سأشعر حين أصير أما؟"، فتمر علينا فترة صمت، فترة نتوقف فيها عن الكلام من أجل التفكير في السؤال لكنها تطول حتى إن كلاً منا تشك في أن الفتاة الأخرى نامت وتركتها مستيقظة. وما إن يدوم هذا الصمت لفترة طويلة حتى تميل إحدانا للنوم، تأتيها الإجابة في شكل سؤال جديد: "هل يمكن لفتاة أن تصير أما بلا زواج؟".

كان هذا مرانا، نوعًا من التدريب الوجداني. لا نتذكر مثل هذه المناقشات في إفطار اليوم التالي، لكن ربما نتذكر أكثر الأشياء سخافة في هذا الحديث الذي يترك أثرا دائما صغيرا لكنه عميق، أثرًا تكبر ويكبر معك لكنه لا يظهر أبدا. بل ينتظر إلى أن تأتي صديقة أخرى لتبيت ليلة معك وفي اللحظة التي تنطفئ فيها الأنوار وتتحول فيها العيون إلى السقف، كي يظهر كما لو أنه أغنية على أسطوانة فونوغراف طاردتها إبرته وأخرجتها.

عندما توقف المطر عدت إلى مرفأ العبارات واشتريت تذكرة. بدا من الواضح أنني لا أستطيع لعب دور السائحة وأنني لست الشخص الذي يمكنه أن يدخل في مغامرات لا نهائية ورحلات طويلة. حين نظرت إلى البحر الذي تلألأ مع ضوء الشمس، تذكرت الرقم المكتوب في كفي. كان رقم "جولايد" لا يزال مقروءًا. لاحظت وجود كابينة هاتف عند رصيف المرفأ، وكانت العملات في جيبي منذ البارحة تصدر رنينا. اقتربت من الهاتف وتفحصت بعناية ذلك التجويف المكتوب فوقه "مخَرج استعادة النقود". سألني صوت من خلفي إن كنت سأستعمل الهاتف، بدا الرجل نافد الصبر فقلت له: "تفضل أنت".

Twitter: @ketab_n

26

في أحد أيام أغسطس الحارة عدت إلى المنزل مع "إريتجرول". فتحت أمي الباب، كانت ترتدي بلوزة زرقاء لم أرها وقد ارتدتها منذ زمن بعيد. وكان شعرها معقودا للخلف كما أنها وضعت بعض المكياج على ما أعتقد. تقابلا ببعض الحميمية، أشارت أمي إلى غرفة المعيشة ثم جرت إلى المطبخ. جلس "إريتجرول" على الكرسي الذي كثيرا ما استغرقت في النوم عليه في ليالٍ كثيرة مضت. كان يرتدي قميصا باهت اللون. وكانت لحيته تظهره كطالب في الجامعة لا كمهندس، حيث لم تكن تضيف إلى سنه.

تتحدث أمي من المطبخ قائلة:

- لقد اشتريت بعض الكعك، ولدينا شاي. أما إن كنت ترغب في شرب القهوة، فينبغي أن أنبهك إلى أن اللبن قد نفد.

قال "إريتجرول":

- لا تتعبي نفسك.

ردت أمي ضاحكة:

Twitter: @ketab_n

- ياه، أنت تتعبني كثيرا هكذا! من الصعب أن تعطي أوامر لمن يكبرك.

كنت واقفة عند باب المطبخ مترددة بين أمرين، أن أذهب لأساعد أمي أو أن أذهب وأجلس بجوار "إريتجرول". كنت قلقة من اللحظة التي سيتقابلان فيها ولم يخطر على بالي أن لقاءهما سيكون بهذه السلاسة.

- "أردا"، لا تتركي الولد وحيدا.

تتحرك أمي بشكل دائم، تجري هنا وهناك. أعتقد أن هذا يحدث لأنها لم تستقبل ضيفا منذ وقت طويل. أخرجت الأكواب المصنوعة يدويا وأحضرت الشاي على صينية فضية تم طلاؤها بالفضة حديثا. ثم رأت أن قطع الكيك التي أحضرتها لم تكن كافية، ومررنا بوقت عصيب ونحن نقنعها بعدم جلب المزيد.

- إذًا أنت مهندس، أليس كذلك؟
- بلى، مهندس مدني.
- تعمل في الشرق؟
- دياربكير. إننا نبني وحدات سكنية هناك.
- دياربكير مكان لطيف. لقد ذهبت إلى مدرسة هناك لمدة سنة.
- نعم، إنه مكان لطيف بالفعل. لكن لسوء الحظ ليس لدينا كثير من الوقت للخروج من الموقع.
- هل كنت زميل "فيرات" في الدراسة؟
- لم ندرس أبدا في نفس الفصل، إلا في العامين الأولين، لكننا قريبان مثل فردين من عصابة واحدة.
- يمكنك أن تتصل به الليلة وتتحدث إليه.
- بالتأكيد سأتصل به.

Twitter: @ketab_n

- لابد وأنك تفتقده، أنا أفتقده كثيرا.

لا تبهرني الطريقة التي يمر بها الحوار. للوهلة الأولى قد يعتقد المرء أن "إريتجرول" قد تغير. إنه يختار كلماته بعناية، مؤدب للغاية ويتعامل مع أمي بطريقة متزنة. إن هذا يجعلك تفكر في أنه رجل تمكن من الوصول إلى النضج في آخر لحظة. إجاباته موجزة وواضحة وبسيطة.

لكن تحت هذا التغير الظاهري، يبدو أن هناك شيئا لم يتغير على الإطلاق. فلدى "إريتجرول" حيلة عبقرية حيث يمكنه أن يرى نفسه في عيني الشخص الذي يتحدث إليه. إنه يراقب الانطباع الذي يتركه على الشخص الآخر الجالس أمامه ويراقب قوة كلماته. وهو يفعل هذا بمهارة واجتهاد بالغين، وبالتالي فهو يؤثر عليك حتى قبل أن تكون أي انطباع عنه. إن هذه الموهبة التي تجعل أغلب الناس ثقيلي الظل لن تضايقك أبدا إذا ما لاحظتها فيه.

قالت أمي:

- لقد أطال الخصام معنا، وطلب صوره بالأمس.
- وماذا سيفعل بها؟
- لا أعرف.. امم.. في الحقيقة ربما أعرف لماذا طلبها. إنه لا يريد أن يبقى أي شيء منه في هذا المنزل. إنه يحاول قطع صلته بنا.

نظر "إريتجرول" إلى وجه أمي:

- لكن لماذا يفعل هذا؟
- لأننا لم نربه كما ينبغي.

قالتها أمي وهي تمسح دمعة سالت على جانب عينها بمندل الطاولة المجاور لطبق الكعك.

Twitter: @ketab_n

إنه يعتقد أن كل ما فكرنا فيه لأجله كان عديم القيمة، وأن كل القرارات السيئة التي اتخذها وكل شيء سيئ حدث له، كل هذا خطؤنا نحن.

- خطؤكم؟
- نعم خطؤنا، خطأي وخطأ أبيه، وهو يلقي باللوم على أبيه على وجه الخصوص.
- "فيرات" شخص طيب لكنه حساس للغاية.
- حسنا، نحن كلنا حساسون للغاية. إن حدث شيء لواحد منا نتألم جميعا لهذا، إننا نخاف أن نكسر قلب أي شخص...

قاطعتها:

- لهذا السبب، ليس لدينا وقت لشيء آخر، إننا نقضي وقتنا كله في العناية والاهتمام ببعضنا. إننا ننظر بداخلنا كثيرا حتى إننا لا نستطيع أن نرى الحائط الذي قد يبنيه أحدنا بيننا وبينه. وعندما نتألم لأننا اصطدمنا بهذا الحائط فإننا نعود لنكرر ما فعلناه ثم ننسى ما حدث ولا نتكلم عنه مرة أخرى. إنها الدائرة القبيحة التي ندور فيها، أما "فيرات" فهو يحاول -بالمحاولة والخطأ- أن يخرج منها.

نهضت ووضعت أكواب الشاي على الصينية ومشيت إلى المطبخ. قالت أمي من خلفي:

- منذ متى وأنت تفكرين فيما قلت؟
- لقد أتى هذا على بالي الآن فقط وأنا أسمع حديثكما.

عندما عدت بالمزيد من الشاي الساخن، وجدتهما يتحدثان في أمر آخر. كان "إريتجرول" يخبر أمي عن الأماكن التي رآها في الشرق، بينما تخبره أمي عن

Twitter: @ketab_n

السنة التي قضتها في سكن مخصص للمعلمات في أيام المدرسة الثانوية، وعن أفلام "جيري لويس" التي رأتها في دار العرض الأمريكية، وعنها عندما كانت شابة. أغدق "إريتجرول" عليها بالمجاملات. ذكر بشكل متحفظ كيف كان شعرها ويداها جميلتين ثم مال إلى الأمام ووضع عينيه في عينيها واستمع بحرص لكل كلمة تقولها وهو مبتسم. لم أر رجلا مثل "إريتجرول" في إتقانه لفن التودد إلى النساء.

مع حلول المساء، وبعد أنا قاوم "إريتجرول" كل عروض أمي له بالبقاء معنا للعشاء وبيات الليلة في منزلنا، خرجنا معا. مازالت أمي غير قادرة على أن تفهم أن أصدقاءنا لم يعودوا في السابعة عشرة من عمرهم، وكانت مجرد فكرة النوم تحت سقف واحد مع "إريتجرول" تصيبني بتقلصات في معدتي. ذهبنا إلى كوبروبابشي ومشينا نحو شارع كيزيليسكلي محمود بينما ننظر إلى نوافذ المحلات. كان كل من الشمس والقمر ظاهرين في السماء، بينما تتعبنا رائحة لبن خفيفة.

سألته:

- هل تعرف قصة الطفل الراعي؟

قال وهو يضحك:

- هل تقصدين تلك الحكاية القديمة؟

كان صديقك "فيرات" يؤدي الخدمة العسكرية، وكان الجو باردا بشكل فظيع، حتى إن وحدته خفضت عدد ساعات الخدمة إلى النصف. كانت هناك بعض الأحداث التي حدثت حول موقع الوحدة وبالتالي كان جميع من بها متوترين للغاية.. ألم يخبرك بهذا أبدا؟

- لا.

Twitter: @ketab_n

ولأن جميع الأنوار بالوحدة كانت مطفأة خشية وقوع هجوم بالصواريخ على موقعها، فقد كان الظلام دامسا، وكان من الصعب للغاية تمييز أي شيء يقترب. كان فيرات واقفا في الظلام وهو يرتجف. وفي لحظة ما تخيل أنه رأى شيئا يتحرك. ربما كان من الأفضل له أن يخبر زملاءه بالداخل، لكنه لم يفعل إما لأنه كان خائفا جدا أو شجاعا جدا. خطا ثماني أو عشر خطوات للأمام، فتحرك هذا الشخص نحوه، رأى بيده شيئا يلمع لمعة معدنية. كان "فيرات" مذعورا، لدرجة أنه سحب زناد بندقيته، وحين سمعه زملاؤه الذين بالداخل خرجوا جميعا وأطلقوا النار نحو نفس الهدف.

- هل رد عليهم أحد بإطلاق نار؟
- لا.
- تعنين أنه أصاب الراعي؟
- لا أحد يعرف. كان الراعي طفلا في الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة من عمره. وجدوا جثته في الصباح، وأخبرهم أهل القرية المجاورة أنه كان يرعى ماعزا في الصباح. لا أعتقد أن "فيرات" هو من أرداه قتيلا. فهناك احتمال أن تكون رصاصة من أحد الجنود الآخرين هي التي قتلته، فقد فتحوا النار بشكل عشوائي في الظلام.
- ثم؟

كانت هناك حفرة صغيرة لا تبعد كثيرا عن المكان الذي لقى فيه الولد حتفه. كان الولد يمكسك بيده صندوقا معدنيا صغيرا يلمع في الظلام.. وعندما فتحوا الصندوق وجدوا فيه خمسة ملايين ليرة...

خمسة ملايين...

أمر أحد الضباط أن يتم تحويل هذه الحفرة إلى قبر للولد، لم يستطيعوا الوصول إلى عائلته ولم يسأل عنه أحد. لا أحد يعرف ما حدث للصندوق وسط

Twitter: @ketab_n

الجلبة. أحيانا ما يستيقظ "فيرات" من نومه وهو يصرخ، يقول إن الولد أتاه في الحلم بوجه ملطخ بالدم وهو يطالب بنقوده.

- هل تعرف أمك هذا؟
- بالطبع لا.

لم يسألني المزيد من الأسئلة ولم أخبره بالمزيد أيضا. كان من الواضح أننا نمشي دون رغبة في الوصول إلى مقصد معين حيث إن الفندق الذي يمكث به يقع في الجانب الآخر من المدينة. شعرت بشعور جيد وأنا أمشي معه بلا هدف على طول الطريق الذي يصل ميدان كوبروباشي بمحطة السكك الحديدية. اشترينا لب القرع العسلي، وضع بعضا منه على كفة يده وأعطاني القرطاس.

- لقد أحببت والدتك كثيرا.
- هذا واضح. إنها تحبك أيضا.
- أتمنى لو أنني قابلتها وهي شابة، كنت سأطلب يدها للزواج على الفور.
- أنا متأكدة من أنك كنت ستفعل هذا دون شك.
- هل كانت ستقبل؟
- لا أعتقد. في الواقع أنت لست من صنف الرجال الذي تهتم له.
- وكيف لك أن تعرفي هذا؟
- إنها أمي، وأنت بك الكثير من العنفوان والصخب. إنها تحب الرجال الهادئين مثل أبي.
- لكنها أحبتني، أليس كذلك؟
- لأنك خدعتها.
- وكيف هذا؟

Twitter: @ketab_n

- لم تتصرف على طبيعتك؛ تظاهرت بأنك رجل جاد.
- ألست جادا؟
- لا تجعلني أضحك.
- لكننا لم نر بعضنا منذ سنوات، ربما أكون قد تغيرت.
- لقد عرفت الكثير عنك حتى إنني أستطيع أن أخمن مقدار التغيير الذي من الممكن أن يحدث لك.
- تخمنين؟ أنت لست متأكدة إذا.
- لم أقل إنني غير متأكدة.
- لقد قلت إنك تخمنين، وبالتالي فقد أكون قد تغيرت، قد تكون أشياء فظيعة حدثت لي حتى أصبحت شخصا مختلفا للغاية. أو ربما غيرتني الأيام وغيرت عاداتي، وربما يكون حال نادي بيشكتاش حاليا جعلني لا أهتم لكرة القدم. كما تعلمين فإن مثل هذه الأشياء تحدث في الحياة.
- أعتقد أن كل هذا هراء.
- لقد اشتقت إليك أنا أيضا.

وضعت ذراعي بذراعه، تخطانا الآخرون من الجانبين، وشعرت بأن الغيوم التي بداخلي قد انفرجت وبدأت تنقشع. فهذا الرجل ذو اللحية الذي أمشي معه الآن في الشارع الرئيسي بالمدينة التي كبرت بها يعيد إلي شيئا لا أعرفه، وهو يفعل هذا بلا أي مجهود.

- لماذا جئت يا "إريتجرول"؟

رمى قشر اللب من يده ووضعه في سلة للمهملات:

- كي أراك بالتأكيد.

Twitter: @ketab_n

27

نزلت من الأتوبيس في بوشتانشي وبدأ شخص ما يتتبعني. لم يحل الظلام بعد، وأردت أن أستهلك المزيد من الوقت وأطيل من تمشيتي. لكن جولتي بالمدينة لم تكن بالطول الذي توقعته. سيكون من العبث العودة للمنزل الآن كي أجد "إريتجرول" في وضع سخيف مرة أخرى.

أوقفني الرجل الذي يتبعني وأنا في طريقي لمحطة السكك الحديدية وسألني إن كان معي قليل من المال له. لم يبد شحاذا، وكان على الأغلب في الثلاثين من عمره، له بنية قوية يرتدي سترة صوفية على الرغم من ارتفاع درجة الحرارة. عندما نظرت في عينيه شعرت بشعور غير متوقع تماما. لاحظت أنهما سوداوان وغامضتان وأنه ينظر إلي بقسوة، وبطريقة تتناقض مع ابتسامته العريضة التي على وجهه. حاولت أن أتصرف بشكل طبيعي. وأخذت أتذكر أين وضعت الفكة، قررت أن أعطيه العملات المعدنية التي وجدتها في جيبي الأول لكنه لم يتزحزح من مكانه. جعلني هذا أشعر بأن الوقت قد حان لكي أقلق. قال بنبرة لم أسمع مثلها من قبل ودون تأكيد على أي كلمة أو مقطع: "لقد جئت إلى هذه المدينة كي أجد عملا، لكنني هنا لشهور ومازلت عاطلا عن العمل. أنا في حالة تسمح لي بفعل أي شيء من أجل ثلاثة بنسات".

Twitter: @ketab_n

وضعت العملات المعدنية في يده، ثم بدأت أمشي. بعد خمسين مترًا نظرت خلفي، كان يقف في المكان نفسه، لم يكن حتى قد أنزل يده التي بها النقود للأسفل وإنما كان ينظر نحوي مباشرة.

أشحت نظري عنه وأسرعت من خطاي. تظاهرت بأن بيتي عند الناصية، كما لو أنني بنت هذه المدينة التي ولدت وكبرت فيها. تقدمت للأمام بخطى واثقة. ما إن انحرفت عند الناصية ومشيت حتى منتصف الشارع، حتى أدركت أنه يتتبعني مرة أخرى. لو أنني استدرت ونظرت فسيعرف أنني لاحظت تتبعه لي، وسيكون هذا بمثابة جملة له مني: "أنت تتبعني.. أنا خائفة منك".

عندما وصلت إلى شارع به عدد أكبر من الناس، توقفت أمام واجهة العرض الخاصة بأول محل صادفته. كان محلا للأدوات الحديدية والطلاء، نظرت إلى علب الطلاء المرصوصة على الأرفف وقد حبست أنفاسي، ثم رأيت في زجاج نافذة العرض انعكاسا لرجل يقف خلفي على الرصيف المقابل للمحل. كان قلبي يخفق بعنف كما لو انه سينفجر. الغريب في الأمر أن الرجل بدا مهتما بنافذة العرض أكثر من اهتمامه بي، ربما سيشتري بعض الصواميل والمسامير بعد أن يقتلني.

كان هناك شخصان في المحل، أحدهما شاب يعمل بائعا والآخر رجل مسن يرتب الأشياء على الأرفف بالداخل. خطر ببالي فجأة أن أطلب منهم المساعدة، لكنني لم أعرف كيف يمكنني أن أخبرهم بمثل هذا الأمر. ربما ينبغي علي أن أشير إلى الرصيف المقابل وأطلب منهم أن يفعلوا شيئا.

نهض البائع من مكانه وسألني عما أريد. قلت إنني أريد أن أشتري بعض المسامير؛ مسامير لتعليق صور على الحائط؟؟؟؟ كان للمحل جو يبعث على الشجن. لابد وأنني أصغر بعامين تقريبا من الشاب الذي عرض علي عينات المسامير مثبتة داخل درج، كان نحيفا وضعيف البنية، وكان له صوت عميق لن تتوقع أن يكون له مثله بسبب بنية جسمه.

Twitter: @ketab_n

نظرت إلى الخارج من جانب عيني، كان الرجل لا يزال هناك. دون أن أحرك رأسي ناحيته، قلت للشاب إنني انتقلت إلى هذا الحي مؤخرا وإنني سآتي إليه مرة أخرى غدا كي أشتري طلاء وأشياء أخرى. تظاهرت بأنني أشير إلى المكان الذي انتقلنا إليه، وأشرت نحو المجنون الواقف بالخارج. حاول الولد أن يلف كبشة من المسامير في قطعة من الورق بينما نظر إلى الاتجاه الذي أشرت إليه بشكل متكرر وهو يومئ.

هل سيخاف إن أبدى له الولد بعض الدهشة أو الانتباه أو الغضب؟ لا أتوقع أن يفهم الولد الموقف، لكن سيكون لطيفا منه أن يحاول تخويف الرجل الذي بالخارج.

- هل تعرفين الشاب الواقف على الرصيف المقابل؟

جاءني السؤال من العجوز الذي يرتب البضاعة على الأرفف مما أربك رباطة جأشي التي كنت محتفظة بها لوقت طويل دون أن أعرف لهذا سببا. امتلأت عيناي بالدموع وقلت إنني لا أعرفه.

- إنه ينظر تجاهنا منذ مدة.

انهرت وبدأت أبكي:

- إنه يتتبعني من الشارع الرئيسي، ولا أعرف ماذا يريد، لكنني خائفة.. أنا مرعوبة منه جدا.. هل تستطيع أن تساعدني؟

نزل الرجل من السلم الذي كان يقف عليه ومسح يده في ثيابه بينما لا يزال مثبتا عينيه على الخارج.

- لا يمكنني أن أذهب إليه وأضربه، أنا رجل مسن جدا لفعل هذا.

ثم جذب كتف البائع قائلا:

Twitter: @ketab_n

- ولو أرسلته إلى هذا الشاب فسوف يقتله، وأخسر مساعدي. لدينا هاتف، يمكنك استخدامه إن أردت وسيأتي أهلك ليأخذوك من هنا.

طلبت الرقم وأنا أرتعش، كنت أدعو أن يكون هناك من يرد علي. رد "إريتجرول" بصوت ناعس بعدما طلبت الرقم ستة ملايين مرة تقريبا. كان قد استيقظ لتوه وبالتالي فقد كان من الصعب عليه فهم ما أقوله. بدأت أبكي مرة أخرى، ثم أعطيت السماعة للبائع كي يدل "إريتجرول" على الطريق. عصفت بأنفي داخل المنديل الذي أعطانيه الرجل، ثم نظرت إلى الرصيف فلم أجد الشاب الذي كان يتتبعني. لم يكن هناك، لقد اختفى.

قال الرجل المسن:

- اجلسي هنا وانتظري فحسب، إذ لا يمكننا التنبؤ بما يمكن أن يحدث، إننا في إسطنبول.

ظهر "إريتجرول" خلف الباب بعدها وهو يبتسم، وضعت جانبا الشاي الذي برد وقفزت بسرور كبير أدهشني، جريت نحوه وحضنته، وحضنت مالك المتجر والبائع. كان "إريتجرول" دهشًا أيضا، لكنه فعل ما فرضه عليه الموقف، إذ ربت بيده على رأسي. انفجرت عندها بالبكاء مثل المجنونة.

قال صاحب المتجر لـ"إريتجرول":

- لابد وأن هذا الشاب أفزع أختك كثيرا.

ثم أعطاني حقيبتي التي كانت جانب طاولة الحساب.

عندما وصلنا إلى المنزل كان الظلام قد بدأ يحل. مزح "إريتجرول" معي طيلة الطريق وجعلني أضحك. استرخيت قليلا، أتمنى أن لو أنني ذهبت إلى هذا الشاب وقلت له: "متأسفة يا صديقي فأنا لا أحتاج للمزيد من الجنون والخلل العقلي". ربما ليس من الظريف أن تواتيني هذه الفكرة بعد انتهاء الموقف، لكن

Twitter: @ketab_n

كي أكون أمينة، ففي الوقت الذي وضع فيه "إريتجرول" ذراعه حول كتفي، ومشى معي في تلك الشوارع التي كنت أشعر فيها بالذعر، أحسست أن المشي معه كبلسم ملطف لمشاعري.

قررنا أن ننتظر "فيرات" كي نتناول معه طعام العشاء، لم نكن ننوي طهي أي شيء على أي حال، حيث إن بقايا طعام أمس ستكفينا اليوم، سألني "إريتجرول" إن كنت أريد تناول بعض النبيذ، وأنا أعلم أن الشباب الناضجين لا يرفضون مثل هذا العرض، ولأنني كنت أخاف كأي مراهقة من أن يعتبرني الآخرون طفلة فقد قلت إنني أريد، ربما يكون هذا طريقة جيدة كي أسترخي قليلا.

أخذنا كأسينا وجلسنا أمام بعضنا. خرجت القطط من مخابئها وجلست على حجرينا. النسيم البارد الذي دخل من النافذة مسد وجهي، بينما كان كتاب "يورجو سيفريس" لا يزال مستلقيا على طاولة القهوة الحديدية حيث تركته في الصباح. أخذ "إريتجرول" رشفة من كأسه ووضع الكأس على طاولة القهوة ثم أمسك بالكتاب وهو شارد الذهن وأخذ يقلب بين صفحاته.

قلت:

- لا يمكنني تذكر اسم اليوناني الآخر.
- أي يوناني؟
- الشاعر الذي كنت تتلو قصيدته ليلة أمس.

عقد حاجبيه للحظة كما لو كان من المستحيل بالنسبة له تذكر الاسم، ثم بعد تفكير دام لبعض الوقت وضع الكتاب الذي في يده على طاولة القهوة وقال مبتسما:

- "قسطنطين كفافيس".
- نعم، لم أستطع تذكر قصيدته على الرغم من أنني حاولت جاهدة.
- هل تحبين الشعر؟

Twitter: @ketab_n

- لا أعرف، فأنا لم أقرأ الكثير منه.

أشار إلى الكتاب الموضوع على زجاج الطاولة.

- لكنك قرأت هذا الديوان..
- لم أتركه من يدي طيلة النهار.
- وهل أحببته؟
- أعتقد هذا، أعني أن كلمة حب هنا بسيطة للغاية فقد أدهشني الديوان للغاية.
- إذا فهذا يعني أنك أحببته. فأنت إما أن تكوني قد أحببته أو لا، وليس عليك أن تقولي جملا معقدة للتعبير عن هذا.
- أنا لا أحاول الكلام بجمل معقدة.

قال مبتسمًا:

- أنا أعرف.. أنا أعرف.

Twitter: @ketab_n

28

حصلت على تذكرة في أتوبيس الغد يتحرك الساعة الثانية عشرة والنصف. موقف الأتوبيس، رصيف 7، مقعد 15. أغلقت الدرج، وأنزلت الحقيبة التي كانت فوق خزانة الملابس لشهور. يتساقط علي التراب من كل ناحية. هذه حقيبة علي، وهي عميقة ومصنوعة من جلد سميك ولها شكل يجعلها تبدو رجالية. نظفتها بقطعة قماش مبتلة قبل أن أضعها على السرير. بدأت أجمع فيها أشيائي المتناثرة في جميع جوانب المنزل، ووضعت القطع الأكبر أولا. وقفت أمي عند الباب تدخن وتشاهدني وقد بدت مستعدة للمساعدة إن احتجت إليها...

- هل ستتصلين بعلي؟

تقولها وهي تجمع الرماد المتساقط من سيجارتها بحرص في يدها.

أقول:

- نعم.

لم أودع "إريتجرول"، عندما تركته أمام فندقه، نظرنا إلى بعضنا كما لو أننا سنرى بعضنا في اليوم التالي، والأيام التي تليه. لم نقل أيًا من العبارات التي

Twitter: @ketab_n

عادة ما تقال في مثل هذه المناسبات. عندما دفع باب التاكسي الذي ركبته وأغلقه قال مبتسما: "قبلي أمك لأجلي". كان يعلم أنني راحلة، فقد كان هذا أول شيء أخبرته به حين تقابلنا.

- إننا لم نكن كرماء بما يكفي مع هذا الولد.

هل أضع الملابس الداخلية أولا في الحقيبة أم المناشف؟

- حسنا، إنه لم يشكُ يا أمي...
- وقد ثرثرت كثيرا... أتمنى ألا أكون قد جعلته يمل.
- لا تقلقي يا أمي، أنا متأكدة من أنه لم يمل.
- لكنه لم يمكث معنا لتناول العشاء.
- سيفعل في المرة القادمة يا أمي.

تغادر مكانها وتختفي داخل غرفة المعيشة كي ترمي رماد سيجارتها. لا يمكن أن أكون قد جلبت كل هذه الأشياء معي. يبدو أنها تضاعفت وأنا هنا. عندما أبدأ في ترتيب البنطلونات تظهر أمي ثانية.

- إنه ولد لطيف.
- نعم، إنه لطيف في الحقيقة.
- إنه يذكرني قليلا بـ"فيرات". ليس في مظهره ولكن في تصرفاته.
- عذرا يا أمي لكن لا يوجد بينهما أي تشابه.
- بل يوجد بينهما تشابه، فهو يجذبك نحوه دون حتى أن تدري، وقد كان أبوك هكذا. لأول وهلة ستقولين إنه شارد الذهن، لكنه كان واعيا لكل شيء، وهو لا يبين هذا فحسب.

بينما كنت أطوي آخر بنطلون لم أستطع أن أكتم ضحكتي:

Twitter: @ketab_n

- حسنا إذا، هل نبدأ في استعدادات الزواج لكما؟
- لا تمزحي. بالمناسبة يبدو أن لديه مشكلة ما.
- هل تكلمتما في هذا أيضا؟
- لا، لم نفعل، لكنني خمنت هذا فحسب. إنه متوتر مثل ورقة شجر مهتزة في الربيع، إنه يشرد بذهنه أثناء الحديث، ربما لا تلاحظين هذا لأنه مليء بالحيوية وكثير المزاح، لكنني أعتقد أن أمرا ما يضايقه...

مللت من ترتيب الملابس في الحقيبة فتركتها وجلست على الفراش.

- لا أعرف يا أمي، إنه لم يخبرني بأي شيء...

- إن هذا النوع من الناس لا يقول أي شيء.

اتصلت بالمنزل في إسطنبول لكن لم يرد أحد علي. أنا سعيدة لأن عليًّا ليس في المنزل في هذا الوقت، لابد وأنه خرج هذه الليلة مع أصدقائه. حاولت أن أفكر مع من خرج. دارت في عقلي صور أصدقائه ومعارفه في فترات مختلفة من عمره وقلبتها واحدة تلو الأخرى. أشخاص عاديون يتناول معهم الشراب ويستمع معهم إلى الموسيقى التركية الكلاسيكية. لا أعتقد أن لديه أصدقاء لم أقابلهم على أي حال.

جال بخاطري مشهد أدهشني وضوحه في عقلي. كنت في آخر شهور من حملي وكنا جالسين مع "أرا" و"كارين" و"كيرتشيب" على طاولة قهوة كبيرة في المنزل القديم. تهادت إلينا أصوات الكمان والطبول، منذ لحظات قليلة أعلنت الأشعة التي أجريت لي بأننا قد رزقنا بابن. قال الأب المستقبلي الوسيم وهو يدير كوبه في يده: "ارحل الآن دون أن تجعلنا نحبك".

على وجهه تردد طالب الطب الذي كان يبدو عليه قبل سنوات، وفي عينيه سعادة كبيرة لم تنتبه من قبل، كان يغني لزوجته العزيزة أغنية تحبها ويغير طبقات صوته الذي نحبه كثيرا. في الخارج كان فبراير ثائرا لكن النوافذ كانت مغلقة بإحكام. وكان هواء الغرفة الصغيرة التي كنا بها ممتلئا بالدخان ورائحة الخمر.

Twitter: @ketab_n

- هل إرسال الصور كان مكلفا للغاية؟

لا يعرض التلفزيون أي أفلام الليلة، إننا نشاهد فيلما وثائقيا على قناة إسبانية يتحدث عن الكابوريا، ومن حين لآخر تنتقل الكاميرا من الكابوريا إلى مقابلة مع خبير في هذا الموضوع. لم أفهم كلمة واحدة، وحاولت أمي التنقل بين القنوات لتجد شيئًا أكثر تشويقا.

- لا، مهما كان غاليا فلن يكون غاليا جدا على أي حال.
- حسنا. عندما أرسل البواب كي يرسل شيئا مثل هذا أجد أنه يشكو كثيرا كما لو أنه سيدفع من جيبه.. أتعرفين يا أمي.. لو كان عندك حاسب آلي لكنا أرسلنا الصور لـ"فيرات" في دقيقة واحدة.
- ولماذا أقتني حاسبا؟
- لمثل هذه الأمور، كي ترسلي الصور وتكتبي الخطابات، إنها لن تأخذ منك دقيقة واحدة إن كان لديك حاسب.
- وربما أقضي مئات السنين قبل أن أتعلم كيف أفتح هذه الآلة.
- سأعلمك.
- لا، أنا لا أريد. فهذه المعرفة قد تؤدي إلى الانحراف.
- حسنا، يمكنك أن تفعلي هذا أيضا.

تتصرف أمي كأنني لن أغادر غدا، ربما بعدما قضيت معها كل هذا الوقت لم تصدق أنني سأذهب. لا أتذكر ما شعرت به في تلك الأمسية التي قضيتها في المنزل القديم. بينما كانت أصوات الطبول والكمان تعزف، وبينما كان علي يغني تلك الأغنية، ماذا كنت أفعل؟ فيم كنت أفكر؟ هل كنت خائفة من الولادة؟

الشيء الوحيد الذي أتذكره هو كوب العصير الذي وقف أمامي على الطاولة طيلة الليل. كما تبدو الأغنية أكثر وضوحا كلما فكرت فيها:

"ارحل الآن قبل أن تجعلنا نحبك".

Twitter: @ketab_n

29

مرت الساعات ولم يعد "فيرات" بعد. بدأنا نقلق عليه كما شعرنا بالغضب أيضا. لم نستطع أن نتخذ قرارا، هل نتصل بـ"إيسرا"؟ كانت الورقة التي كتب "فيرات" رقمها عليها لا تزال على طاولة السفرة. لكن لم يرد أي منا أن يلتقط الهاتف ويتصل بالرقم. إلا أننا أثناء جلوسنا في غرفة المعيشة نستمع إلى موسيقى بيانو ناعسة، بدا واضحا أن أحدنا سيضطر إلى القيام بهذا الاتصال بعد قليل. مما أدهشني أنني لاحظت أن "إريتجرول" غير مرتاح لـ"إيسرا".

فكرت في أنهما يعرفان بعضهما بكل تأكيد، إنهم جميعا في نفس المدرسة. لا توجد أي مشكلة في أن يتصل شخص بزميلته، خاصة في ظروف مثل التي نمر بها الآن. بالنسبة لي فأنا بعيدة للغاية عنها، إنها حتى لا تعرف بوجودي.

- صديقتك حلوة.
- من؟ "ياسيم"؟
- هل هذا هو اسمها؟ لدينا فتاتان في الفصل بهذا الاسم.
- أتمنى ألا تكونا مثلها.
- لماذا؟ وكيف هي "ياسيم"؟

Twitter: @ketab_n

- في الحقيقة هي فتاة ذكية، لكنها ليست ذكية جدا كما تظن. إنها تحاول أن تستغلني كي تصل إلى أبي، بعض الفنانين يأخذون كلام أبي على محمل الجدية، ولو دعم أبي فتاة في الثامنة عشرة من عمرها وتطمح لأن تكون رسامة، فسوف يكون هذا فرصة كبيرة لها. إن هذا هو ما تريده وهو أمر واضح للغاية.
- وهل سيدعمها أبوك؟
- لا، لن يفعل.
- وماذا إذا؟
- سأخبرك بما سيحدث. سأعلمها درسا، لا أعلم إن كانت ستصبح أكثر تعقلا أم لا لكن على الأقل يبدو واضحا أنها لن تتعلم هذا في مكان آخر.
- وما الذي ستتعلمه؟
- ألا تخطط، وأن تتصرف بشكل حسن ومقبول.
- هل تتركها تقترب منك كي تعاقبها؟
- لا، لأنها فتاة جميلة.

تنهد "إريتجرول" ونهض، كان القط نائما في حجره وعندما نهض قفز على مخالبه في فزع وسحب معه خيوطا من التي شيرت الذي كان متعلقا به.

قلت:

- أنا جائعة، هل ستنتظره؟
- ربما من الأفضل أن نقوم بهذا الاتصال الآن.

Twitter: @ketab_n

استدار ونظر إلى الهاتف بوجه ملتو. كانت هذه هي المرة الأولى التي أعرف فيها أنه لا يحب "إيسرا". ترك حديثنا مذاقا مرا في عقلي، ولم أستطع أن أعرف ما الذي أزعجني. اقترب "إريتجرول" من الرف الذي عليه الهاتف ببطء، وطلب الرقم. كان يحرك أصابعه على زر متدل من التي شيرت بخيط بينما ينتظر ردا على الطرف الآخر.

- "إيسرا"؟

مرت فترة من الصمت.

- أنا بخير...

ثم فترة أطول من الصمت.

- نعم، هل لا يزال هناك؟

صمت مرة أخرى، ورفع حاجبيه.

- حسنا، لابد وأنه سيصل إلى هنا سريعا إذا. فكرت في أن أتصل بك لأنه تأخر كثيرا.
- بالتأكيد، بالتأكيد.. أراك بخير. طابت ليلتك.

نظر من النافذة بعد أن أغلق الهاتف، لقد غادر "فيرات" منزل "إيسرا" كي يلحق بآخر قارب، ولو استطاع أن يلحقه، فسيكون هنا في أي لحظة. كان القمر مكتملا، وقد لمعت بعض السحب في ضوء القمر. توقفت عن تمسيد فراء القط المتثائب في حجري واستنشقت أكبر نفس استطعت استنشاقه.

- في رأيك، إلى أي نوع من الفتيات تنتمي "إيسرا"؟

لم يرد "إريتجرول" على الفور، كان قد ألصق جبهته على زجاج النافذة محاولا أن يرى الشارع.

Twitter: @ketab_n

سحب الزر المتدلي من التي شيرت وبدت عليه الدهشة حين سقط الزر في يده. استدار نحوي وابتسم:

- هيا نسخن طعام العشاء.

ذهب إلى المطبخ بعد أن مرق بجانبي. كان من الواضح أن هذا رد على سؤالي. لكن الفضول كان يقتلني. ربما كان سيخبرني المزيد من المعلومات عن "إيسرا" لو أنني أصررت قليلا. أمسكت القط بهدوء من تحت بطنه دون أن أمانع في كل احتجاجاته وثورته، ثم وضعته على الأرض بحرص.

- أنت لست قريبا جدا من "إيسرا"، أليس كذلك؟

كان "إريتجرول" ينظر إلى القدر كي يرى كم تبقى من الإسباجيتي.

- أنت محقة، أنا لست قريبا منها على الإطلاق. هل سيكفينا هذا القدر؟
- وربما أنت لا تحبها، أليس كذلك؟

صفع الغطاء دون داع واضعا إياه على القدر.

- أن أحبها أو لا أحبها فهذا أمر آخر. دعينا نقول إنني لا أثق بها.

في هذا الحين لم يكن لدي المزيد من الشجاعة كي أسأله سؤالا آخر. مد ذراعه كي يلتقط الولاعة التي كانت على حافة شفاط المطبخ وقال بصوت متعب:

- سيعود فتانا في أي لحظة.

بينما كان الطعام على النار لم أتحدث مطلقا مع "إريتجرول". كنا غارقين في تفكير عميق بينما ننتظر "فيرات" حتى إننا لم ننبس ببنت شفة. وصل "فيرات" بعد عشر دقائق، وبدا أسوأ مما كان أمس. اتكأ على طاولة المطبخ

Twitter: @ketab_n

ونظر نحونا للحظة وهو يدخن سيجارته دون أن يتحدث. أوقفني بينما كنت أحمل الأطباق التي أعطاها لي "إريتجرول" كي أضعها على الطاولة.

- لا تعدي مكانا لي على طاولة العشاء.
- ألست جوعان؟
- لست في مزاج يسمح لي بالأكل.

قال "إريتجرول":

- إذا دعينا لا نحضر طاولة الطعام، نستطيع أن نأكل من أطباقنا مباشرة.
- هل اتصلتِ بالمنزل؟
- لا، لقد هاتفتهم أمس.
- كنت أتمنى لو أنك هاتفتهم اليوم أيضا. ربما يشكون في أمرنا.

كان بإمكاني أن ألحظ المجهود الذي يبذله كي يتصرف بشكل طبيعي. لو أنه فعلا يشعر بمشاعر سيئة كما يبدو عليه فإنه من الممكن أن يقول الكثير من الأشياء الغبية وأنا لا أمانع في هذا.

قلت ضاحكة:

- لا أعتقد أنهم يشكون في أي شيء. إننا أعطيناهم إجازة منا، وهذا كل ما في الأمر.
- اتصلي بهم غدا على أي حال.

أعطاني "إريتجرول" طبقا من الإسباجيتي وقليلا من الكفتة عليها بعض الخضروات. أخذ طبقه وزجاجة النبيذ وثلاثة أكواب في يديه ومشى نحو السلم. حرك رأسه كما لو كان يقول: "هيا يا شباب"، ثم قال: "اتبعوني".

Twitter: @ketab_n

مشى بنا في غرفة كبيرة في الطابق الأعلى خمنت أنها غرفة أبويه بسبب وجود سرير كبير فيها. مشى مباشرة نحو الستائر الحمراء الداكنة وفتحها كاشفا عن باب زجاجي كبير يؤدي إلى التراس.

كان التراس مواجها للجانب المقابل لغرفة المعيشة. وكان يطل على نفس ما تطل عليه غرفة النوم التي نمت بها. فعلى مدى البصر امتدت صفوف غير متناهية من المباني السكنية ذات النوافذ والأنوار والوميض، وحيث يخرج الناس من بلكوناتها وتراساتها متحررين من نصف ملابسهم كي يستنشقوا النسيم للحظات. كانت كل النوافذ مفتوحة، وتهادى طنين صنعته أصوات أجهزة الراديو والتلفزيون التي تعمل داخل كل هذه الشقق والتي اندمجت لكي تصدر هذا الطنين الغريب. كان التراس محاطا على جانبيه بشقتين أخريين. أمامنا مباشرة امتد حبلا غسيل ينظران إلى أضواء المدينة وعليهما بعض قطع الملابس المغسولة التي يبدو أنها تخص "إريتجرول". في منتصف التراس طاولة خشبية وحولها كراسي حديدية.

أسرع نحو حبلي الغسيل بعدما وضع الطبق والأكواب على الطاولة وأخذ الملابس إلى الداخل. كانت الكراسي باردة للغاية. لامس الحديد فخذي ونقل رعشة محببة إلى جسدي كله. بعدها بدقائق عاد "إريتجرول" بعلبة سجائر وولاعة. "لن ترغبا في مشاهدة ملابسي الداخلية طيلة الليل، أليس كذلك؟".

هذه المرة بذلنا مجهودا أكبر في محاولة جعل "فيرات" يتحدث، وكلما أردنا الدخول في الموضوع، تهرب هو من الحديث. كان يتظاهر كأنه لم يسمعنا، وقد بدا منهزما للغاية. كان صوته ضعيفا وكأنه على وشك البكاء بينما كان يرد علينا بإجابات قصيرة ومكسرة. نظرت إليه وفكرت في أن ما يطلق عليه عذاب الحب لو كان موجودا بالفعل، فما يعاني منه "فيرات" هو هذا العذاب دون شك.

Twitter: @ketab_n

قال بعد نصف ساعة من المحاولات الشاقة من جانبنا: "أعتقد أن هناك شخصًا آخر في حياتها".

نظرنا إلى بعضنا أنا و"إريتجرول". في هذه المرة كنا أكثر استعدادا، ساعدته على إشعال سيجارته وسألته من أين جاء بهذا.

- مسألة الذهاب إلى أمريكا.. إنها مهووسة بالذهاب هناك بشكل غير طبيعي.

بينما كنا نحاول أن نصل بين الأمرين استطرد قائلا: "يبدو لي أن هناك من ينتظرها هناك".

كانت عيناه ممتلئتين بالدموع، في الوقت الذي كان يتهيأ فيه "إريتجرول" للرد عليه، ثم انطفأ نور التراس فجأة وتبعته أنوار الشقق السكنية التي انطفأت بالتتابع وعلى مدى البصر، وخرجت صيحة مشتركة من جميع التراسات المحيطة من أثر المفاجأة.

Twitter: @ketab_n

30

أحيانا حين نتحير بين الاختيارات، تختار الحياة لنا. وهي لا تفعل هذا بشكل يثير العجب، وإنما ما يحدث أننا نختار أحد الخيارات التي لا تبدو خطيرة للغاية للوهلة الأولى، ثم تعمل قوى الحياة الخفية على ترتيب بقية الأحداث.

أعدت أمي إفطار وداع رائعًا، كانت هذه مهمة أبي في العادة، فقد كان يستيقظ مبكرا في أيام الأحد ويذهب للتسوق. في الحقيقة لقد كان يكره ملل يوم الأحد مثل جميع الآباء، وكان يهرب من المنزل.

ثم أصبح خبيرا في هذا بعدما عرف الأماكن التي يمكنه أن يجد فيها ما يحتاجه في أيام الأحد الهادئة والتي تغلق فيها أغلب المحلات. وبينما نحن نتقلب في فراشنا بين النوم والاستيقاظ، نسمع صوت الباب من على بعد فنعرف أنه قد وصل. ثم نجلس على طاولة الطعام التي كان يتكوم عليها في هذه الأيام كميات هائلة من الطعام لم نكن نراها عادة في أيام الأسبوع الأخرى، لم يكن أبي يتناول الطعام عادة لفترة طويلة وكان يجلس ويتابعنا بينما يدخن على الرغم من كل الاعتراضات التي تتفوه بها أمي.

نستمر في تناول الإفطار في صمت تقطعه أسئلة أمي. تسألني إن كنت قد

Twitter: @ketab_n

وضعت في حقيبتي الأشياء الهامة مثل بطاقة الهوية وبطاقة المصرف والمفاتيح حيث إن نسيان هذه الأشياء سيوقعني في ورطة كبيرة. أجيب بينما أنظر إلى الجريدة المفروشة على الجانب الآخر من الطاولة. أحاول أن أفهم ما حدث في العالم خلال اليوم الماضي وأدفع نفسي بكامل فضولي إلى السطور المكتوبة فيها. يقول صوت بداخلي: "هذا هو العالم الذي ينتظرك بالخارج، هذا ما ستصبحينه ما إن تخطو قدماك خارج هذا الباب".

ننظف الطاولة عند الساعة الحادية عشرة تقريبا، لا أعرف حقيقة كيف يمكنني أن أمضي هذه اللحظات الأخيرة في المنزل. فأنا لا أريد أن ألجأ لمشاهدة فيلم وأعتقد أن أمي أيضا لا ترغب في هذا.

علي أن أقوم بعمل مكالمة هاتفية، في الحقيقة علي القيام بمكالمات كثيرة. عندما التقطت سماعة الهاتف أدركت أنني لا أستطيع اتخاذ قرار بشأن الرقم الذي يتوجب علي أن أطلبه أولا. الموسيقى التي تنساب من راديو أمي هي مقدمة موسيقية لأغنية لا أعرفها. اتصلت بإسطنبول. طلبت رقم العيادة التي يعمل فيها علي، تخبرني الفتاة التي ردت علي بصوت مبتسم بأن "علي بك" لم يصل بعد. أتذكر أنه يذهب إلى العمل متأخرا في أيام الأحد. لابد وأنه في الطريق.

لأنني أكره الهواتف المحمولة كثيرا، فقد أرجأت اتصالي بعلي لوقت لاحق وجربت الاتصال بالفندق الذي يمكث فيه "إريتجرول".

يقول بصوت مبتسم أيضا:

- كنت على وشك الاتصال بك.
- سأرحل اليوم، أنت تعرف هذا، أليس كذلك؟
- بلى، هل لديك بعض الوقت؟
- لماذا؟

Twitter: @ketab_n

- هل يمكنك المرور بالفندق؟
- لا أعرف، يبدو هذا صعبا بعض الشيء.
- لدي أشياء أريد أن أخبرك بها.
- ألا يمكنك أن تقولها في الهاتف؟
- أفضل أن تأتي.

مرت فترة من الصمت، نظرت من جانب عيني فرأيت أمي وهي تغسل الأطباق، سمعت صوتًا يشبه صوتي يقول: "حسنا" ثم: "لكنني لن يمكنني المكوث لفترة طويلة".

أنزلت سماعة الهاتف، فجاءت أمي. جلست على كرسيها ونظرت إلى التلفزيون المغلق دون أن تتحدث. لابد وأنها تفكر في تحولات الأحداث التي لابد أن تحدث في الفيلم الذي ربما يكون قد بدأ. لا تحرك عينيها بعيدا عن الشاشة المخضرة اللون. "لو كنت ستخرجين، فتأكدي من ارتداء معطف للمطر، هناك الكثير من الغيوم بالخارج".

عندما بدأ المطر الذي تحدثت عنه أمي في الهطول، كنت أعبر باب فندق إرسين، يبدو المكان محليا ولطيفا، فيه الكثير من الألوان، غير أنه يكتسب مظهرا أكثر عمقا حين تراه من الداخل. أشار موظف الاستقبال إلى "إريتجرول" الذي كان جالسا عند الركن البعيد من ردهة الاستقبال. رآني "إريتجرول" في ذات اللحظة التي رأيته فيها وأخذنا نتحرك نحو بعضنا بخطوات سريعة ثم ارتطمنا ببعضنا كسفينتين غير قادرتين على التوقف على الرغم من اقترابهما من بعضهما، وتعانقنا.

نتعانق...

آخذ نفسا عميقا من رائحة اللبن الطازج التي تملأ مسامي. أنظر من فوق التي شيرت الأبيض الذي يرتديه "إريتجرول" فأرى أثاثًا له مظهر كلاسيكي

Twitter: @ketab_n

وبارًا للخمور على طول الجدار المقابل يجعلك تتذكر الحانات التي كانت موجودة قبل عشرين عامًا بتلك المرآة المصفرة الموجودة خلفه، لاحظت أيضا صورتنا منعكسة على الزجاجات المرصوصة أمام البار، وامرأة في الأربعينات من عمرها ورجلًا بلحية. دفعته عني بلطف، ونظرت إلى وجهه، ذلك التعبير الذي ظننت يوما أنه لي أنا فحسب بدأ يغمر وجهه الذي اسمر للغاية من أثر العمل تحت الشمس في مواقع البناء.

جلسنا على إحدى الطاولات القريبة من النافذة. يمر عمال المصانع بجوار الفندق على دراجاتهم في موعد راحة الغداء. يؤدي هذا الطريق إلى الاستاد إن وصلت لنهايته. وبعده بقليل توجد الأحياء التي شهدت طفولتنا ريجيوليتور وبيدمليك، بينما يقبع موقف الأتوبيس في الجانب الآخر حيث تغادر الأتوبيسات عابرة هذا المخرج نحو الطريق السريع لتوفير بعض الوقت.

- هل علي أن أدخل في الموضوع مباشرة؟
- نعم، لقد دخلت فيه بالفعل.
- لقد أصبحت أفكر فيك كثيرا مؤخرا، هل تصدقين أن أكثر شخص يعرفك الآن هو حمدين؟ كل ليلة في المسكن الذي نسكنه بموقع البناء أخبره عنك. وقد بدأت مؤخرا ألمع صورتك أمامه أكثر. فجعلتك كاتبة، وجعلتك تعزفين البيانو في وقت فراغك وترسمين وتصممين الملابس في إجازاتك. وقلت له إنك تصبغين شعرك بلون أصفر وأحمر وبندقي. وقد أنصت لي المسكين طيلة هذه الليالي للنهاية. هل تعرفين ما قاله في النهاية؟

كان هذا دوري لأن أكذب:

- لا، ليس لدي أدنى فكرة.
- لقد قال: "إريتجرول، أنت تحبها".

Twitter: @ketab_n

- هل هذا هو ما تشعر به بالفعل؟
- ألا تشعرين أنت بهذا؟
- لا أعرف، لقد مرت آلاف السنين. ربما يكون ما قلته أمس صحيحًا، لقد تغيرنا. أنت الآن تخبرني عما كنت تفعله مع "أردا" من آلاف السنين واحتفظت به في عقلك، بينما أنا عشت معها كل لحظة من حياتي. هل مازالت "أردا" التي تعرفها؟
- لقد كنت أنت من رحل وتركني.
- هناك الكثير من الطرق للهجر، الخداع هجر.
- كانت لدي أسباب.
- لم يكن لديك أسباب يا "إريت"، كان لديك سبب واحد فقط.
- ربما أنت محقة... هل ما زلت غاضبة مني؟
- لم أكن يومًا غاضبة منك.
- لماذا انفصلنا إذا؟
- لقد انفصلنا لأنني كنت صغيرة جدا، لم أستطع أن أجاريك، لأنك لم تجد فيما وجدته في فتيات أخريات. في هذه الأيام لم أعرف ما الذي كان فيهن ولم يكن في، لكن كما قلت لك لم أغضب منك، اطمئن.
- أنا لا أبحث عن الاطمئنان.
- ماذا تريد إذا؟
- أن أجلس معك هكذا.. أن أراك كثيرًا.
- أنا هنا.
- لكنك راحلة.
- نعم، لقد حجزت التذكرة.

Twitter: @ketab_n

- ماذا سيحدث لو أنك لم ترحلي؟
- يمكنني ألا أرحل. أنا لم أخبر علي على أي حال، وستكون أمي سعيدة أكثر منك بكثير لو أنني بقيت، لكن ماذا سنفعل؟
- لا أعرف، ربما سنتمشى معا، نتناول الشاي في ميدان أدالار، آتي وأزورك في المساء، وتقرأ أمك حظي.
- إلى متي سنستمر في هذا برأيك.
- لأيام قليلة. سيكون هذا كافيا بالنسبة لي.
- هل أنت متأكد؟
- ينبغي أن أكون كذلك؛ أنت امرأة متزوجة، هناك من ينتظرك. لن يكون من الجيد أن ندفع الموقف بيننا إلى ما هو أبعد من هذا.
- هل هذا رأيك؟
- بالنسبة لي لا تهمني كثيرا تلك التوقيعات التي وقعتماها على أوراق لا معني لها، لكنني أعرف أن زوجك رجل طيب وأنا لا أريد أن أرغمك على أي شيء.
- وكيف تعرف عليًّا كي تقول إنه طيب؟
- لقد اتصلت بإسطنبول قبل أن أتصل بك هنا. تحدثت مع زوجك، وكنت ثملا يومها. لو لم أكن ثملا ما كانت الشجاعة ستواتيني لفعل هذا. الغريب في الأمر أنه كان ثملا هو الآخر. بدا وكأنه شرب أكثر مني بكثير. وعندما أخبرته أنني كنت صديقا لـ"فيرات" أصبح رقيقا للغاية، أخبرته عن الأشياء التي خططت لأن أخبرك بها، وتحدثنا بعض الوقت.
- تحدثتما؟
- لمدة ساعة. كان المسكين محتاج أن يتكلم.
- وماذا قال لك؟

Twitter: @ketab_n

- أخبرني بأشياء من الأفضل أن تبقى سرا بين الرجال.
- لا تخبرني بهذا الهراء من فضلك.
- أنا جاد! كان حديثا خاصا.
- لا يمكن أن يكون هناك حديث جاد بينك وبين زوجي، أنتما لا تعرفان بعضكما من الأساس، وحين يتحدث عني ثملان من وراء ظهري، فلي الحق أن أعرف ما قالاه عني.
- ومن قال إننا تكلمنا عنك؟
- عَمَّ تكلمتما إذا؟
- عن طفولتنا، حكينا عن ذكريات طفولتنا، تحدثنا عن الأطفال الذين كنا نعرفهم. ثم تحدثنا عن والدينا وعن جميع الآباء الذين صادفناهم في حياتنا.
- وهل وصلتما لنهاية ما؟
- لا أتذكر إن كنا وصلنا لشيء أم لا.
- لكنه لم يخبرني أبدا أنكما تحادثتما.
- لا يوجد ما يخبرك به، كان حديثا عابرا، حديث سكارى.

بدأت اليدان اللتان تطوقان ساعتي تتقدمان للأمام، إذا كنت سأركب الحافلة، فعلي أن أنهض وأغادر الفندق في دقائق معدودة. أما إن كنت سأمكث فعلي أن أتصل بأمي، لابد وأنها بدأت تقلق.

- هل تعلمين ما قاله زوجك لي؟
- ماذا؟
- الشباب فترة غريبة من الحياة، وهو لا يبدأ ولا ينتهي فجأة.
- إنه يحب العبارات الكبيرة تلك.
- إنها ليست سيئة في رأيي. زوجك رجل مثير للإعجاب.

Twitter: @ketab_n

31

تلمست طريقي في الظلام حتى وجدت الفراش ورقدت عليه. حين دخلت إلى غرفة أخت "إريتجرول" كانت الكهرباء لاتزال مقطوعة عن المنزل، واصطدمت بالأثاث حتى وجدت الستائر. استطعت أن أرى قليلا على ضوء القمر الذي أنار غرفة أخت "إريتجرول" المليئة بالملابس.

كانا في التراس، لو لم أجلس معهما ربما ستسنح الفرصة لـ"فيرات" لأن يفتح قلبه لـ"إريتجرول". غير أنني لم أشعر بالرغبة في المزيد من النبيذ. فقد آلمتني معدتي كثيرا بسبب الشراب الذي تناولته في الأيام الماضية. بدت الأشياء الموجودة في الغرفة مختلفة تحت ضوء القمر. بعدما اعتدت على هذه الفوضى الغريبة، بدا لي أن الظلال الموجودة على جانبي السرير ممتدة.

كان من الواضح أن الغرفة تشي بصاحبتها. الصور التي على الحائط، أغطية شرائط الكاسيت المرمية على الطاولة، الملابس التي حولت المكان إلى أرض معارض، كل هذا يعطيك صورة عن أخت "إريتجرول". لابد وأنها فتاة مثقفة وجيدة التربية. كانت تلبس ملابس جيدة ولديها أصدقاء جيدون وحياة مهنية. تخيلت أن هذه الغرفة التي أرى تفاصيلها بالكاد تحت ضوء القمر غرفتي أنا، ثم أعجبني ما تخيلته.

Twitter: @ketab_n

لم يكن هذا بمثابة شكوى من الحياة التي كنت أعيشها. فأنا لم أكن أعاني من مشكلة كبيرة في تقبل هذه الحياة، لكن ما رأيته في هذا المنزل أخبرني بأن هناك نوعا آخر من الحياة خارج ما أعرفه، حياة لم أرها من قبل ولم أعرف أنها تفوتني. لقد رأيت العالم من خلال صفحات الأطلس الخاص بي فقط، تلك التي تتحدث عن العواصم والعملات.

كيف كنت؟ هل كان من الممكن اعتباري فتاة جميلة؟ ماذا كنت أريد؟ وماذا كنت أريد أن أفعل؟ كان العدد الإجمالي لعلامات الاستفهام كبيرا بما يكفي لأن يجعلني أشعر بالرغبة في النعاس. عادة ما أشعر بالرغبة في النوم كلما واجهتني مشكلة يتوجب علي حلها، حتى إنني كنت أتثاءب حين يكون الواجب المدرسي صعبا. لكنني لا أريد أن أنام الآن، فأنا أرغب في التفكير في المشكلات التي لا يمكن حلها.

في الصورة التي أراها، أجلس مع أبي على ضفاف البورسك بينما ألقي حجارة في المياه. كنت أتمشى معه وكنا مرتديين ملابس ثقيلة تجعلنا نمشي بطريقة آلية، ذكرنا الثلج المتناثر على الضفتين ببرد العام السابق. كالعادة لم نتحدث كثيرا، اختفت الحجارة التي ألقينا بها بعد أن جعلت المياه ترتد علينا. ألقيت قطعة الطين فقفزت على سطح الماء أربع مرات ثم استدارت نحو أبي وقلت:

- قل لي يا أبي، كيف يتغير المرء؟

رد علي وهو يقلب حجرا مسطحا في يده:

- إن المرء لا يتغير.
- هل تعني أنني سأبقى هكذا للأبد؟
- لا، ستتغير أشياء فيك بالطبع.
- مثل ماذا؟

Twitter: @ketab_n

- ستكبرين، وتصبحين راشدة.
- ولن أتغير، أليس كذلك؟
- لن تتغير نظراتك الفضولية ولا حبك لطرح الأسئلة وعدم نظامك، لكنك ستفهمين نفسك.
- ألا أفهمها الآن؟
- بالطبع تفهمينها لكن بشكل محدود. إننا نقضي حياتنا ونحن نحاول أن نفهم أنفسنا.
- لكنني على ما أنا عليه الآن، لماذا ينبغي علي أن أفهم ما أفهمه بالفعل؟
- كي تحتاطي.
- أحتاط؟ مِمَّ؟
- من نفسك، لا يوجد ما يمكنه أن يؤذي المرء أكثر من نفسه.

استيقظت بعد أن صدرت مني صرخة صغيرة. رأيت أبي واقفا أمامي ولا يتحرك. لم يكن الصباح قد أتى بعد. أدركت أن الكهرباء قد عادت مرة أخرى عندما رأيت نورا قادما من الرواق. ولأن الضوء كان يأتي من خلف ظهره فقد كانت منحنيات قوامه محاطة بخط نحيف من النور. وشيئًا فشيئًا أدركت أنه "فيرات" بملامحه الحزينة ينظر إلي دون أن ينطق ببنت شفة وقد بدا في هذا الضوء الباهت مثل المرضى النفسيين الذين نراهم في الأفلام.

- لقد أرعبتني، ما الوقت الآن؟
- الثالثة تقريبا، أنا آسف.
- ألم تنم حتى الآن؟
- تحدثنا ثم ذهب "إريتجرول" كي ينام، وجلست أنا في مكاني لفترة.
- عَمَّ تكلمتما؟ افتح النور كي أرى وجهك.

Twitter: @ketab_n

واجهنا صعوبة في العثور على مفتاح النور. لابد وأنهما قد أجهزا على زجاجة النبيذ.

- عن أشياء تعرفينها جيدا، لكننا هذه المرة اختلفنا قليلا على ما أعتقد.

أدركت ما حدث حين رأيت آثار دم على جانب فمه:

- لا تخبرني بأنكما تشاجرتما! تنهد بعمق بدلا من أن يجيب. لم ينطق، وإنما جلس عند نهاية السرير. أمسك برأسه بين يديه، ثم أخرج الهواء المحبوس في رئتيه دفعة واحدة، وكان هذا علامة على أن سيلًا من الدموع على وشك الانهمار، ثم بدأ يبكي بالفعل.

فكرت في أن أتظاهر بالهدوء وبدأت أنهض ببطء من الفراش. لمست ذراعه وأخبرته بأن يستلقي. ترك نفسه لي ببطء. وضع رأسه بين عنقي وكتفي وكان يرتعش وهو يبكي. كان يصدر أصواتا أثناء البكاء كفيلة بأن تخيف أي شخص من الاقتراب منه، لكنني احتضنته وانتظرت حتى هدأ.

بعد دقائق بدأت الدموع تنحسر، ثم تحول البكاء إلى ذلك الأنين الخفيف الذي يصدره من أتعبهم البكاء. تركت شفتاه علامات حمراء من أثر الدماء على كتفي ووسادتي، ثم قال بصوت سمعته بالكاد لأن رأسه مازال في الوسادة. قال:

- سنذهب للطبيب غدا.

قلت:

- جيد، لقد حلت مشاكلك إذا.
- يمكنك العودة إلى "إسكيشهر" إن أردت.
- لماذا يتوجب علي فعل هذا؟

Twitter: @ketab_n

- أنت بائسة هنا بسببي؛ بلد غريب ومنزل غير مألوف بالنسبة لك. ليس عليك أن تكترثي لأمري أكثر مما فعلت.

أمسكت رأسه وأدرت وجهه إلي. لم يبد الجرح الذي بين شفتيه جرحا كبيرا.

- لماذا تشاجرتما؟
- قال إنني كنت ساذجا.. لقد كنت ساذجا جدا.
- هل هذا هو سبب شجاركما؟
- لم يكن شجارا. لا أتحمل حين يتعامل معي أحد على أنني أحمق، وقد قالها أكثر من خمسين مرة. كان يسخر مني، لذا فقد قمت ودفعته، فانقلب كرسيه، ثم حاول أن يصفعني، وحين تفاديت يده خدشت أصابعه جانب فمي.
- ثم ماذا حدث؟
- لعنا بعضنا وقال إن قدري أن أبقى ساذجا طيلة حياتي، ثم ذهب للفراش.
- هذا ليس جيدا، ما الذي حدث لكما؟

سحب رأسه من بين يدي، ودفنها في الوسادة مرة أخرى. بدأت دموعه تنهمر لكن بشكل أقل من المرة السابقة، قال:

ـ هذا سيئ للغاية في حقيقة الأمر، لقد خسرت صديقي ولم يعد بإمكاني المكوث في هذا المنزل بعد الآن، من الأفضل أن تعودي للبيت أنت أيضا.

لم يكن النقاش معه سيفضي إلى شيء، لذا ساعدته على خلع ملابسه، ومسحت الدم الذي جف على شفتيه بمنديل. ثم ذهبت إلى الحمام كي أبل المنديل، وتوقفت عند باب غرفة "إريتجرول" الذي كان مواربا، استمعت إلى

Twitter: @ketab_n

الموسيقى الهادئة التي تتهادى من الراديو الذي تركه مفتوحا وفي الوقت نفسه سمعت صوت تنفس عميق يشي بأنه قد نام.

كان السرير كبيرا بما يكفي لأن يسعنا نحن الاثنين. نام "فيرات" في دقيقتين بينما ظللت أنا مستيقظة. نظرت إلى السقف، وفكّرت في الأحداث التي مرت بي خلال اليوم، رأيت عيني الرجل الذي كان يتتبعني. كان يمد ذراعه كما لو أنه يطلب مني شيئا وكانت شفتاه تبتسمان بألم وبؤس وشراسة. شعرت مرة أخرى بنوع من الخوف لم آلفه من قبل. قمت من السرير ببطء محاولة ألا أوقظ "فيرات" وتركت الغرفة بهدوء. كانت ساعة الحائط المعلقة على السلم تشير إلى الثالثة والعشرين دقيقة.

Twitter: @ketab_n

32

قالت أمي وهي تخرج الملابس من الحقيبة:

كان ينبغي عليك أن تستردي المال الذي دفعتِه في التذكرة.

- إنهم لا يقبلون إعادة التذاكر في اللحظات الأخيرة يا أمي وأنا لم أفكر في القيام بإعادة التذاكر على أي حال.
- أنا آسفة على المال الذي دفعته.

على العكس من الكآبة التي كانت سائدة أمس، كان جو المنزل مليئا بالفرح والسعادة اليوم مما أدهشنا أنا وأمي. شعرت كما لو أننا عدنا بعد أن كنا على وشك القيام بشيء آخر لا نرغب فيه. لكننا لم نصرح بمشاعر السعادة التي شعرنا بها ربما لأنها من ذلك النوع الرشيد من السعادة، ذلك الذي يمكن أن تختفي لو تم التعبير عنه. شعرنا بأن عبئا ما بداخلنا يخف أكثر فأكثر كلما أخرجنا قطعة ملابس من الحقيبة، حتى إن جدران المنزل الكالحة ابتسمت لي كأنها مثل أخواتي: "ابقي قليلا، سوف نحميكِ..."

Twitter: @ketab_n

لا أعلم ما سأقوله لو أنها سألتني، وهل هناك طريقة تمكنني من إخبارها بسبب امتناعي عن السفر بعدما استعددت له خلال الشهور الماضية؟ لا أتذكر أبدا أنني تحدثت بصراحة مع أمي في مثل هذه المواضيع. إنها من عالم يعتقد أن المشاعر تفقد معناها إذا ما تم تحويلها لكلمات، عالم موجود في مكان ما عميق للغاية، عالم لا يمكن وجوده على الرغم من كل الأساطير التي تروى عنه، مثل الإصرار الذي شعرت به أول فتاة ترتدي جيبة قصيرة، والسعادة التي شعرت بها فرقة البيتلز الموسيقية حين أحست أن بإمكانها تغيير العالم.

قلت لها:

- أتعرفين؟ ربما كان "إيمرا" سيشعر بسعادة أكبر لو أنه كبر هنا.
- لكنك أحضرته إلى هنا مرتين وكان يشعر بملل كبير.
- كان صغيرا للغاية، لو أنه كان أكبر قليلا لما شعر بالملل. لقد رأيت أطفالا يعومون في البورسك في اليوم الذي خرجنا فيه، لن يمكنه الحصول على مثل هذه المتعة في إسطنبول.
- أوافقك على هذا، لا يمكن للمرء أن يتنفس في تلك المدينة.
- إنها أسوأ بالنسبة للأطفال، فهم يقضون طفولتهم داخل شقق ضيقة.
- ربما أنت محقة، لم تتغير الحياة كثيرا في "إسكيشهر"، كان من الممكن أن نمنح "إيمرا" طفولة أفضل. لكنه كان سيهرب منك إلى إسطنبول ما إن يراها للمرة الأولى، تماما كما فعلت أنت.
- لا تفعلي هذا يا أمي.
- أنا لا أفعل أي شيء، إسطنبول لا تزال جميلة، ربما هناك مدن أخرى جميلة، لا أدري، فأنا لم أر هذه المدن على أي حال. لكن في الشباب يتطلع المرء لآفاق جديدة. عندما يفعل هذا، سيرغب في استكشاف آفاق أخرى. إننا لم نتضايق مما فعلته أبدا، فلماذا أتضايق من حفيدي؟

Twitter: @ketab_n

- أنت تجيدين الحديث بشكل دبلوماسي.
- تعرفين أنني أجيد هذا.

تتوقف قليلا عندما تلحظ الصندوق النحاسي عندما برز من تحت المناشف الموجودة في الأسفل. تمسكه في يدها وتبتسم. تنظر إلى الشكل المنحوت على الغطاء وإلى الصورة.

- من "حمدين دمير"؟
- صديق "إريتجرول". من "دياربكير".
- وهل صنع هذا لك؟
- نعم، لي. اسمي مكتوب هنا أيضا.
- جميل، إنه هدية لطيفة.

في هذه المرة، وضعنا الحقيبة في مكان قريب، بجوار السرير مباشرة. بينما وضعنا الملابس في الخزانة بنفس ترتيبها في الحقيبة. كنا نتصرف كما لو أن بيننا اتفاقا سريا.

- لقد رأيت "إريتجرول" اليوم.
- حقا؟ كيف حاله؟
- لا أعرف، لا يمكن لمن يتحدث لـ"إريتجرول" أن يتأكد من أي شيء. لقد بحثت عما أخبرتني عنه، ووجدت أنه يبدو كمن لديه الكثير من الأشياء التي يود قولها لكنه لا يعرف من أين يبدأ.
- أعتقد أنني عرفت الصفة التي تجعله قريبا من "فيرات"، فأخوك لا يتكلم عن أي شيء بصراحة ووضوح. فهو إما أن يدور حول الموضوع ويثير غضبك أو يلجأ إلى أساليب غريبة من أجل طرح فكرته. لولا أنني أعرف أنه اكتسب هذه الصفة من أبيه لقلت إنهما اكتسباها من

Twitter: @ketab_n

المدرسة التي ذهبا إليها. أعتقد أن هذا الصنف من الرجال لديه زر للتشغيل والإيقاف، وإذا كنت صبورة ومحظوظة بما يكفي فستجدين هذا الزر وتكتشفين ما بأعماقه. لكن الخالق لم يمنح جميع النساء هذا القدر من الصبر.

- الحمد له أنه لم يفعل.
- نعم، فهذا شيء جيد، وإلا لكانت نساء أخريات قد سرقت أباك مني.
- لكن ألا تعتقدين أن هذه الخصلة نوع من الخداع؟
- لا أعتقد أنها كذلك. يمكنك أن تعتبريها استعلاء أو أنانية أو ربما هي قسوة لكنها ليست خداعا.
- هل كان أبي كذلك أيضا؟

عندما قابلته كان ولدا خجولا، ولم تكن لديه القدرة على ترتيب كلمتين معا كي يتكلم، لكنه أحيانا ما كان ينطلق في الحديث حتى إنك لا تستطيعين إيقافه إن أردت. كنت دائما ما أعتقد أن هناك جانبًا مظلمًا منه لم يظهره لي أبدا ولا لك.

- لكنه كان يحبك، أليس كذلك؟
- كان يحبني بالتأكيد، إن الحب الذي يمتلكه هذا الصنف من الرجال حب قوي جدا لكن على المحبوبة الحرص دائما.
- مِمَّ؟
- يمكن لهم أن يضروك بحبهم.
- وهل ضرك أبي؟
- كان من الممكن أن يفعل لو لم أكن حريصة بما يكفي.

Twitter: @ketab_n

33

الطريقة التي تعيشين بها حياتك في هذا الركن الصغير هي الطريقة التي ستقضين بها حياتك في كل أنحاء العالم.

ما قيل عن "كفافيس" غريب للغاية، مثل حبه للجنس واعتقاده في مذهب اللذة وولعه بالتاريخ وبالرفض. إن به كل الخصال التي يمكن تخيلها. لكن أكثر ما أدهشني هو اجتماع هذا الحب الغريب للجنس مع الاهتمام القوي بمصير الأسلاف في نفس الشخص. ربما أكون مدهشة هكذا بسبب جهلي. أعتقد أن "إريتجرول" كان محقا بشأن ما قاله حين قرأت قصيدة "المدينة". فهناك بعض الأنانية الخفية بين الأبيات. من المؤلم جدا أن تفقد شخصا بسبب رحيله عن مدينتك، لابد وأن هذا يجعلك تفعل كل شيء كي تمنعه من الرحيل. يمكنك على سبيل المثال أن تكتب قصيدة تقرأها وتقدرها فتاة شابة من "إسكيشهر" بعد سنوات كثيرة.

أتساءل إن كانت القصيدة قد نجحت. وهل يمكن أن تكفي قصيدة لمنع شخص قد قرر الرحيل من أن يتنازل عن قراره ويبقى؟ وهل الفتاة التي رحلت عن "كفافيس" قد قرأت القصيدة؟ هذا هو ما يجعلني أشعر ببعض الأنانية بين

Twitter: @ketab_n

أسطر العمل. فالأسباب التي دفعت الفتاة للرحيل لم تكن معاناتها في المدينة التي لم يجمعهما فيها حظ جيد والتي لم تعتبر سعادتهما أمرا هاما. وأنت تقرر الرحيل عن مدينتك بعد أن تفكر كثيرا وتتردد بين الرحيل والبقاء، ثم يأتي شخص ويضع في يدك قطعة من ورق مكتوبة فيها قصيدة. إنها أقوى سلاح لديه وهو يريد أن يوقفك بها. تخيل هذا... من الممكن أيضا أن تمر بكما لحظة من رومانسية أو تشعر بارتجاف اليد التي تمسك القصيدة فتنهار كل قراراتك.

وهل قالت الفتاة الراحلة الحقيقة؟ هل كان ما تخلفه وراءها دولة أو عاصمة أم كانت تحاول الهرب من العم "قسطنطين" وكانت تدور حول الموضوع الأساسي لأنها لم تستطع أن تقولها صراحة. في هذه الحالة، فإن شيئا أكثر حزنا قد حدث للفتاة التي غادرت إلى إسطنبول، لقد خسرت حبها. فبينما لم يستطع أحدهما تقبل الرحيل ولم يستطع الآخر أن يصرح به، عانت المدينة من الهجر، وعندما يقول: "لن تجدي مدينة جديدة" فهو يعني: "لن تجدي حبيبا جديدا".

- في هذا الطريق لن تجدي من يستطيع أن يسعدك.

كانت ليلة حارة ورطبة. وبدا القط السيامي النائم في حجري والذي منعني من القيام بأي حركة في أحلى لحظات النوم. عندما قلبت في صفحات الديوان، استيقظ القط بسبب احتكاك الورق بفرائه ثم عاد مرة أخرى إلى نومه. بين الجزيرتين اللتين يمكنني رؤيتهما من النافذة ساد ظلام حالك. كنا في شهر أغسطس، وقد بدأ النهار يقصر على الرغم من أن أحدا لم يكن يرغب في قبول هذه الحقيقة.

أغلقت الكتاب، واستمعت للصمت. حاولت أن أفكر في أمريكا، وأن أجد لنفسي مكانا بين الخطوط الرأسية التي تغطيها. كان من السهل تخيل "أردا" وهي تجلس على طاولة في حديقة أو تقف في ركن بشارع 16 أو تمشي أو تحدق في الأشياء من حولها أو تركب تاكسي يقوده سائق هندي. ضحكت من نفسي. فأنا لم أكن أعرف إسطنبول جيدا، وكان إنجازا كبيرا بالنسبة لي أن

Twitter: @ketab_n

عبرت حدود كاراكوي أخيرا وعدت منها دون أن أقع في مشكلة. ما إن دارت بعقلي هذه الأفكار حتى استدار السائق الهندي بوجهه للخلف ورأيت عيني الرجل الذي أوقفني في الشارع بكل ما بهما من ظلمة وعمق.

يقول بابتسامة عريضة:

- هل اعتقدت أن بإمكانك الهرب؟

صحت قائلة:

- أوقف السيارة!
- فات الوقت يا صغيرتي.
- إلى أين تأخذني؟
- خمني...

كان يفصل بيننا فاصل يبدو مثل شبك الأسلاك التي بنت به عمتي حظيرة الدجاج الخاصة بها، نظرت من حولي فلم أجد نافذة أو مقبضًا للباب. على جانبي السيارة وقفت ناطحات سحاب متشابهة يبلغ طول كل منها 100 طابق على الأقل، ضربت السلك بقبضتي، وصرخت بأعلى ما لدي من صوت، ثم توسلته أن يوقف السيارة.

- توقفي عن ضرب السلك من فضلك، أعرف مكانا في الحي الصيني، لن يستطيعوا العثور علينا هناك.
- وماذا ستفعل بي؟
- سأفعل أشياء لن تنسيها يا صغيرتي.

Twitter: @ketab_n

كنت أبكي، وأحاول جذب انتباه المارة الذين ملئوا الأرصفة كي أطلب منهم نجدتي، لكنهم نظروا بعيدا حين رأوني، وبينما شعرت بالإحباط يخنقني، سمعت صوت السائق يقول:

- ما معنى "أردا"؟
- من أين عرفت اسمي؟
- إننا نعرف كل شيء هنا يا صغيرتي، أخبريني، ماذا يعني؟
- إنه نهر أو شيء من هذا القبيل.
- فعلا؟ وأين هذا النهر؟
- لست متأكدة، في البلقان على ما أظن.

قال غاضبا:

- ماذا؟ لست متأكدة؟ أنت تطالعين الأطلس طوال النهار ولا تعرفين النهر الذي سميت باسمه؟
- لا تصرخ في وجهي من فضلك، أخبرتك أنه في البلقان.
- ومن سماك بهذا الاسم؟
- جدي.
- جدك من ناحية أمك أم من ناحية أبيك؟
- من ناحية أبي. عادة ما يطلق هذا الاسم على الأولاد.
- إذا النهر في البلقان. هل أنت من المهاجرين؟
- نعم... نوعا ما.

هز رأسه منزعجا ثم صمت، بدا كما لو أنه محبط، استمر التاكسي في شق طرق المدينة لفترة لكن بسرعة أقل. وحل مكان ناطحات السحاب بيوت فقيرة

Twitter: @ketab_n

لا يزيد ارتفاعها عن طابقين. لحسن الحظ لم يكن بالمكان صينيون. كنت أصلي بصمت ولم أجرؤ على أن أسأله أي سؤال. توقفنا عند أكثر البيوت تداعيا للسقوط. دون أن ينظر نحوي قال:

هيا انزلي من السيارة، فلا يمكنني أن ألمس مهاجرة.

- لكن لا يوجد مقبض للباب.
- لا تضيعي الوقت، قلت انزلي.

وبينما شعرت بالخوف من أن يزداد توتره مع الجدال بيننا، ظهر شخص عند باب المنزل. كانت هذه "جولايد" ترتدي ملابس سوداء بالكامل ومحاطة بشاش يتطاير في الهواء، اقتربت من السيارة وبلمسة بسيطة فتحت الباب. انحنت نحوي وابتسمت، ورأيت شعرها العسلي ينسدل.

قالت بصوت متوقد:

- أخيرا جئت.

Twitter: @ketab_n

34

كان "إريتجرول" مرتديا بدلة سوداء لكن دون رباط عنق، كما حلق لحيته حتى إنه بدا تماما مثل طالب في كلية الهندسة.

جلسنا على طاولة عليها مفرش أبيض قادنا إليها نادل لطيف. من النافذة كنا نرى أنوار "إسكيشهر" تحتنا. حدقت بعيني محاولة أن أرى ما يمكنني رؤيته بين ظلام الليل، حاولت أن أجد منزلنا، لقد وجدته من قبل حين كنت طفلة.

كنت مرتدية فستان أمي الذي كان ملائما للموضة بفضل تكرار تفصيلات الملابس مع مرور الزمن. في الطاولات الثلاثة المجاورة والتي كانت مشغولة منذ فترة طويلة رأيت سيدات يرتدين ثيابا جميلة يجلسن برفقة رجال يرتدون بدلات أنيقة ويسطعون بابتسامات متبادلة بينهم. مل الأطفال من كل شيء حولهم وبالتالي أخذوا يجرون حول الطاولات.

قلت في أذن "إريتجرول":

- إن هذا مكان مكلف، لا تقل بعد ذلك إنني لم أخبرك.
- إذا فقد جئت إلى هنا من قبل.

Twitter: @ketab_n

- هذا المكان مفتتح منذ زمن، لقد احتفلنا بختان "فيرات" هنا.
- تعنين أن أباك كان غنيا؟
- لا أعرف. كان يأتي إلى هنا مع أمي، وكانا يجلسان وحدهما...
- ها نحن أيضا وحدنا.

نظرت إلى الناس الذين ملئوا المطعم. لم أجد بينهم وجها واحد أعرفه، أو صديقًا. تذكرت أنني لم أر أي فتاة من زميلات الدراسة منذ أن جئت. مرت سنوات كثيرة وليس لدي عنوان أو رقم هاتف لأي منهن. تقول أمي إن الفتيات اللاتي كن قريبات مني انقطعت أخبارهن أو تزوجن وانتقلن إلى مدن أخرى. تواصل بعضهن معي في السنوات الأولى لي في إسطنبول وأخبرنني بكل الأخبار الجديدة، عن فلانة التي تزوجت وفلانة التي أنجبت أطفالا، ثم تضاءل اهتمامي بهذه الأخبار مع الوقت. ثم انقطعت صلتي بهن بسرعة ودون سبب وأصبح فقدان دفتر عناوينهن نتيجة طبيعية.

لقد وجدت كل القطط السيامية التي زاملتها في مدرسة الأناضول الثانوية طريقا لها في الحياة، بينما بدأت "أردا" حياة جديدة في إسطنبول، وأصبحت أما. وعلى الرغم من أن العبارة التي نطق بها "إريتجرول" منذ لحظات عبارة لا تصدق إلا أنها صحيحة. إننا هنا وحدنا بالفعل.

- أتنظرين إلى لحيتي؟
- من الجيد أنك حلقتها. أنت أكثر وسامة هكذا.
- لم تقولي لي هذا من قبل.
- تعني أنك وسيم؟
- نعم... أو أي شيء.
- وما هو الأي شيء؟

Twitter: @ketab_n

جاء النادل كي يأخذ طلباتنا. طلب "إريتجرول" نفس ما طلبته كي لا يضطر للتفكير فيما سيتناوله. مرة أخرى بدا قلقا. فعلى الرغم من أن مظهره يشي بالهدوء إلا أن تصرفاته تشير إلى الكثير من التوتر. عندما أعطاه النادل النبيذ كي يتذوقه، لم يفعل أيًّا من الأفعال الغريبة التي كان يفعلها وهو شاب، وإنما شكره بصوت لطيف لكنه متوتر. وعندما صرنا وحدنا مرة أخرى رفع كأسه وابتسم قائلا:

- نخب لقائنا بعد الكثير من الوقت الضائع.
- ولماذا تعتقد أنه ضائع؟
- إنه كذلك بالنسبة لي.
- هل ترغب في أن تخبرني عن السنين الماضية؟
- وهل تعتقدين أن بإمكاني أن أفعل هذا؟
- أنت تجيد الكلام، وأنا مستمعة جيدة...
- من أين أبدأ؟
- دعني أساعدك، في يوم من الأيام رحلت الفتاة عن الولد.
- لأن الولد حيوان.
- لم أقصد أن تكون البداية هكذا. ابدأ من حيث تريد، لدينا ما يكفي من الوقت.
- أعتقد أنك تعلمين عن علاقتي المجرية.
- قليلا.
- بعد أن تخرجت من كلية الهندسة، قررت أن أدرس الاقتصاد لعامين. في الحقيقة لقد كنا ثلاثة أخذوا نفس القرار؛ مهندسًا وطبيبًا ونحاتًا متخرجًا من كلية الفنون الجميلة. كنا سندرس الاقتصادات الاشتراكية

Twitter: @ketab_n

في بودابست. لكن الطبيب كان متزوجا وشعر بالكثير من الشوق لزوجته في الشهر الأول وبالتالي فقد عاد إليها، وبقينا نحن الاثنان وكنا متكيفين على العيش هناك. وعلى الرغم من أنه لم يكن لدينا الكثير من المال إلا أننا قضينا وقتا جيدا.

- يمكنني أن أتخيل هذا.

- ليس الأمر كما تظنين، فما كان يمتعنا هو المدينة الجديدة، الخريف بألوانه المختلفة والذي جعلنا نحبه، وذلك اللون الرمادي في السماء والذي لا يجعلك تشعرين بالكآبة. إنه نفس الشعور الذي ينتابني حين أذهب إلى ميدان السلطان أحمد في أكتوبر؛ أن تشردي بعقلك في المباني والسماء والناس، إنه فعل ينتشر كالعدوى في مثل هذه الأماكن، إنه شجن جميل يسود بعد صيف حارق، شجن يذكرك بأنك فانية، ويجعلك تفكرين هكذا: "سأرحل في يوم من الأيام، لكن جميع الأشياء التي أراها من حولي ستبقى". تتوقفين عن التعامل مع نفسك بجدية، وتبدئين في إدراك مدى قرب ما نطلق عليه بهجة الحياة من الشجن، إنهما توءم. كان هذا هو الشعور الغالب علي في بودابست، كنت أمشي كهاو للتاريخ يزور تاريخا لا يعبأ به، وقد جعلني هذا سعيدا.

- لماذا عدت إذا؟

- كان السبب البارز في هذا هو الجامعة التي غيرت نظامها في نهاية السنة الأولى من الدراسة وبدأت تدرس خليطا من مناهج الاقتصاد، وبالتالي تغيرت المناهج ولم يعد بإمكاننا أن ندرس الاقتصادات الاشتراكية، أما السبب الآخر فهو أن بإمكاننا دراسة الاقتصادات الاشتراكية في إسطنبول، وبالتالي لم يكن هناك سبب عقلاني للبقاء

Twitter: @ketab_n

هناك. ثم ترك النحات الدراسة تماما ولم أره لشهور، وقررت أنا أن أتزوج.

- لم تخبرني بهذا! ممن؟

- لا تضحكي.. من فتاة كندية عرفتها في الجامعة. كانت ابنة لأب وأم مناضلين من جيل الستينات، وكانت محبطة للغاية لما يحدث في أوربا الشرقية، واعتقدت أنني أشاركها نفس شعور الإحباط وبالتالي اقتربنا من بعضنا.

- لكنك لم تكن تشاركها فيه، أليس كذلك؟

- حسنا، أنا لست متأكدا من هذا، كما أنني لم أكن متأكدا منه حينها أيضا، لكنني لم أعترف بهذا لنفسي. بعدما تعلمت كل ما أريد تعلمه في الاقتصاد شعرت أن محاضرات الاقتصاد سواء الاشتراكي أو اقتصادات السوق الحرة ليست مشوقة لي على الإطلاق لكنني لم أعرف ما الذي أردته بالتحديد، لو أن "زو" لم تكن موجودة ولولا نقاشاتها معي في الاقتصاد طيلة الليل والنهار لكنت ضعت تماما. لم ننتظر حتى نهاية الفصل الدراسي وحزمنا أمتعتنا ورجعنا إلى إسطنبول.

- لابد وأن عائلتك تفاجأت.

- لقد دهشوا تماما. لكنها كانت فتاة ذكية وبالتالي لم تحدث مشكلات كبيرة، علق أبي على علاقتنا فقط بأن قال: "لقد حدث هذا مبكرا جدا"، فبنسبة له كنا صغيرين جدا على أن نتزوج".

- لكنه كان على صواب.

- علاوة على هذا فقد كانت "زو" تكبرني بعامين.

- عامين؟!

Twitter: @ketab_n

- مكثنا في إسطنبول لشهرين ثم ذهبنا إلى بودرام، كنت أبيع السجاد في محل يملكه صديق لي ثم أصبحت مرشدا سياحيا، ولم أستطع وقتها أن أحدد ما أريد أن أفعله إذ لم يكن لدي الرغبة في العودة إلى الهندسة، كما أنني لم أرغب في التعامل مع السائحين على الدوام. وفي أحد الأيام قالت "زو" إنها تريد أن ترى أسرتها فسافرت إلى كندا لكنها لم تعد.
- تعني أنها هجرتك؟
- نعم، هذا صحيح من الناحية النظرية.
- ولماذا فعلت هذا؟
- لو لم تبن العلاقة على أسس قوية، فإنها تهتز مع تغير الظروف. لقد التقينا في حانات بودابست، وكانت علاقتنا ثلاثية، فكنت أنا وهي وبودابست في هذه العلاقة، وعندما رحلنا عن بودابست اختل التوازن. وهي لم تملني لكنها لم تحب صخب وحرارة ساحل البحر المتوسط.
- هل هذا كل شيء؟
- أليس هذا كافيا؟
- ليس هذا ما أقصده، لكن هل هناك سبب آخر؟
- لقد بدأت أشرب كثيرا.
- هذا هو السبب...
- صحيح، لقد وقعت بيننا عدة شجارات بسبب مداومتي على شرب الخمور، لكنها أيضا لم تحب بودرام، لكن كما قلت في يوم من الأيام استيقظت ورحلت.
- ولم تصلك أخبار عنها منذ ذلك الحين؟

Twitter: @ketab_n

- تكلمت إلى والدها على الهاتف مرتين، ولا أعرف ما قالته عني، فكل مرة كنت أتصل فيها كان يوبخني كثيرا. ثم علمت أنها كانت في شهرها الثاني من الحمل حين تركتني. هل تعلمين ما الذي يعنيه هذا؟
- لا، لا أعرف يا "إريتجرول".
- أعتقد أنه يعني أنها لم تر في الشخص الذي يستحق أن يكون أبا لابنها؛ إذ يمكنك أن تحبي "إريتجرول" وأن تناقشي معه اقتصادات "هنري فورد" ويمكنك أن تذهبي معه إلى إسطنبول، لكن لا يمكنك أن تقبليه أبا لابنك، فهو لا يستحق هذا.
- ربما لا تزال هناك فرصة كي تطلب منها أن تسامحك.
- كانت هناك فرصة، لكن لم تعد سانحة؛ فمنذ ستة أعوام مضت حطمت سيارة سيتروين حمراء هذه الفرصة تماما بعدما انقلبت ست مرات قبل أن تتحطم تماما على الطريق الدائري في تورنتو.
- يا إلهي!
- كانت سيارة صديقها وقد ماتا كلاهما، كان يونانيا هل تصدقين هذا؟

Twitter: @ketab_n

35

سمعت صوت الستائر وهي تسحب وضرب نور الشمس وجهي. لا أعرف من فتح الستائر، أعطيت ظهري لغرفة المعيشة كي لا أبين لأحد أنني مستيقظة. سمعت صوت باب الثلاجة يفتح ويغلق بسرعة لمرتين، ثم أصوات أقدام تمشي بعصبية دون أن ينبس صاحبها بكلمة، ثم اتجهت الخطى إلى الباب الأمامي، صاح "إريتجرول" من المطبخ: "يا فتى، كان بإمكانك تناول بعض الشاي على الأقل..." لكن لم يرد عليه أحد. أغلق الباب الأمامي مصدرا صوتا مرتفعا وفتحت أنا عيني، كان "إريتجرول" ينظر إلى الباب بينما إبريق الشاي في يده، تنهد في ضيق ومشى نحو المطبخ واختفى.

عندما رآني كان يضع الخبز في طبق كبير. قال: "صباح الخير". أضفى على صوته نوعا من السرور الاضطراري.

- لماذا نمت في غرفة المعيشة؟ أليس المكان بالأعلى مريحا؟
- ما الذي حدث؟
- الدب متوتر ويبحث عن مكان ينفس فيه عن غضبه.
- أعتقد أنهما سيذهبان للطبيب اليوم.

Twitter: @ketab_n

- نعم، أخيرا.

ضايقني أنه تصرف كما لو أن شيئا لم يحدث، هل أصبحنا مثل أسرة لها طفل واحد في ثلاثة أيام؟ وهل نحاول تهدئة الطفل الصغير أم ماذا؟ رأيته يضع الخبز المحمص في الطبق الكبير بدقة تثير السخط. وما إن انتهى من فعل هذا، وذهب نحو الموقد من أجل أن يعد الشاي، حتى قفزت أمامي كل شياطيني وقلت ببطء وبصوت يجمد دم من يسمعه وكلمات واضحة وصريحة: "سأذهب إلى الحمام يا "إريتجرول"، وعندما أعود ستخبرني بكل شيء تعرفه عن إيسرا".

عندما عدت مرة أخرى كان الإفطار جاهزا، تهادت من المسجل نفس المقطوعة الموسيقية التي سمعتها حين جئت إلى هنا، لم أستطع تذكر اسم عازف البيانو. كانت النوافذ مفتوحة والنسيم المعبق برائحة البحر والذي يبهجني في كل مرة أشمه فيها يهب على اللوحات، بينما استلقت جميع أجزاء غرفة المعيشة تحت الشمس دون أن يكون لها ظل واحد. جلس "إريتجرول" معطيا ظهره إلى النافذة بينما كان يقرأ الجريدة، حينما رآني نظر إلي وابتسم بقلق. لقد نجحت في إخافته، وكانت هذه علامة جيدة. جلست وشممت رائحة اللبن تتصاعد من الزجاجة التي أمامي.

سألته بينما كان يقرأ صفحات الرياضة:

- هل من أخبار جديدة؟
- أخبار سارة، التأمت إصابة "ميتين تيكين".

طوى الجريدة ووضعها جانبا على الكرسي الخالي. مد يده نحو إبريق الشاي وملأ الأكواب من مائه الساخن. بينما كنت ألاحظ مكعبات السكر وهي تذوب بسرعة في كوب الشاي الخاص بي قال:

- هل تعلمين أنك ثاني شخص يناديني "إريت".

Twitter: @ketab_n

- حسنا، وما الذي حدث للشخص الأول؟

قال ضاحكا:

- لم يحدث له شيء، إنها تنتظر "فيرات" الآن في هاربي.

لابد وأن تعبيرات وجهي فضحت ما جال بخاطري، فتورد خداه. وكي لا يسمح لي بطرح أي أسئلة، تكلم في فزع:

- لا يا "أردا". ليس الأمر كما تظنين. لو كان كذلك لأصبح فضيحة كبيرة.
- هل كنت تواعد "إيسرا"؟
- لو أنك تعرفينها لكنت سألت السؤال بطريقة مختلفة. فلا يمكنني أن أواعد "إيسرا"، لأنها امرأة ناضجة، إنها ليست مثل الفتيات الكثيرات اللاتي ترينهن في المدرسة كل يوم. إن المرء يشعر بأنه رجل ناضج حين يكون معها، ولو كان هذا ما تقصدينه فنعم، لقد كنت معها في العام الماضي.

حاولت ألا أبدو مدهشة وسألته:

- هل كنتما حبيبين؟
- لا، لم تكن علاقتنا كعلاقتها بـ"فيرات"، على أي حال لقد كانت علاقة قصيرة جدا.
- إنه لا يعرف بهذا، أليس كذلك؟

Twitter: @ketab_n

- حاولت أن ألمح للموضوع من زاوية ما ليلة أمس، فجن جنونه على الفور، ليس من عادتي أن أتحدث بالسوء عن الفتيات اللاتي واعدتهن لكن دعيني أخبرك بشيء: لا يمكنك الوثوق بـ"إيسرا" في بعض الأمور.
- أي أمور؟
- كل شيء في الحقيقة.
- وما الذي يعنيه هذا؟
- يعني ما يعنيه. بعض الناس لا يمكن منحهم الثقة.
- هل ستتحدث بصراحة أم ماذا؟
- وهل هناك صراحة أكثر من هذا؟ أنا لست ممن يحكمون على الناس من خلال المعايير التقليدية للأخلاق، ولو كان من المسموح للأولاد أن يدخلوا في علاقات عاطفية فمن حق البنات أيضا أن يفعلن هذا. لكن تعلق أخيك بإحداهن من الممكن أن يؤدي إلى مشكلة لا يحلها إلا الدم.
- ما الذي تعنيه؟ أي دم تقصد؟
- "فيرات" ليس من النوع الذي من الممكن أن يخلص نفسه من المشكلات بسهولة، فعندما يكون عقله مصرا على شيء، تجدينه عالقا فيه، إنه لن يسمع إلى أي نصيحة. كان صديق "إيسرا" السابق واحدا من الفتوات في المدرسة، أنت تعرفين معنى كلمة فتوة أليس كذلك؟
- بلى، بلطجي. إن هذه مشكلة.
- بالضبط، ارتبطت "إيسرا" به لمدة عام تقريبا ثم تركته. إنه شاب له ندبة مثل خريطة تركيا على خده، لكن يبدو أنه أحمق أيضا. لقد جن جنونه بسبب تركها له. أثناء راحة الغداء ذهب إلى فصلهما وكسر جميع

Twitter: @ketab_n

النوافذ، وتم إيقافه لمدة أسبوعين، ومع وجود هذا الرجل المجنون، خمني من الولد اللطيف الذي استطاع أن يسرق قلب الآنسة "إيسرا"؟

قلت وأنا خائفة مما أفكر فيه:

- تقصد أنه في خطر؟
- لا أعرف في حقيقة الأمر، وهو لن يخبرني بأي تفاصيل، لكنهم أوقفوه مرة أو مرتين وهددوه، على الرغم من هذا فـ"فيرات" شخص معروف في المدرسة ولا أعتقد أنهم سيفعلون ما هو أكثر من هذا.

كانت جميع النوافذ مفتوحة من أجل تهوية المنزل، بينما دوى صوت باب في المدخل بعد أن أغلقه الهواء. نهض "إريتجرول" وأغلق جميع النوافذ بينما الستائر تطير من حوله، ثم عاد إلى مقعده، وتناول الجريدة مرة أخرى وقبل أن يبدأ في القراءة ابتسم بمرارة وقال:

الآن وبعد أن عرفت حقيقة الموقف، يمكننا أن نتناول إفطارنا.

جلست في مكاني لربع ساعة دون أن أتناول أي شيء، حدقت في كوب اللبن وفكرت في أن "إيسرا" التي حكى عنها لا تشبه الصورة التي رسمتها لها في عقلي. فقد كنت أتخيلها فتاة غير محظوظة تشبه جميع أصدقائي البنات أو ربما تشبه النسخة المؤنثة من "فيرات"، هذه هي المرة الأولى التي أراها فيها شخصا غريبا علي تماما بشخصية لا أعرف عنها شيئا. ربما لا أعرف شكل وجهها حتى الآن لكنني كنت أتخيل صفاتها وجاذبيتها الغريبة المبهمة والتي تشعرني بإحساس غريب بداخلي لا أستطيع أن أبوح به. الآن أنا أشعر برغبة أقوى في رؤيتها ولو لمرة واحدة. حاولت أن أعصر ذاكرتي كي أجد طريقة يمكنني من خلالها الوصول إليها، فتذكرت رقم الهاتف الذي كتبته "جولايد" في يدي.

Twitter: @ketab_n

لم أميز على يدي سوى ستة أرقام منه بينما تلاشى الرقم الأخير، غضبت من نفسي كثيرا لأنني أجلت كتابة الرقم على قطعة ورق. كانت "جولايد" قد كتبت رقمها على يدي بحبر دائم، ربما كانت تدرك ما سيحدث. سألت "إريتجرول" إن كان بإمكاني أن أقوم بعمل مكالمة هاتفية، فأومأ برأسه دون أن تغادر عيناه صفحة الرياضة.

- ربما سأضطر إلى القيام بمكالمات عديدة.

قال وهو يقلب صفحات الجريدة:

- تفضلي.

في المرتين الأوليين أضفت 1 ثم 2 في نهاية الأرقام الستة التي أمكنني قراءتها على كفة يدي لكن لم يرد أحد. في المرة الثالثة ردت على شركة سياحة وفي المرة الرابعة رجل عجوز وبخني وفي المرة الخامسة ردت على سيدة عجوز وأغلقت الهاتف في وجهي، عندها رفع "إريتجرول" رأسه وبدأ يلاحظني كي يفهم ما الذي يحدث. قبل أن أطلب الرقم السادس توقفت ونظرت إليه، ولسبب لا يعرفه أي منا ابتسمنا لبعضنا، ثم وضعت إصبعي على الصفر وهو شيء ربما كان يتوجب على فعله في المحاولة الأولى.

ما إن عاد قرص الهاتف التقليدي القديم إلى موضعه الأول سمعت صوت رنة طويلة تبعها صوت "جولايد" الذي يشي بأنها استيقظت لتوها.

Twitter: @ketab_n

36

عندما عدنا إلى الفندق ومشينا نحو المصعد، نظر إلينا موظف الاستقبال بارتياب. بينما كنا ننتظر المصعد، نظرت نحوه مرة أخرى، كان رجلا طويلا تبدو عليه علامات التعب وعلى وجهه الذي يمكن أن تنساه خلال أقل من خمس دقائق شارب دقيق. ابتسم لي وأومأ بانزعاج يجعلك تظن أنه يحرك رأسه للمرة الأولى في حياته. في ردهة الفندق، كانت بعض الظلال الوحيدة تجلس دون حركة وتشاهد التلفزيون. أصبح الجو الملتهب طوال اليوم أكثر حرارة، وبدا الفندق أقل نورا عما كان في الصباح.

كنا واقفين إلى جانب بعضنا في كابينة المصعد نشاهد أرقام الطوابق تمرق للأسفل على الأبواب. امتلأت رئتي من رائحة اللبن المتصاعد من جلد "إريتجرول"، شعرت بالراحة والأمان كما لو أنني اعتدت على المجيء إلى هذا الفندق والصعود إلى الطابق الرابع منه طيلة حياتي. في ليلة لا يمكن أن تحدث سوى مرة واحدة كل عشرين عاما، سألت نفسي إن كنت أريد الرجل الذي يقف بجواري أم لا، فكرت قليلا إن كان هو يريدني أم لا. يصدر المصعد صوتا متعبا عند كل طابق يمر به ويصعد بهدوء إلى عشرين عاما مضت دون أن تكون هناك احتمالية للرجوع.

Twitter: @ketab_n

حين وصلنا إلى الغرفة رقم 412، أمسكت بذراع "إريتجرول" بينما كان يحاول إخراج مفتاح الغرفة من جيبه، حاولت أن أمنعه من فعل هذا. قلت: "لا عليك، من الأفضل ألا نفعل ذلك، هيا يا "إريتجرول" خذني إلى المنزل".

ابتسم لي بتفهم كما لو أنني أقول له إن لدي ألمًا في مكان ما من جسمي، حرر ذراعه من يدي وفتح الباب، دخل إلى الغرفة دون أن ينتظرني، بحث عن مفتاح الإضاءة في الظلام وفتحه، قال وهو يهمس لسبب لم أفهمه: "تعالي وانظري إلى عالمي، لكن لا تحدثي الكثير من الضوضاء".

امتثلت لرغبته وتبعته على أطراف أصابعي. وضع ذراعه حول خصري وجذبني ناحيته، وحين نظرت إلى الاتجاه الذي يشير إليه رأيت سريرا كبيرا في منتصف الغرفة وقد طويت أغطيته لتغطي جانبًا واحدًا منه، وتحت الأغطية رأيت فتاة صغيرة هي الأجمل على الإطلاق، كانت شقراء تتنفس بعمق وتنام كما لو أنها ملاك.

أشار إلي كي أجلس على أحد الكراسي المجاورة للسرير، كان وجه الفتاة جميلا جدا حتى إنني أردت المكوث هناك والنظر إلى شفتيها الرطبتين وعينيها نصف المغلقتين وهي في أحلى وأعمق نوم وإلى أنفها الصغير وكانت تشبه "إريتجرول" الذي جثا على ركبتيه بجانب السرير. قبلها على جبهتها تحت مبدأ شعرها مباشرة، ثم استدار ناحيتي وقال وهو يهمس مرة أخرى: "أقدمك لها، الأميرة دنيا".

بعد خمس عشرة دقيقة رجعنا إلى ردهة الاستقبال بالفندق، كان الزوجان الجالسان على الطاولة التي كنا نجلس عليها أمس يشاهدان التلفزيون دون أن يتحدثا. وكان التلفزيون موضوعا على رف مرتفع يصعب على أي شخص الوصول إليه لتنظيفه وبالتالي فقد كانت جميع الألوان على الشاشة تبدو مثل ألوان الشمع تحت طبقة التراب التي تغطيها. عرض التلفزيون فيلما للممثل "يلماز جوني" لا أعرفه على الإطلاق. كان "يلماز" يرتدي وشاحا أحمر طويلا وقد استطاع أن يسقط عشرة رجال مرة واحدة وبضربة واحدة.

Twitter: @ketab_n

قلت وأنا لا أزال أنظر إلى "يلماز":

- لقد اكتشفت أنني لم أقم برحلة حقيقة مطلقا.
- لكنك عشت في إسطنبول، وعبور الجسر إلى الجانب الآخر يعد رحلة في حد ذاته.
- أتحدث عن الرحلات الطويلة، على سبيل المثال أنا لم أسافر خارج تركيا على الإطلاق.
- ألم يأخذك الفضول لتجربة هذا؟
- لا أعرف... أعتقد أنه كان لدي فضول بالطبع.

عندما أتى الأشرار بنظراتهم الخبيثة إلى المكان الذي واعد فيه صاحب الرداء الأحمر حبيبته، نظر "إريتجرول" إلى الشاشة، وبدا من الواضح أنه لا يعرف الفيلم ايضًا.

- ما الذي ستفعله بها يا "إريت"؟
- لقد تمكننا من التكيف مع الحياة حتى الآن، فقد سافرنا داخل تركيا معا، ونمنا في مواقع البناء، وركبنا معدات رصف الطرق وذهبنا إلى كونيا وفان وجوموشان. وقد أصبحت بالفعل بناءة في سنها الصغيرة هذه.
- ألا تذهب إلى المدرسة؟
- عندما نغير مكاننا يكون عليها أن تغير مدرستها أيضا، وقد كان هذا صعبا علينا لكنها ليست من النوع الذي يشكو، في الحقيقة فإن كلا من أمي وحماتي تنتظران الوقت الذي سأستسلم فيه وأترك دنيا لهما.
- وهل ستتركها لهما؟
- نعم، لقد حان الوقت الآن، وهذا سبب آخر جعلني آتي إليك.

Twitter: @ketab_n

- ماذا؟
- أحتاج مساعدة.

مر وقت طويل منذ أن طلب مني أحد مساعدته، بحثت دون جدوى عن إجابة أو سؤال. نظرت إلى عينيه وخفت من أن يطلب شيئا غير مناسب. ابتسم وقال:

- لا تخافي، لن أزعجك كثيرا، أريدك فقط أن تأخذي دنيا معك إلى إسطنبول حين تسافرين إليها.
- بالتأكيد، ما من مشكلة، لكن أليس من الأنسب أن تأخذها أنت إلى هناك؟

مد يده نحو يدي لكن هذه المرة دون ابتسامة، قال:

- لقد تسببت لها فيما يكفي من الأذى على ما أعتقد، لا أريد أن أتركها دون أب وأن أسلمها بيدي.

أدركت أنني الآن على وشك فهم الشيء غير المحدد الذي رأيته في تصرفاته، شيء لا يمكنني تسميته. لكنني ليس لدي ما يكفي من الوقت لفهم الشعور الذي بدأ ينتابني، إنه يشبه عدم القدرة على فهم مقدار الأذى الذي تعرضت إليه بعد ضربة عنيفة. طوال كل هذا الوقت كنت أتوقع منه شيئا، كنت أتمنى أن يطلب يدي بحماقة فأرفض مباشرة، الآن وبعد ما قاله سأشعر لوقت طويل بالغضب الشديد من نفسي وبأنني حمقاء مثيرة للشفقة.

سألته بأقرب نبرة للأمومة لدي:

- ماذا حدث؟
- قررت أن أستسلم، لا يوجد أي جدوى للمقاومة، ولا يجب أن أجعلها آخر ضحاياي.

Twitter: @ketab_n

ليس "فيرات" وأمثاله فقط هم من يستطيعون جعل الحديث معقدا وغريبا بشكل فجائي، وإنما "إريتجرول" لديه هذه القدرة أيضا. على الرغم من هذا فأنا أتفهم أنه يحاول البحث عن مصلحة دنيا. عندما تدخل حياة شخص ما، وتستمع إلى حديثه وأفكاره يصبح من الصعب الرجوع وتخليص نفسك منه حتى بعد ثلاثة وعشرين عاما. فجزء منا يبقى لديه ولا يصبح هذا الجزء ملكا لنا بعدها، لذا فجزء مني لدى "إريتجرول" وهذا هو السبب الذي يجبرني على تفهم كل شيء يخبرني به.

- وما الذي ستفعله؟
- سأتنازل عنها وأضعها تحت حراسة جدتيها، أمي و"أميليا" يمكنهما أن يعطيا دنيا حياة ذات معنى.
- ما الذي تحمي نفسك منهيا "إريت"؟
- من نفسي يا عزيزتي.
- أتمنى ألا تكون قد خططت للقيام بشيء أحمق.

تراجع للخلف قليلا وقال:

- حسنا، لا أعرف مقدار حماقة ما سأفعله، لقد قررت أن أحل شركتنا الصغيرة، ستكون هذه نهاية "أناضوليا تور"، إن الرجل الواقف أمامك كان يحاول القيام بتمثيل نفس الدور على مدى العامين الماضيين، هذا الوغد الذي بداخل "إريتجرول" كان يحاول أن يثبت أنه يستطيع أن يكون أبا صالحا إن أراد. كنت أشعر بعيني "زو" تراقب انني طيلة الوقت منذ أن رحلت، هناك من يراقبني من فوق السحاب منتظرا الوقت الذي سأستسلم فيه، وبينما آخذ أنا ابنتي إلى العديد من المدن والعديد من مواقع البناء، فأنا أريد أن أقول لها: "انظري إلى

Twitter: @ketab_n

الرجل التركي الذي هجرته، هذا المهندس المتشرد، الأحمق الذي قادك حظك التعس إلى لقائه في بودابست، هذا السكير. انظري إليه كي تري أنه يعتني بابنتكما، انظري إلى كم السعادة التي يمنحها لها، وهو يفعل هذا دون أن يهجر بلاده، إنه لا يبحث عن بلد جديد ولا عن امرأة جديدة أيضا.

أدار "إريتجرول" وجهه إلى النافذة، كان يتحدث كما لو أنه يهذي أثناء النوم بينما يحدق بعينيه في أضواء السيارات المارقة، من المستحيل بالنسبة لي أن أحدد إن كان يتحدث إلي أم إلى نفسه أم إلى "زو". توقف فجأة ثم استطرد والدموع محبوسة في عينيه ترفض الخروج، كي لا أراها وهي تسيل على خديه.

- لكن كما قلت، فالثنائي الشهير "إريت" ودنيا سيفترقان، لقد قررت أن أعيش بمفردي. لقد مللت من محاولة التعويض عن خطأ ارتكبته عن طريق القيام بأخطاء جديدة، أنا أيضا أشعر بالخجل من نفسي. دنيا لا تزال صغيرة للغاية، عندما تكبر ستتذكر الوقت الذي قضيناه معا كما لو أنه إجازة مدتها عامان، خذيها إلى إسطنبول يا عزيزتي "أردا"... ويمكنك هناك أن تري أمي فهي تتحدث عنك دائما. أعتقد أن "أميليا" ستأتي لتأخذها خلال أسبوعين لا أكثر. أما أنا فسأغادر موقع البناء وأشق طريقي وحدي.
- إلى أين ستذهب؟

قال وهو يمسك يدي ويبتسم بمرارة:

- لا أعرف، وهل يعرف أحد إلى أين سيذهب؟ من يستطيع التنبؤ بالمستقبل؟

Twitter: @ketab_n

37

كانت إسطنبول مكانا سيئا للغاية، فكلما عرفتها أكثر، شعرت أنك غريب فيها بشكل أكبر. حين أمر بأحد شوارعها للمرة الأولى، أجده يعاملني كسائحة، سيبتسم لي بأدب عمره آلاف السنين، وفي المرة الثانية لا أجد أيًّا من هذا الأدب. فالمباني التي رأيتها من ثلاثة أيام مضت والأرصفة التي مشيت عليها وسائقو التاكسيات المتنمرون الذين رفضوا التوقف لي، كل هذا قال لي في وجهي إنني غريبة وإنني سأبقى هكذا لوقت طويل.

بعد أن قاد بي سائق التاكسي في شوارع كاديكوي الفرعية لما لا يقل عن ساعة بحجة ازدحام الشوارع الرئيسية، وصلت إلى المكان الذي سأقابل به "جولايد" متأخرة وبنقود أصبحت أقل. كانت الساعة تشير إلى الثالثة وأربع وعشرين دقيقة عندما نزلت من التاكسي وقد شعرت بالتوتر والضيق بسبب هذا التأخير.

كانت "جولايد" جالسة على واحدة من طاولات المقهى التي تطل على البحر معطية ظهرها للمدخل. في البداية لم أتعرف عليها، فمظهرها لم يكن يشبه تلك الفتاة التي رأيتها أمس. كانت قد عقصت شعرها للخلف ووضعت على رأسها عصابة صفراء متوهجة مثل لاعبات التنس، وسترة أكبر من حجمها بكثير،

Twitter: @ketab_n

وبنطلونًا جينز فضفاضًا وحذاء رياضيًا أبيض بسيطًا. باستثناء النظارة الشمسية التي لم تخلعها على الرغم من أنها كانت تجلس في الظل، فقد بدت مثل طالبة في المدرسة الثانوية تقضي إجازة نهاية العام.

أردت أن أفاجئها مستغلة شرود ذهنها، وضعت سبابتي على شفتي طالبة من النادل الذي كان قد رآني وأنا أدخل إلى المكان أن يلتزم الهدوء، ما إن وصلت إلى مقعدها أنزلت "جولايد" الجريدة التي كانت تقرأها واستدارت برأسها. ابتسمت وقالت:

- عزيزتي "أردا"، عليك أن تعلمي أنه لا أحد في هذا العالم يقترب مني دون أن أشعر به.

نهضت من مكانها وتعانقنا، ثم وقفنا أمام بعضنا بعد أن انتهى العناق ولاحظت الندبة البنفسجية العميقة التي تبدأ من تحت إطار نظارتها الشمسية اللامع ويصل إلى عظمة وجنتها. قالت:

- هذا لا شيء، لقد تشاجرنا مرة أخرى، ستفزعين لو رأيت حالته الآن.
- والآن؟ هل تتقابلان؟
- نعم.

قالتها وهي تطوي كمها كي تريني الساعة المتلألئة في يدها.

- لديه كدمة في عينه لكنني لن أشتري هدايا لأحد، أليس كذلك؟

ثم قالت وهي تضغط على الأحرف بشكل لطيف:

- لن أشتري أي شيء. أنا لا أستطيع أن أخاصم أي شخص لمدة طويلة.

على الطاولة كانت هناك نسخة من مجلة إركيكشي، وعلى غلافها صورة للممثلة "ناستازيا كينسكي" تجلس عارية على صهوة فرس أبيض، بينما كانت

Twitter: @ketab_n

"جولايد" تمسك بمجلة أخرى في يدها وتضعها عند جبهتها كي تحمي عينيها من الشمس وهي تنظر إلى الأفق.

قالت بحماس:

- صفحة رقم خمسة وعشرون.

فتحت المجلة، عند الصفحة التي أشارت أليها، وجدت زهرة تفصل صفحتين. كانت الزهرة شبه جافة، ربما لأنها وضعت في هذا المكان منذ أيام. وبعرض الصفحتين وجدت صورة كبيرة جدا لـ"جولايد" مبتسمة وهي ترتدي ثوب سباحة بكيني، بينما على يمين الصورة عنوان يقول: "جولايد، زهرة صيف تتفتح".

رفعت رأسي وأنا أصيح منبهرة، بينما ابتسمت هي محاولة أن تخفي إحساسا بالفخر بداخلها.

- هذا ليس كل شيء، انظري إلى الصفحات التالية أيضا.

كانت المجلة مليئة بصورها حتى صفحة 30 وهي تتسلق منصة القفز لحمام السباحة، أو صورها وقطرات الماء تقطر منها، أو وهي تستحم بعد السباحة. في الصورة الأخيرة كانت قد خلعت ثوب السباحة تماما، لكن ثدييها لم يظهرا لأن الصورة كانت من الخلف. تشير العبارات التي تحت الصور إلى أن "جولايد" لم تفز عن طريق الخطأ بمسابقة الجمال وأنها تستعد الآن من أجل تصحيح هذا، وأنها ستمثل دورا في فيلم سيبدأ تصويره في الخريف مع كوكبة من النجوم المشهورين وأنه سيكون بداية صعودها لعالم الشهرة، وأنها "مثل جميع الأزهار تنتظر موسمها كي تتفتح".

قلت لها وأنا خائفة من أن ألفظ أي عبارة حمقاء:

- مبارك، ما الدور الذي ستمثلينه؟

Twitter: @ketab_n

- لا أعرف بعد، في أفضل الظروف سألعب دور أخت "آهو".
- في الحقيقة، تشبهينها كثيرا.
- حقا؟
- أعني أنه باستخدام المكياج وغيره ستصبحين مناسبة جِدًّا للدور.
- لم لا تذهبين وتقولين هذا للمنتج؟ إنه لم يحسم قراره بعد.

لم أجد ما أقوله كي أكمل الحديث بيننا، ابتسمت "جولايد" متفهمة صمتي، إنها الابتسامة المتفهمة على شفتي الفتاة القادمة من "إسكيشهر" والتي كانت تسدي لنا جميعا النصح في عطلات نهاية الأسبوع وأنا أعرف هذه الابتسامة جيدا. رفعت يدها وطلبت كوبين من الشاي من النادل الذي كان ينتظر حدوث هذا منذ عشر دقائق تقريبا. أشعلت سيجارتها التي ليس لها فلتر وأراحت ظهرها على الكرسي. قالت:

هيا أخبري صديقتك بمشاكلك.

قلت بينما أحاول أن أبدو هادئة: "فيرات" في ورطة.

شعرت بضيق مرق على وجه "جولايد" بسرعة البرق، فكرت للحظة وقررت أن تقول شيئا ثم سكتت. ضحكت بينما تحاول أن تكتم قهقهة كبيرة بداخلها وقالت:

- لكن هذا سخيف للغاية.
- لماذا؟
- هل تعنين "فيرات" الذي نعرفه؟
- نعم...

لم تستطع أن تتحكم في نفسها أكثر من ذلك وانفجرت ضاحكة ضحكة طويلة ومرتفعة للغاية مما جعل رأسي الزوجين العجوزين الداخلين للمقهى

Twitter: @ketab_n

يستديران نحونا. إنها عادة ما كانت تضحك هكذا، في الليالي التي قضتها بمنزلنا، كنت دائما ما أسمع أبي وهو يتمتم: "ينبغي أن يعلم أحد هذه الفتاة بعض الأخلاق".

همست وهي تتظاهر بالخجل:

- عزيزتي "أردا"، أنا آسفة لكن "فيرات" الذي أعرفه هو فتى جبان وكسول بشكل يجعلني لا أصدق أنه قطع الطريق إلى هنا ووقع في ورطة.

قلت:

- لكنه فعل.

وابتسمت ابتسامة عريضة للنادل الذي أحضر الشاي. أخبرت "جولايد" بما حدث لكن دون المحافظة على الترتيب الزمني للأحداث وقد أنصتت إلي بشكل جيد رغم أنني كنت أخاف من أنها لن تفعل.

- حسنا ما هي شكوكنا؟
- لا أعرف. لدي شعور فقط بأن شرًّا ما سيحدث.

قالت مبتسمة:

- الشر حولنا على الدوام.
- ربما يكون الموقف على عكس ما يعتقده "فيرات".
- وما الذي يعتقده "فيرات" إذا؟
- أن "إيسرا" تحبه.
- في رأيك أنها لا تحبه؟
- هذا مجرد إحساس كما قلت لك.

Twitter: @ketab_n

صمتت للحظة ثم قلبت شايها وعقدت حاجبيها. كانت تنظر إلى البحر الذي تشقه مراكب صغيرة وكبيرة بسرعات منخفضة. بدأ الضباب القليل على البسفور يزيد ويصبح أكثر كثافة، وكانت الشمس تتحرك للغرب وقد تحررت من الأشجار المحيطة بالطاولة. منذ دقيقتين كان ضوء الشمس يحرق عيني. لا تزال "جولايد" جالسة في الظل. سحبت أنا كرسيي مقتربة منها.

قالت:

- ربما أنت محقة.

اقتربت الشمس من أن تغطي نظارتها الشمسية.

لا يحتاج المرء إلى ذكاء مبهر كي يخدع صغيري "فيرات". لكن ربما تكمن المشكلة في أنك لم تري الفتاة حتى الآن. وبالتالي فأنت تستمرين في التفكير والتخيل...

- وماذا نفعل؟
- ماذا نفعل؟

قالتها وهي تتظاهر بالدهشة.

- نعم يا "جولي"، ماذا نفعل أنا وأنت؟

اقتربت وربتت على شعري: سنذهب لرؤية الفتاة بالطبع!

Twitter: @ketab_n

38

اسمي "أردا" أكاد وأبلغ من العمر أربعين عاما. سيكون من البشع للغاية أن تعتقد أنني في منتصف العمر، فالوصف الوحيد الذي يمكنني التكيف معه هو أنني "لست صغيرة على الإطلاق"، مما يعني أنني "تركت خلفي العبء الأرجواني الخاص بفترة الشباب ونضجت". يخشى المرء من أن يتحدث بشكل مطلق عن الحياة بعد أن يعيش فيها طويلا. ربما يكون هذا عرضا يشير إلى مشكلة ما. فنحن نفضل أن نقول "أحد أفضل أيام حياتي" بدلا من "أفضل أيام حياتي"، إننا نمسك بيدنا مبردا مصنوعا من الكلمات ونحاول أن نبرد به جميع التعبيرات المتطرفة، أو التعبيرات الأكثر تطرفا، وأن نغير في طبيعتها. أما أنا فأتمنى أن أقابل شخصا يخبرني بالحقيقة حين ينتهي شبابي.

حياتي، يا حياتي لقد مشيت بلا هدى كثيرا كي أتذكركو أعطيت لنفسي المزيد من الوقت الليلة، وعلى سهل منتصف العمر وعلى هذا الخط قولي لي كلمة واحدة

هذه القصيدة التي يمكنني أن أصدق أن كاتبها من العصور الماضية، كتبها في الحقيقة صديق لي من إسطنبول واسمه "بيرهان". في الحقيقة أنا أحب الطريقة التي شبه بها هذا السيف ذي الحدين والذي يطلق عليه منتصف

Twitter: @ketab_n

العمر بسهل مستو. عندما عرضت هذه القصيدة على علي الذي يعتبر جميع الشعراء بعد "شيه جاليب" "بلا قيمة"، فقد أعجبته.

في رأيي هناك لحظة ما ينتهي عندها الشباب وتبدأ فيها فترة منتصف العمر بكل ما فيها من ثراء. إننا نعبر عتبة لا نراها ويهرب عندها عصفور الشباب من نوافذ أجسادنا، ولا ندرك التغير الذي حدث لنا قبل مرور بعض الوقت، وقبل المرور ببعض الريبة والشك، فنحن نحتاج إلى من يلكزنا في أكتافنا كي يوقظنا، نحتاج إلى لافتة مرورية تقول لنا إننا بعد صعود طويل وصلنا إلى السطح المستوي لهضبة منتصف العمر، كما نحتاج إلى أسلوب مختلف لفهم هذه الفترة وعلامات مختلفة كي ندركها.

بعد الأمسية التي قضيتها مع "إريتجرول" في الفندق وبعد أن أنزلني عند المنزل في الساعة الثانية والنصف صباحا، لاحظت أن بيتنا البالغ من العمر أربعين عاما قد تحول هو الآخر إلى سهل مستو رحب.. سهل مليء بالسكينة والقسوة في الوقت ذاته.

داخل المنزل لا أجد من يرد تحيتي سوى الصمت. التلفزيون مطفأ، وغرفة المعيشة مظلمة لكن نورا يتهادى من المطبخ وتحديدا من فوق شفاط الهواء الذي يعلو الموقد، لابد وأن أمي تركته مفتوحا وتركت ضوئه يتسلل بين أثاث المنزل. لا تزال رائحة منزلنا هي نفس الرائحة ونوره هو نفس النور. أتذكر أبي حين جلس على طاولة المطبخ كي يدخن، كان هذا بعد شهرين من شراء الطاولة التي زينتها أمي بزجاجات الملح والفلفل، الطاولة التي تقول أمي الآن إنها كانت "مكتبي" باتت خاوية. تخيلت أبي جالسا عليها كما اعتاد أن يفعل في صباح الأحد من كل أسبوع، على وجهه علامات شيخوخة مبكرة، ربما لأنه اعتاد على أن يقرر مصير الكثير من الناس، جلست أمامه وسألته:

- لماذا تفعل هذا؟

Twitter: @ketab_n

- وما الذي أفعله؟ وأين كنت إلى الآن؟
- ما الذي تستطيع رؤيته في هذه الطاولة ولا أستطيع أنا رؤيته؟ ولماذا تدخن عليها دائما؟
- يمكنني أن أشغل هذه الطاولة، وهذا أمر لا أستطيع تصديقه، صحيح أنني سأذهب للعمل في الصباح وفي اليوم الذي يليه واليوم الذي يليه، لكنني سأشغل هذه الطاولة بالقدر الذي أستطيعه. في الحقيقة، أحيانا أجد أن هذا أمر لا يحتمل حتى إنني أسأل نفسي هل سأقوم بنفس الفعل في الغد؟ وهل سأستطيع فعله؟ عادة ما تنتابني هذه الأفكار، وأعتقد أنها أفكار لا تحكى لطفل. أما الآن، فأنا ميت وأنت كبيرة بما يكفي لفهم هذه الأمور وبالتالي لا يوجد مشكلة في إخبارك بها.
- أبي. لقد فقدت ولدي.

أقولها وأنا أنظر مباشرة إلى عينيه.

- لا يمكنني فعل أي شيء حيال هذا؟
- لا شيء؟
- لا.
- لماذا لا تشعر بالأسف لما حدث لي؟
- لن يتغير الموقف إن شعرت بالأسف.
- كيف سيمكنني محاربة هذا والتغلب عليه؟
- لقد تغلبت عليه بالفعل، لقد تقبلت ألمك واستمررت في الحياة، لقد عبرت عتبة الألم. وبعد أن فعلت كل هذا، فأنا لا أستطيع أن أفيدك، ما سيحدث هو أنني سأشوش أفكارك فحسب.
- لكنني لم أعد شابة أيضا.

Twitter: @ketab_n

أقولها بآخر أمل لدي.

- صدقيني، تبدين بحال جيد، لقد مللت هذا الحديث وأتمنى لو ينتهي.

فتحت باب غرفة أمي ونظرت إليها، كانت نائمة وتتنفس أنفاسا عميقة، بينما كانت النافذة القريبة من أعلى السرير مفتوحة. مددت يدي وأغلقتها رغم برودة الصباح ورغم انتشار القطط في المكان. التقطت من على سطح مرآة الخزانة صورة لـ"إيمرا" لم تواتِني الجرأة كي ألمسها لشهور. كان وقتها في عرض بمناسبة نهاية الدراسة بالصف الثاني وكان يرتدي زيا على شكل برتقالة ومكتوب عليه فيتامين ج. أتذكر كيف قَبِل بعد الكثير من الممانعة أن يرتدي زيا على شكل ثمرة فاكهة، لأنه كان لا يجيد الرقص. أجلس على مكتب أمي وأنظر إلى الصورة لوقت طويل، وبداخلي رغبة للاستمرار في الحياة لا تجعلني أعود للوراء.

قلت له: "مساء الخير، نم جيدا يا برتقالتي الصغيرة".

Twitter: @ketab_n

39

كانت "جولايد" جادة للغاية فيما قالت. أرادت أن تذهب مباشرة إلى بيت "إيسرا" وتسيطر على الموقف، ولم يكن لديها أي خوف من التورط في أي فضائح. لطالما كانت كذلك، لكن ما مرت به في إسطنبول جعلها أكثر شجاعة من ذي قبل. أرادت أن نذهب إلى بيت "إيسرا" مباشرة بينما لم أستطع أنا أن أحجم شعوري بالفضول. وبالتالي فقد قررنا أن نركب أول قارب نجده. اتصلت بـ"إريتجرول" من مرفأ العبارات فشرح لي الطريق إلى بيت "إيسرا" بالقدر الذي استطاع أن يتذكره.

قال قبل أن يغلق الهاتف:

- ما الذي ستفعلينه؟
- سأذهب وأتحدث معها بنفسي.
- بنفسك؟

قلت وأنا أنظر إلى "جولايد":

Twitter: @ketab_n

- لا.. سآخذ صديقة معي.
- ستأخذين صديقتك؟
- نعم، لم أخبرك عن "جولايد" من قبل، أليس كذلك؟
- ستستطيعان الوصول إلى المنزل، أليس كذلك؟
- أعتقد سنستطيع.
- حسنا، هل تريدين أن آتي معكما؟

قلت وأنا غير متأكدة:

- لا.. سنتعامل مع الأمر.. أشكرك على أي حال.
- إن كنت تريدين نصيحتي، فلا تفعلي هذا اليوم، لابد وأنها عادت لتوها من عند الطبيب، وسيمكث "فيرات" معها طوال اليوم على الأغلب.

قلت بحسم:

- حسنا حسنا نحن لن نأكلها على أي حال.

بينما كنت أتحدث في الهاتف، كانت "جولايد" تقابل بين الحين والآخر أشخاصًا تعرفهم، اقترب منها رجلان شابان بضحكة عالية، فصاحت وعانقتهما. ثم أوقفتها امرأة عجوز وسألتها أين كانت طيلة الفترة الماضية. وهي في طابور التذاكر مر بجانبها فتاتان من نفس عمرها وابتسمتا لكنهما لم تستطيعا إخفاء شعور بالغل يعتمل داخلهما. عندما وجدنا مقعدين على العبارة وجلسنا قالت لي بغصة: "لا عليك، الكثير من هؤلاء لا يحبونني في حقيقة الأمر".

بدت إسطنبول مختلفة وأنا مع "جولايد" بغض النظر عن سبب هذا الاختلاف. فالأشياء التي رأيتها في رحلتي أمس دون اكتراث أصبحت ملونة ومختلفة خاصة لأنني أراها على صوت "جولايد" الغنج والذي يخبرني دائما

Twitter: @ketab_n

بشيء عن كل شيء. لقد اكتست المدينة بحيوية دغدغتني من الداخل وسلبت مني كل مقاومة لدي. ثم وأنا أنظر إلى برج مايدن والقصور وأشكال أبراج الغلال أدركت أنني استسلمت لأنني أريد أن أستسلم.

سألتني:

- هل أنت متحمسة؟

كانت هي نفسها متململة، أخذت السيجارة التي قدمتها لي وأنا مترددة.

قلت:

- لا أعرف، لا أشعر بأنني متحمسة.
- أنا متحمسة وأشعر بالكثير من الفضول.
- لم، لأنك سترين "إيسرا"؟
- أتساءل ما الذي فعلته كي تجعل شخصًا ميت المشاعر مثل "فيرات" يحبها كل هذا الحب؟

عندما وجدنا أننا اقتربنا من مرفأ كاراكوي، نزلنا إلى الطابق الأول من العبارة ووقفنا بجوار العاملين عليها والذين كانوا يستعدون لإلقاء الحبال لربط العبارة حين نصل إلى المرسى. وصل قاربنا القديم بعد أن أصدر أصواتا كثيرة وأزاح زبد البحر المتجمع حوله من كل الجهات. قفزت "جولايد" إلى الرصيف قبل أن يأذن البحار للركاب بالنزول، مشت عدة أمتار للأمام ثم توقفت كما لو أنها تذكرت فجأة أنني كنت معها، انتظرت أنا حتى ربط البحارة حبال القارب وأنزلوا ممشى خشبيًّا كي يخطو عليه الركاب، بينما نظرت هي إلي بعينين نفد صبرهما.

وجدنا شقة "إيسرا" في هيرباي بسهولة بفضل إرشادات "إريتجرول"، كان المساء قد حل. لابد وأن "فيرات" سيغادر منزلها بعد نصف ساعة على الأقل.

Twitter: @ketab_n

المشكلة أن حبيبته كانت تمر اليوم بأصعب أيام حياتها وقد لا يرغب هو في تركها وحيدة وبالتالي فقد ننتظر أمام المنزل فترة طويلة.

قالت "جولايد" وهي تنظر مباشرة إلى نوافذ الشقة الكائنة في الطابق الثالث: "لا أعتقد هذا، فأسرتها ستأتي آجلا أم عاجلا، و"فيرات" الذي أعرفه لا يحب مقابلة والدي فتاته، خاصة في مثل هذه المواقف. انظري، هناك مكان يمكننا أن نجلس فيه وننتظر.

كان المكان الذي أشارت إليه مطعما قديما. مسحت السيدة العجوز يدها في فوطة تحول لونها إلى الرمادي من كثرة الزيوت والشحوم الملتصقة بها، أجلستنا على الطاولة الوحيدة التي تقع بجوار نافذة، لاحظت عددا من قطرات الزيت على الطاولة بأحجام مختلفة لكنها جميعا تعكس ألوان الطيف. عندما جلسنا شعرت أننا أخذنا القرار السليم، حيث يمكننا من مكاننا هذا رؤية باب شقة "إيسرا" مباشرة.

- لدينا نصف ساعة على الأقل بعد مغادرة صديقنا العاشق وقبل وصول والديها، وهذا وقت كاف لنا.
- هل لدينا خطة؟
- لا، تعالي نأكل شيئا أولا، فالتفكير يصبح أسهل والمعدة ممتلئة.
- نأكل هنا؟

بشهية جعلتني أشعر بتقلصات في بطني، طلبت "جولايد" شطائر لكل منا، كنت تتحدث إلى السيدة العجوز بكلمات واضحة وبنبرة تشي باحترام كبير كما لو كنا في مطعم فخم.

نظرت لي وقالت:

- في الحقيقة أنا أقوم بعمل حمية لخسارة الوزن هذه الأيام، لكن دعينا نأكل جيدا اليوم، من أجل "فيرات".

Twitter: @ketab_n

40

دنيا طفلة جذابة مثل اسمها تماما. في الحقيقة، ربما لن تلحظ فرقا بينها وبين الأطفال الآخرين للوهلة الأولى. فرغبتها في الحصول على حلوى غزل البنات وإصرارها ووضع الحلوى فوق وجهها وهي تأكل، كلها أشياء يفعلها الأطفال الآخرون. ما يجعلها تستأثر بالاهتمام هو أنها غريبة عن كل شيء حولها، فهي لا تعرف بائع الحلوى الذي ربت على رأسها ولا الأشخاص الذين استأجروا قاربا في كوبروباشي وحاولوا أن يجدفوا فاصطكت مجاديفهم ببعضها، وهي لا تعرفني أنا، ولا القطط ولا المنازل. هذه النظرة التي تحدق بها نحوك من تحت أهداب شعرها الذهبي ليس نظرة فضولية لطفلة صغيرة، فهي ضيفة تعلمت منذ وقت طويل مضى أنها لا ولن تنتمي إلى أي مكان تذهب إليه، وأنها لن تواتيها الفرصة لتشعر أنها ليست غريبة عن المحيطات بها. لن تدرك هذا قبل أن تقضي معها ساعتين، لكنك حين تدركه ستشعر بأن ألما مفاجئا وغير متوقع اخترق قلبك.

جلست أنا و"إريتجرول" وهي في حديقة شاي كوليديبي، كنا في شهر أغسطس لكن الجو بدا خريفيا. تداعت نحونا نسائم قادمة من المنطقة الصناعية وجعلت الشاي يبرد سريعا، بينما نظرت دنيا بعينين زائغتين إلى القطعة الصغيرة المتبقية من حلوى غزل البنات في يدها.

Twitter: @ketab_n

لقد مرت بالكثير من المدن والكثير من المدارس، حتى إن ما يحدث حولها يبدو وكأنه لا يهمها كثيرا. عندما اشتدت الرياح قليلا، مددت يدي نحو زر سترتها، بدت متفاجئة. قلت:

- هذه سترة لطيفة للغاية.
- "أميليا" صنعتها من أجلي.
- فعلا؟ ومن هي "أميليا"؟
- إنها أم "زو".
- وماذا حاكت لك غير هذه السترة؟

أشارت بأصابعها الصغيرة إلى عقدها وقالت:

- هذا.

قال "إريتجرول":

- هذه ليست حياكة، العقد يصنع ولا يحاك.
- لقد صنعت "أميليا" لي هذا العقد أيضا.
- وأين هي الآن؟
- إنها في المنزل في تورنتو.

الولدان اللذان رأيتهما منذ يومين قفزا إلى الماء وأصدرا نفس الصيحات والصرخات. عندما سمعنا صيحاتهم انتبهنا جميعا ونظرنا نحوهما. الحارس ليس هنا هذه المرة. رأيت دنيا تبتسم للمرة الأولى.

قالت وهي تمسح عينيها:

- هذا جميل جدا، ألن يشعرا بالبرد؟

Twitter: @ketab_n

- إنهما يستمتعان بآخر أيام الصيف، فلم يبق منه الكثير.

قامت ومسحت بمنديل أبيها ما علق في يديها من حلوى غزل البنات وذهبت إلى حافة الطريق الذي أصبح الآن مزينا بزهور متنوعة الألوان وأشجار صغيرة، وذهبت إلى المكان الذي كنا منذ سنوات كثيرة مضت نطارد فيه الكرات التي يركلها "فيرات" في المياه، وقفت هناك ونظرت إلى البورسك. لم تتخط الحائط القصير الذي يفصل الطريق عن الماء، وإنما وقفت على أطراف أصابعها ومَدَّت عنقها الجميل وأخذت تشاهد الأطفال يسبحون في مياه البورسك.

سألت "إريتجرول":

- هل هي سعيدة؟
- لا يمكنني أن أجيبك على هذا السؤال، الأطفال سعداء دائما أليس كذلك؟
- هل تحب جدتها كثيرا؟
- نعم، إنهما يحبان بعضهما، لطالما أردت أن أشعرها بأنها تنتمي إلى هنا كي لا تشعر بالغربة، لكن كما ترين فهي حتى لا تستطيع التحدث بالتركية بشكل جيد.
- لكن لغتها ليست سيئة للغاية. هل تتحدث الإنجليزية أيضا؟
- هكذا تستطيع أن تتواصل مع "أميليا". ينبغي أن تسمعيها وهي تتحدث الإنجليزية، إنها تتميز بطلاقة كبيرة، إنها تغرد مثل بلبل صداح.

خطت دنيا خطوة أخرى جريئة وجلست على الحائط القصير على جانب النهر. سحبت جيبتها قليلا ومالت بانتباه إلى الأمام، ثم أطلقت صيحة صغيرة ودفعت نفسها للخلف، مسحت قطرات الماء من وجهها بيد بينما حاولت أن تحمي نفسها من رذاذ الماء بيدها الأخرى. سمعنا ضحكات الطفلين الآتية لنا

Twitter: @ketab_n

من فوق صفحة مياه البورسك التي لم نستطع أن نراها من مكاننا، بينما ابتسمت دنيا وأشارت بيدها إلى حيث يسبح الطفلان وقد زاد سرورها ثم ضحكت بقهقهة عالية.

قلت لـ"إريتجرول":

- صحيح، الأطفال دائما سعداء.

صاح مناديا دنيا: "انتبهي! لا تميلي إلى الأمام كثيرا".

كانت دنيا لا تزال تشير إلى الولدين اللذين لم نستطع رؤيتهما من مكاننا بينما كانت تضحك وتصيح. قالت: "إنهما يرشان الماء علي".

Twitter: @ketab_n

41

فتحت "جولايد" شطيرة الجبن التي قدمتها السيدة العجوز ونظرت بداخلها. مدت يدها نحو زجاجة الكاتشب الموجودة على حافة الطاولة ووضعت قليلا من الكاتشب على الشطيرة ثم سألتني إن كان لي حبيب.

نظرت لها وضحكت بطريقة تلقائية:

- هل لدي ماذا؟
- صديق. هل أنت مرتبطة؟
- من أين تأتين بهذه الأسئلة؟
- إلى من كنت تتحدثين في الهاتف إذا؟
- إنه صديق "فيرات" ونحن نمكث عنده.
- هل هو وسيم؟
- لا أعرف. ما علاقة هذا بما نحن بصدده على أي حال؟
- لا، أبدا.. أنا فقط أتحدث لتمضية الوقت.

Twitter: @ketab_n

صمتنا بعض الوقت وأخذنا نأكل شطائرنا. بغض النظر عن مكونات الحشو الموضوع فيها فقد بدت أفضل مذاقا بكثير مما تخيلت. ثبتنا أعيننا على باب البناية، وكنا نتوقف عن المضغ في كل مرة ينفتح فيها الباب كي نحدق نحوه بانتباه كامل. خرج منه أولاد يبدو من ملابسهم أنهم ذاهبون للعب الكرة، ثم بعدهم بدقائق خرج بواب نحيف ذو شارب، ثم زوجان عجوزان متجهمان. مروا جميعا أمامنا واختفوا عند نهاية الشارع واحدا تلو الآخر.

قالت بنفس النبرة التي كانت تتحدث بها قبل أن تصمت:

- من السيئ أنك بلا حبيب.
- لماذا؟
- الطريق الأسرع للتعرف على نفسك هو أن ترتبطي بأحدهم. إنها الطريقة الأفضل للتعرف على حدودك ولمعرفة ما يمكنك فعله وما لا يمكنك فعله.
- نعم، فهمت.
- فهمت؟ انظري إلي. وجهك يفضح ما بداخلك، هل تحدث إليك أي شخص عن أي شيء؟

احمر وجهي على الفور وبينما كنت أفكر في طريقة أتخلص بها من هذا الموقف، انفتح باب البناية مرة أخرى وخرج منه "فيرات" مرتديا التي شيرت الأخضر الذي أحضره له عمي من ألمانيا وبنطاله الجينز الذي قطعه عند الركبة وحوله إلى شورت. حبسنا أنفسنا وانتظرنا بينما مشى هو نحو المطعم بعينين زائغتين. وحين مر بجانبنا أنزلنا رؤوسنا إلى الأسفل كثيرا كي لا يلاحظنا. مشى وهو مطأطئ رأسه حتى نهاية الشارع كي يستقل الأتوبيس أو أي مواصلة.

قلت لـ"جولايد":

Twitter: @ketab_n

- هيا بنا؟

قالت:

- هيا.

فتحت فتاة متوسطة الطول باب الشقة رقم تسعة، وكانت ترتدي بنطال جري وردي اللون وكان شعرها الطويل مسترسلا حتى نهاية عنقها. عندما خطت للأمام ورأيتها على نور السلم، أدركت أن جميع ملاحظاتي السابقة غير هامة على الإطلاق.

كانت الفتاة تشبهني، لم يكن بيننا تشابه جسدي كامل لكنها كانت مثلي. تخيلت أن أرى كائنا غريبا من الفضاء الخارجي أو أميرة ظلام، أما هذه الواقفة أمامي مرتدية سترة وبنطالًا رياضيًّا فهي تشبهني وترتدي ملابس يمكنني ارتداؤها.. ما معنى هذا كله؟

استدرت ونظرت إلى "جولايد"، بابتسامة حازمة قالت للفتاة:

- أهلا، نحن صديقتا "فيرات".

تراجعت "إيسرا" خطوتين وركزت عينيها على نظارة "جولايد" الشمسية، انطفأ نور السلم الأتوماتيكي مصدرا صوتا غريبا. مدت "جولايد" يدها نحو الزر وكبسته. حَولَت عينا "إيسرا" وهو ما يحدث لي تماما حين أدهش.

- إذا ما معنى هذا؟
- نريد أن نتحدث معك؟
- لست في حالة تسمح لي بالكلام، فأنا متوعكة.
- لن نأخذ منك أكثر من عشر دقائق، الأمر هام للغاية.

Twitter: @ketab_n

انطفأ النور مرة أخرى، لكن لم يفتحه أحد هذه المرة. أنزلت "إيسرا" يدها بتردد بعد أن كانت تحجزنا بها عن المرور إلى الداخل، دخلت "جولايد" دون أن تفقد ابتسامتها المزيفة التي لا أعرف من أين أتت بها.

عبرنا غرفة معيشة كبيرة لها أثاث فاتح الألوان، ثم ذهبنا إلى التراس في الناحية الأخرى من الشقة حيث فرشت الأرض بأبسطة متجاورة. في ركن التراس كانت توجد مجلات أجنبية وجهاز ووكمان يصدر عنه طنين. أشارت "إيسرا" إلينا كي نجلس على الأرض الموضوعة عليها وسائد للجلوس، بينما جلست هي على إحدى هذه الوسائد مسندة رأسها على درابزين التراس الحديدي.

مرت لحظات قليلة من الصمت بيننا تحول فيها شعوري بالدهشة إلى شعور غريب للغاية. هل يمكن أن يكون التشابه بيننا أكثر من مجرد تشابه في السترات والبنطلونات؟ هل يكون تشابها جسديا أيضا؟ "إيسرا" أيضا لديها وجه دائري مثل وجهي. قرأت في مجلة من قبل أن الرجال يبحثون عن نساء يشبهن أمهاتهم أو أخواتهم. هل فعل "فيرات" الأمر نفسه؟ لكن عينيها كانتا خضراوين بينما عيناي سوداوان. كما أن شعرها بني ولم يكن شعري كذلك. ثم لماذا أنا مهتمة للغاية بهذا التشابه رغم كل ما يحدث حولنا؟

ربما أنا أعرف السبب، فأنا شعرت بالغيرة من "إيسرا" في اللحظة التي وضعت فيها عيني عليها. هذه الفتاة لديها عاشق متيم بها... حتى لو كان هذا العاشق هو الدب الصغير "فيرات"، كما أن لديها منزلا يطل على البحر وجمالا يشجع على الاقتراب منها على عكس نجمات السينما اللاتي يحجزهن جمالهن عن الآخرين. كانت "إيسرا" هي المرأة الأولى التي أغار منها وهو ذنب يمكنني أن أقتلها من أجله.

بالخارج يمكنك رؤية البحر ممددا حتى الأفق، كما يمكنك رؤية صفوف المنازل التي يعلو أسطح بعضها لوحات إعلانية حيث تغطي هذه المنازل التل وصولا إلى البحر ويتضاءل حجمها كلما اقتربت منه. كانت مياه البسفور تتلألأ

Twitter: @ketab_n

تحت شمس الصيف التي أوشكت على الغروب، وكانت به قوارب صغيرة وكبيرة. حين نظرت إلى إسطنبول أحسست بالأمان، ربما لو استمررت في النظر إلى هذه الإطلالة سأستطيع التخلص من هذا الشعور الأحمق بداخلي.

قالت "إيسرا" بارتياب:

- إذا أنتما صديقتا "فيرات".

ردت "جولايد":

- نعم نحن صديقتا طفولته ونعرفه من "إسكيشهر" لا يوجد ما يقلق.
- اطمئنا، أنا لست قلقة.

قالت "إيسرا" الكلمات الأخيرة بنبرة حادة جعلت "جولايد" تغير كلامها ليصبح رسميا أكثر. قالت بكلمات واضحة للغاية:

- آنسة "إيسرا"، إننا نعرف "فيرات" منذ سنوات، ونحن نعرفه جيدا. نعرف مع من كان وما مر به من خبرات وتجارب ونعرف ذكرياته الجيدة والسيئة. لكن يبدو لنا أنه مر بالكثير من الضيق والحزن مؤخرا، وهو عادة لا يبوح بما في داخله. كنا دائما ما نراه مسرورا، لكن مؤخرا أصبحت قلوبنا تتألم كثيرا كلما رأيناه. الأسوأ هو أننا لا نستطيع مساعدته، ولا يمكن للصديق أن يطيق رؤية صديقه بهذه الحالة.
- كيف عرفتما عنواني؟
- سألنا في الجوار.
- وماذا تتوقعان مني؟
- أن تخبرينا بالحقيقة.
- أي حقيقة؟ وعن أي شيء؟

Twitter: @ketab_n

- من فضلك أخبرينا بصراحة عن المشكلة التي بينكما والتي تقلقكما وبالتالي أصبحت مصدر قلق لنا لأنها تتعلق بـ"فيرات".

استرقت "إيسرا" نظرة إلى ساعتها، فقالت "جولايد":

- هل أنت تنتظرين أحدًا ما؟
- لا، لكن أسرتي ستكون هنا سريعا.
- إذا أخبرينا الآن، وسنغادر وبالتالي لن يكون عليك أن تفسري وجود غريبتين معك في المنزل.

غيرت "إيسرا" وضعيتها ومدّت ساقيها نحو الحائط. أبعدت سماعات الأذن التي كانت على الوسادة الشاغرة وقالت بنبرة غير مكترثة:

- اضطررنا للقيام بعملية إجهاض. هذا كل ما في الأمر.
- لقد اعتقدنا أن هذه هي المشكلة أيضا.
- وكيف خمنتما هذا؟
- أغلبنا يمر بمثل هذه الظروف. كما يمكن للمرء أن يفهم من الطريقة التي يتصرف بها الرجل.
- الآن أنتما تعلمان كل شيء، لو سمحتما...
- لابد وأنه كان أمرا شاقا عليك.
- لا، كان الطبيب جيدا.
- أقصد أنه كان شاقا على قلبك، لكن مثل هذه المواقف تقوي مشاعر الحب.

قالت "إيسرا" وهي تنظر من بين قضبان الدرابزين إلى الشارع:

- لا يوجد حب بيننا أو أي شيء من هذا القبيل. لقد قررنا أن ننفصل.
- متى حدث هذا؟

Twitter: @ketab_n

- اليوم. لن نلتقي مرة أخرى. أنا آسفة لكن أمي قد تصل في أي لحظة.

قلت وأنا أحدق في عينيها الخضراوين اللتين تشبهان عيني كثيرا:

- حسنا، ماذا عن أمريكا؟
- هذا ليس من شأنكما.

رددت وقد ارتفع صوتي قليلا:

- "فيرات" هو ما يهمنا. إن ما قلته منذ لحظات هو ما يجعله في هذه الحالة.
- سيتغلب على هذه الحالة. هذه هي الحياة.

كانت أذني تطن من فرط الغضب. قلت بصوت أخافها وأخاف "جولايد":

- الحياة؟ كان لدى "فيرات" حياة يعيشها قبل أن تظهري، الآن هو يعيش في جنازة، وأنت تتحدثين عنه كأنه علاقة قديمة مرت ولم يعد لها أي أهمية. ما علاقة الحياة بما هو فيه؟

وضعت "جولايد" يدها على كتفي وقالت:

- حسنا يا "أردا"، لا عليك. هذا يكفي الآن.
- هل أنت "أردا"؟

قالت "جولايد":

- نعم، إنهما لا يشبهان بعضهما، أليس كذلك؟
- حسنا، حسنا، حسنا. لقد أرسل أخته إلى هنا.

ضغطت "جولايد" بيدها على كتفي واستدارت نحو "إيسرا" وقالت بصوت هادئ:

Twitter: @ketab_n

- أنت محقة، ما حدث بينكما هو شأن خاص بكما، لكن صدقيني لم يرسلنا أحد إلى هنا، لقد جئنا من تلقاء نفسينا، ونحن آسفتان إن كنا قد سببنا لك أي إزعاج.

قلت بصوت أكثر غضبا:

- لا تقدمي لها أي اعتذار، إنها حتى لم تخبرنا بكل شيء.

سمعنا صوت مفتاح يدور في قفل باب الشقة بالخارج. استدرنا جميعا ونظرنا إلى الاتجاه الذي أتى منه الصوت كما لو أن بإمكاننا رؤية الباب من هنا. تعالى صوت خطوات الأقدام أكثر وأكثر واقترب ظل من غرفة المعيشة أزاح صاحبه الستائر نصف الشفافة المعلقة على باب التراس. كان صاحب الخطوات رجلا وسيما في نفس عمرنا إلا أن خده كان يحمل ندبة تشبه خريطة البحر المتوسط. على الرغم من كل شيء فقد نظر نحونا بابتسامة مقصودة ولطيفة.

قالت "إيسرا" والدموع في عينيها:

- ألم أطلب منكما أن تذهبا؟

Twitter: @ketab_n

42

"لا تقفي خلفي هكذا. اذهبي وانظري ماذا تفعل تلك الطفلة".

كانت أمي تنظر إلى الكعكة بينما ينبعث شرر من عينيها. لقد وقع أحد جوانب الكعكة التي كنا قد اعتدنا على صنعها عند عودة "فيرات" من المدرسة الداخلية. وهي لا تتقبل أن يكون حال هذه الكعكة هكذا بعد كل هذه السنين من صنعها. شعرت أنها تريد توبيخي لتدخلي في الأمر، حاولت أن أتحدث بنبرة عقلانية فقلت: "ربما السبب هو الكريمة، أو ربما لأن سنين كثيرة مضت، فقد نسينا كيف نصنعها".

قالت بغضب: "لا توجد أي مشكلة في الكريمة، اذهبي واعتني بالطفلة".

كانت غرفة المعيشة نصف مظلمة، إنها اللحظات التي يتسلل فيها الليل الحالك إلى العالم. كانت دنيا جالسة على مقعد أمي تشاهد فيلم كرتون به صياد ذو أنف كبير يطارد أرنبا. على نور التلفزيون يمكنني أن أرى أنها تشاهده بأعين غير مكترثة وأنها لا تشعر بأي إثارة. جثوت عند مقعدها وأمسكت يدها. قالت:

Twitter: @ketab_n

- هذه هي المرة الثالثة التي أرى فيها هذا الفيلم. سيقع هذا الصياد أرضا الآن.
- لماذا تجلسين في الظلام؟
- لا أعرف. هل المكان مظلم؟
- لقد حان وقت العشاء ولابد أنك جائعة.
- لا، لست جائعة، لماذا لم يتصل أبي.
- سيتصل حين ينتهي من العمل، هل تريدين شيئا؟
- مثل ماذا؟
- لا أعرف. لكن ربما لأنك رأيت هذا الكرتون من قبل، فأنت تودين القيام بشيء آخر.

استدارت ونظرت ناحية المطبخ فوق كتفي وقالت:

- ما الذي تفعله "ميسود" هناك؟

قلت ضاحكة:

- إنها تصنع كعكة، وكان من المفترض أن تكون هذه مفاجأة.

فتحت النور وذهبت ناحية النافذة كي أغلق الستائر. كانت السحب التي تجمعت بفعل رياح النهار قد بدأت تسقط أولى قطراتها، بينما سمعت ذلك الحفيف الخريفي بين أشجار الحديقة. لم تظهر القطط خلال الأيام القليلة الماضية، ولا يزال طبق الاسباجيتي المغطى بنمل منهمك ومتعجل بسبب اقتراب نهاية فصل الخريف على النافذة. من بعيد أرى برقا. قالت دنيا:

- "Tout ce que je sais, c'est que je ne sais rien" [كل ما أعرفه هو أنني لا أعرف شيئا]

Twitter: @ketab_n

على العشاء، كانت دنيا تلعب بالطعام وتكرر جملتها الأخيرة تلك مرة بعد مرة وبصوت خفيض. كانت تمط المقاطع الأولى ثم تسرع وهي تقول بقية الجملة، وبينما هي مائلة بجسمها للأمام على الطاولة التي تصل حافتها إلى صدرها، وتركز على اصطياد حبة البازلاء التي تهرب من شوكتها، تمتمت كما لو أنها تكرر دعاء: "Tout ce que je sais, c'est que je ne sais rien".

- هل هذه الجملة بالفرنسية؟
- نعم.
- ما معناها؟
- كل ما أعرفه أن شيئا لا أعرفه.

تصحح أمي لها عبارتها:

- كل ما أعرفه أنني لا أعرف شيئا.

تقول وهي تنظر بسذاجة نحو أمي:

- نعم، إنها أغنيتي أنا و"أميليا".
- وهي من تأليفكما؟
- لا، نحن نغنيها فقط، أما الكلمات فهي لفيلسوف.
- جيد. ما الذي تعرفينه بالفرنسية غير هذه الجملة؟
- لا شيء. أنا لا أحب الفرنسية.
- لماذا؟
- لأنه صعب، الإنجليزية أسهل بكثير.

دق جرس الهاتف، فنسيت دنيا الأغنية وحبة البازلاء على طبقها ونهضت من مقعدها. جرت ودارت حول قطع الأثاث والتقطت سماعة الهاتف بشوق. أدركنا أن المتصل لم يكن "إريتجرول" من نظرة الإحباط التي ظهرت على وجهها، دون أن تتحدث أعطتني سماعة الهاتف.

Twitter: @ketab_n

قال علي بدهشة كبيرة:

- من كانت هذه؟

كان صوته به شيء غريب لا أستطيع أن أشبهه بأي شيء أعرفه، ولم يكن باستطاعتي أن أفهم سببا لهذا. كان كما لو أنه يفكر ثم ينطق كل كلمة على حدة ويجبر أحباله الصوتية على الحديث. ربما يكون هكذا لنفس السبب الذي أخبرني به "إريتجرول" وأنه تناول الكثير من الشراب حتى سكر. حين أكون بجوار علي فهو لا يظهر أبدا أي علامة على أنه كان يشرب، لسبب ما أسمع قصص سكره من آخرين دائما.

- تحدثت مع المحامي اليوم.
- أي محامٍ؟
- المحامي الذي أوصانا به "مورات". يبدو أنه متمكن.
- ما الذي تتحدث عنه؟
- حسنا لقد كنت أفكر في أن المسألة مسألة وقت وأنا أسهل الأمور على نفسي.

من خلفي سمعت صوت بكاء متقطع ينخفض شيئا فشيئا. استدرت ورأيت دنيا تبكي وجبهتها مسندة على زجاج النافذة بينما تنظر إلى الشارع. قال علي:

- سنحتاج أيضا إلى شاهدين، وقد سمعت أن الموضوع يمكن أن ينتهي في جلستين.

- اذهب إلى الفراش ونم.

قلتها له بصوت يمكن أن يجعل "ألي رونا" تغار.

- ولا تشرب مرة أخرى. سأكون عندك غدا.

("ألي رونا" ممثلة مشهورة وهي من رواد السينما التركية).

Twitter: @ketab_n

43

رقدت على فراش أخت "إريتجرول" دون أن تصدر عني أدنى حركة. كنت مريضة وأشعر ببرد شديد. وقد انتابتني أعراض المرض الأولى بعد أن تركت منزل "إيسرا" بفترة قصيرة. مشيت إلى الشارع الرئيسي فشعرت بقطرات عرق باردة ولزجة تهبط على طول عمودي الفقري، إلا أن "جولايد" انتبهت للموقف سريعا ولم تتركني أركب الأتوبيس، وبالتالي فقد قطعت المسافة من هيرباي إلى بوستانشي وأنا أتألم وأرتعش في المقعد الخلفي لسيارة تاكسي.

عندما وصلنا طلبت "جولايد" من السائق أن ينتظر. وأخذت يدي وقادتني إلى الباب ثم ضغطت على الجرس. انفتح الباب بعدها بثوان قليلة من الطابق الأعلى مصدرا أزيزا. أمسكت بي من كتفي ونظرت في عيني:

- هل أنت بخير؟ هل يمكنك صعود السلم؟
- ألا ترغبين في المكوث قليلا؟
- لقد تأخرت بالفعل. أرسلي تحياتي للسيد "فيرات".
- سأفعل.

Twitter: @ketab_n

قلتها بصعوبة بينما أسناني تصطك.

- اذهبي لفراشك الآن، لا تبدين بخير. لا أعرف ما الذي حدث لك؟
- هل لاحظت أي شيء حين كنا هناك؟
- لم يكن هناك ما ألاحظه، كانت الفضيحة علنية ويراها الجميع.
- ألا تعتقدين أنها تشبه شخصا تعرفينه؟
- أتعنين "إيسرا"، الحمقاء؟

صمتت للحظة ونظرت في عيني. تكرر صوت أزيز جهاز فتح الباب عن بعد. هزت كتفيها وقالت بابتسامة:

- لا.. لا أنسى الوجوه التي أقابلها، ولو أنني رأيت شخصًا يشبهها من قبل لكنت تذكرت.

بعد نصف ساعة، أخذ سقف أنواره حمراء مرهقة للعين يقترب مني ثم يبتعد. أمامي مباشرة رأيت مصباحا أزرق آذى جسدي كله بضوئه الساطع، سمعت "فيرات" و"إريتجرول" يتحدثان على بعد بأصوات غير واضحة. لابد وأنني كنت أفقد وعيي مرة بعد مرة لأن الجمل التي سمعتها لم تكن كاملة ولم يكن حديثهما مفهوما. كنت أسمع حوارهما كما أنه صوت تقديم وترجيع شريط في جهاز الفيديو، ولم يكن ما قيل متصلا ببعضه بأي شكل. اختفت الظلال البشرية فجأة وظهرت في زاوية الغرفة.

ثم حين فتحت عيني رأيت قطعة قماش زرقاء نصف شفافة مربوطة حول المصباح الأزرق مما جعل نوره أقل سطوعا وأصبح ألم عيني أقل، سمعت صوتًا ربما يكون لـ"فيرات" أو "إريتجرول" يقول شيئا عن استدعاء طبيب. في المشهد التالي رأيت سيدة لها شعر منسدل ومتموج منحنية ناحيتي.

Twitter: @ketab_n

قال صوت أعتقد أنه يخص هذه السيدة "إجهاد": "بغض النظر عما كانت تفعله، فقد آذى هذا جسدها".

مرت ساعات طويلة بها الكثير من الأحلام الغريبة. في أحدها رأيتني مع "جولايد" مرة أخرى في تراس بيت "إيسرا". لكن في هذه المرة جلست أنا مسندة ظهري على درابزين التراس. نظرت إلى الفتاة الشرسة القادمة من الريف، ولاحظت وجهها المتقع بالغضب. كان صوتها مثل صوتي. نظرت إليها وأدركت أن بإمكاني أن أقرأ أفكارها. فقد أصبحت أفكارها أفكاري. لقد أتت إلى منزلي وها هي توبخني وتجلس في التراس الخاص بي.

لم يحدث من قبل لفتاة "إسكيشهر" أن غارت من امرأة إلى الحد الذي يجعلها تشعر بأنها تريد أن تؤذيها. لقد عرفها هذا الشعور بوجود جانب مظلم في شخصيتها لم تكن تعرف أنه موجود.

لقد اكتشفت الظلام بداخلها الآن.

لكنها لم تكن تألف هذا الظلام.

وبالتالي فقد كانت ترتعش.

استيقظت عند الفجر. كانت السماء بها زرقة صافية. كان المصباح الليلي بجانب الطاولة قد وضع عليه قماش خفيف أيضا مما قلل من ضوئه وجعله يصدر أشعة واهنة من الضوء. نظرت إلى النور المتسلل من خلف القماش وشعرت بارتباك داخلي. تذكرت بيتنا القديم، وغرفة لها بلكونة، و"أردا" أصغر مني بكثير نائمة على الفراش بينما تعاني من الحمى. رأيت نسخة أصغر من أمي تركب فوق أحد الكراسي كي تربط قطعة من قماش على المصباح المعلق في السقف، بغض النظر عن طبيعة ذلك الشعور الذي شعرت به في داخلي، استدرت برأسي ورأيت "إريتجرول" نائما على وسائد مفروشة على

Twitter: @ketab_n

الأرض، كان كما لو أنه وقع عليها بكامل ملابسه، بينما ذراعه ممتدة كما لو أنه يريد أن يعطيني شيئا، وفي يده كتاب "كفافيس".

أحبته، وشعرت بأنني سأحبه أكثر.

نهضت ببطء، وذهبت إلى جواره دون أن أحدث أي صوت. انحنيت وأخذت الكتاب من بين أصابعه الطويلة، لاحظت أن الصفحة المفتوح عليها الديوان بها قصيدة لم أرها في قراءتي الأولى للكتاب:

إنه يشبهه، لكنه أكثر وسامة، وهو حساس بما يكفي لأن يعاني، وهذا ما يجعل تعابير وجهي منيرة. وبينما تسحبه روحي وتوقظه، يبدو أكثر وسامة لي.

لمست يد دافئة كعب قدمي فجأة، وابتسم نحوي بعينين ناعستين.

قال بصوت يشي بأنه قد دخن كثيرا الليلة الماضية:

- صباح الخير.
- صباح الخير. هل كنت محمومة للغاية؟ وهل انتابتني نوبة من الهذيان؟
- لا، لقد كنت مريضة هادئة جدا.

Twitter: @ketab_n

44

إنها قصة الرجل الذي وقع في غرام صورة امرأة.

كانت ليلة باردة، لذا فقد سحبت البطانية التي أنزلناها من الخزانة إلى ذقنها. كانت تستمع إلى بينما تمسح أنفها الذي احمر من كثرة البكاء. أخبرتها عن قصة بطل الفيلم الذي كان ينظر إلى صورة امرأة يحبها طيلة النهار وتنتابه أحلام يقظة بأنها معه. في الحقيقة لست متأكدة من أن هذه القصة مناسبة لأطفال، لكن لم يكن بإمكاني تذكر أي من الحكايات غير أنها بدت متشوقة لتعرف بقية التفاصيل وبالتالي فقد استمررت في حكايتي عن هذا الرجل وعن الجزيرة التي تحدث بها القصة وعن الفيلم الذي تم تصويره بالأبيض والأسود وبالتالي فقد حول البحر إلى اللون الرمادي، وعن اكتشاف الرجل أنه يحب المرأة التي في الصورة لا المرأة الفعلية التي يلقاها في النهاية.

قالت بعد أن استمعت بإنصات:

- هذا لطيف، لكن هذه ليست حكاية.
- بالفعل، كيف عرفت؟
- الحكايات لا تنتهي بهذه الطريقة، فهذه تنتهي نهاية حزينة.

Twitter: @ketab_n

- إنه فيلم قديم، بالأبيض والأسود، وقد رأيته لأول مرة حين كنت في مثل عمرك.
- ماذا تعنين بأنه كان أبيض وأسود؟
- أعنى أنه لم يكن ملونا، وإنما كانت جميع الأشياء به بالأبيض والأسود والرمادي.
- أليست هذه ألوانا أيضا؟
- لكن لم يكن هناك لون أحمر على سبيل المثال، ولا لون أزرق أو أخضر.

مر بعض الوقت وهي صامتة تتأمل ما قلت، سحبت يدها من تحت البطانية ووضعتها في ضوء المصباح الليلي وقالت بينما عيناها مصوبتان على أصابعها الوردية:

- أعتقد أنني رأيت هذا من قبل، فقد رأيت صورا بالأبيض والأسود عند "أميليا"، صورًا لها ولأمها وأخواتها... من المستحيل أن تتأكدي إن كانت الملابس التي ارتدينها بيضاء أم لونها أصفر باهت. من الجيد أنني لم أعش في هذه الأيام.
- ولم لا؟
- لأنني أحب الألوان.

قلت وأنا أمد يدي نحو يدها وأمسد أصابعها:

- الألوان موجودة دائمًا، ويمكنك رؤيتها لو نظرت للصور بتدقيق.

فتحت باب الدرج، أريتها صورة "إيمرا". نظرت إلى الصورة دون أن تفهم ثم ابتسمت عيناها وقالت وهي تشير إلى ملابس التنكر التي تبدو على شكل برتقالة والتي كان يرتديها:

- ظريف للغاية.. هل هو ابنك؟

Twitter: @ketab_n

- نعم.
- لماذا يرتدي هذه الملابس؟
- لأن معلمه طلب منه هذا، ومن الممكن أن يحدث هذا لأي طفل في المدرسة.
- وأين هو الآن؟
- في بلاد أخرى.. في الفضاء. ربما يكون الآن مع أم "أميليا".

عندما تعبت دنيا من الانتظار ونامت كانت الساعة قد تخطت منتصف الليل. نامت أمي وهي جالسة في غرفة المعيشة والتلفزيون مطفأ. كان المنزل هادئا للغاية ولا يقطع صمته سوى صوت قطرات المياه. عندما لمست شعرها وأيقظتها نظرت إلي في البداية كأنها لا تعرفني، ثم قطبت حاجبيها، ومالت للأمام محاولة أن ترى الساعة المعلقة على باب المطبخ.

- ألم يأت "إريتجرول"؟
- اذهبي للفراش يا أمي، سأبقى أنا مستيقظة على أي حال.
- ألا توجد أخبار عنه؟
- من المؤكد أنه لم يتوقع أنه سيتأخر هكذا.

قالت وهي تشير إلى الملاءات المطوية والموضوعة على الكنبة: ستنامين أنت هنا، وسأضع أنا ملاءات نظيفة على فراش "فيرات".

عندما غادرتني فتحت التلفزيون، وأبقيت صوته منخفضا. أنا قلقة بسبب تأخر "إريتجرول" على الرغم من أنني لا أريد أن أعترف بهذا لنفسي، فليست لدي أدنى فكرة عن مكانه أو عمن قد يكون برفقتهم. قلت: "كان علي أن أسأله". لكن .. كلما عرفنا أقل عن بعضنا كان ذلك أفضل لكلينا. إن القلق والاهتمام والرعاية أشياء تربط الناس ببعضها وتدفعهم للاقتراب من بعضهم

Twitter: @ketab_n

بشكل أكبر. أما أنا فأشعر بالغضب تجاهه، غضب لا أستطيع أن أخرجه لكنه ينمو ويستعر بداخلي.

كان عليه أن يطلب يدي وكنت سأرفض.

استمر هطول المطر مصحوبا بأصوات رعد تأتي من بعيد. وضعت سترة أبي التي لا تزال تحمل رائحته على كتفي. لقد بدأ الصيف في الانسحاب، وأنا لا أشعر بالحزن تجاه هذا. ليس الصيف وقت الوحدة، إنه فصل يعرف فيه كل شيء كل شيء، فصل لا يمكننا فيه أن نخفي خوفنا أو صمتنا من نوره الباهر، كما أنه فصل قاس. إنه فصل مناسب للناس الذين لا يعانون من هموم، لهؤلاء الذين يعرفون كيف يحلون أصعب المشكلات. فتحت أضوائه الساطعة تتضاعف الآلام والوحدة. وهو يأخذ منا الأغطية التي كانت تلفنا طول الشتاء والتي تجعلنا متساوون ونبحث عن أقرب شجرة نستظل بها. والفارق بين من يجد هذه الشجرة ومن لا يجدها هو الفارق بين نوعين مختلفين من البشر. لابد وأن الجنة هكذا أيضا.

انتهى الصيف دون أن يبذل ما يكفي من الجهد كي نحبه.

أرجعت ظهري إلى الخلف وسحبت ركبتي إلى صدري. أصبحت سترة أبي العملاقة تغطي كامل جسدي الآن. على التلفزيون كانت سيدة تبعث على السرور تقدم إعلانا عن آنية لخبز الكعك في دقيقتين. من مكان ما عميق بداخلي صعدت إلى حلقي غصة خنقت أنفاسي، شعرت بملوحة الدموع تحرق عيني، ثم سالت دمعتان على خدي بلا اكتراث. لكنني ظللت صامتة كما ساد الصمت كل ما حولي.

Twitter: @ketab_n

45

نظرت إلى "إريتجرول".

كان وجهه تحت ضوء الصباح مثل وجه تمثال. هل كان وسيما للغاية؟ إلى أي مدى يشبه رجل أحلامي بشفتيه السميكتين وعينيه اللتين أصبحتا شرطتين نحيفتين حين يبتسم وأنفه النحيل وجبهته العريضة؟ لم يكن مثل الأولاد الذين كنا نختلس النظر إليهم في المدرسة ونغير طريقنا للمنزل كي نركب الأتوبيس معهم. فقد كان "إريتجرول" حقيقيًّا بشكل أكبر وفتى غير معقول في الوقت ذاته. كنت أرغب في لمس وجهه ولمس شعره الخشن والذي يبدو كما لو أنه ظل لشيء ما، كنت أرغب في لمس ذقنه بظهر يدي وأن أمرر باطن يدي على خديه.

نظر "إريتجرول" إلي.

وكانت نظراته بها قوة تجعلك محتاطًا لكل شيء. هل كان جريئا للغاية؟ ما الذي كان يراه حين ينظر إلي، وإلى وجهي ويدي؟ وما الحلم أو الواقع الذي كنت أذكره به؟ وبمن كان يقارنني؟ وما الذي كان يجعله ينظر نحوي هكذا؟ هل هما عينا الفتاة المنعكستان على بؤبؤي عينيه؟ هاتان العينان اللتان وجدت أنهما مائلتان للغاية، أم البثرة التي على شفتي العليا والتي ترفض أن تتركني

Twitter: @ketab_n

على الدوام، أم خداي اللذان يحمران خجلا كلما سنحت الفرصة، أم شعري البني العادي والمسترسل؟

كنا جالسين على طاولة الإفطار في صمت ننتظر استيقاظ "فيرات". نظرنا إلى بعضنا كأننا نرانا للمرة الأولى. أردت أن أنهض على الفور وأن أهرب من هذا المنزل الذي أغرقني داخله بالضوء، أردت أن أهرب بكل ما أوتيت من سرعة كي أبقى في أمان.

كنت مضطربة ومتحمسة. وكان البالون المرسوم فوق رأسي مليئًا بالأفكار المختلطة والكثير من الشعور بالوحدة. وكان علي أن أتعامل مع رائحة اللبن المغلي التي لم تكن تسمح لي بالحركة من مكاني.

- حاولي أن تتعافي وسوف نذهب كي نسبح معا.
- نحن؟ الاثنان؟

قلتها وأنا أشعر بالكثير من الخجل.

- يمكن لـ"فيرات" أن يأتي أيضا. عادة ما تكون الجزيرة لطيفة في غير أيام العطلات.
- أي جزيرة؟
- بيوكادا، أو هايبيلي... أو أي جزيرة أخرى تفضلينها.
- بالتأكيد، لكن الجزر اختصاصك أنت، لو كنت تحدثني عن السهول أو المرتفعات لكنت اخترت أنا.
- حسنا سأسأل عن أفضلها.

استمر كلامنا هكذا ثم أدركت أنني أريد بكل ما لدي ما ستؤدي إليه تلك الخطوة الصغيرة التي خطوتها بداخلي. كانت هناك أصوات تعود إلى ألف عام بداخلي تحذرني وتخبرني بأن أحترس. لكنني أدرت رأسي ونظرت نحو الجزر التي كانت متراصة حتى الأفق تحت طبقة من ضباب بدت لي كأنها قطعة قماش شفاف، سيكون من الجنون ألا أذهب معه.

Twitter: @ketab_n

قال "إريتجرول":

- بينما كنت نائمة، جلست مع "فيرات" في الغرفة الأخرى. وعرضت عليه أن نتبادل النوم والاستيقاظ لكنه لم يقبل، وإنما أراد أن يظل مستيقظا وأن ينتظر. أعتقد أنه أراد أن يتحدث، فقد أخبرني عن أشياء لم يخبرني بها من قبل، عن بيتكم وعن "إسكيشهر".. لقد تحدث كثيرا حتى إن ما قاله اختلط ببعضه داخل دماغي. الجيد في هذا أنه فتح قلبه أخيرا. إنها المرة الأولى التي أراه يتحدث فيها بهذه الصراحة، يبدو لي أيضا أن همومه قد انفرجت قليلا، لقد كان مذهولا مما حدث لكن تشتت ذهنه وتردده اختفيا. لقد كان هو من اتصل بالطبيبة، وهو من خرج وأحضر الأدوية.
- إن هذا أقل ما يتوجب عليه فعله فأنا أخته على أي حال.
- نعم... إنه يحبك، لكن ما قصدته أنه حرر نفسه من شيء ما كان يقيده...
- نعم، بكل تأكيد.
- فيم تحدثتما أنت و"إيسرا"؟
- حسنا، لم يتبق لنا شيء لنناقشه، فقد وصلا إلى قرار بالفعل.
- هل تعنين أنهما قد انفصلا؟
- بالضبط! أنت تعرف "إيسرا" جيدا، أليس كذلك؟
- نعم، يمكنك أن تقولي ذلك.

قالها وقد احمرّ خداه.

- هل فكرت يومًا في أنها تشبه شخصا تعرفه؟
- شخصًا أعرفه؟
- نعم، أعني وجهها وشكلها الجسماني، إلى غير هذا.. هل تذكرك بشخص تعرفه؟

Twitter: @ketab_n

ضيق "إريتجرول" عينيه ونظر إلى الجزر النائمة على مد البصر كما لو أن إجابته بلا موجودة بين هذه الجزر. قال وهو يضحك:

- لا، "إيسرا" لا تشبه أحدا.
- لا أحد؟
- لا أحد.
- حتى وجهها على سبيل المثال؟
- امم... لا.
- صوتها؟ الطريقة التي تنظر بها نحوك؟ الطريقة التي تتصرف بها؟
- لا يا "أردا"، لكن لماذا تسألين هذه الأسئلة؟

شعرت بعدها بالحمى تتقد داخلي مرة أخرى بعد أن ألهبت جسدي طوال الليل، ومرت يد باردة من أعلى ظهري إلى أسفله ثم إلى أعلاه مرة أخرى. نهضت من مكاني، وأخذت خطوتين للخلف محدقة في نظرة "إريتجرول" المليئة بالفضول. عقدت شعري فوق رأسي كما فعلت "إيسرا" أمس وقلت:

- وهذه الفتاة؟ ألا تشبه أحدا؟

اتسعت عيناه الناظرتان إلي بينما يحاول بكل ما لديه أن يفهم سبب هذا كله. نهض بينما نظرته لا تزال مثبتة علي. اقترب مني بخطوات بطيئة للغاية. على وجهه تعبير يقول إنه لا يستطيع أن يجد إجابة لسؤالي وملامح لا أعرف إن كانت ملامح دهشة أم فضول، بينما كنت لا أزال أنا واقفة ويدي في الهواء أمسك بها شعري. لابد وأنني بدوت حمقاء للغاية. اقترب مني ووضع يديه على كتفي، واقترب وجهه من وجهي بحركة بطيئة. ثم شعرت برطوبة على شفتي، وبدأ بيانو له ألف مفتاح يعزف بداخل الغرفة، ثم سمعت الطبول، قاطعها صوت ثمانين كمان. مسدت أنفاس "إريتجرول" الدافئة وجهي بلطف.

قال بصوت هادئ: "لا، هذه الفتاة لا تشبه أحدا أعرفه".

Twitter: @ketab_n

46

إن أهم سمة مميزة لمحطة قطارات "إسكيشهر" هي أن الشبكة الحديدية التي تغطي الأناضول قد صممت بحيث يستحيل لأي قطار آت من الشرق وذاهب إلى إسطنبول ألا يمر بـ"إسكيشهر". والأمر نفسه ينطبق على القطارات القادمة في الاتجاه المقابل، حيث ينبغي عليك أن تتوقف فيها وتشتري مخبوزات عليها حبوب السمسم وشراب الزبادي.

قررنا أن نركب القطار لأن دنيا تحبه.

أبحث عن "إريتجرول" بين مجموعات من الأشخاص الوقورين الهادئين على رصيف المحطة، مجموعات لا تفسح لك الطريق كما نرى في الأفلام. لم يظهر "إريتجرول" بقميصه الذي يلبسه في موقع البناء وعينيه الكسولتين. يودع الركاب أصدقاءهم ومعارفهم، ويصهل القطار القادم من أنقرة كما لو كان حصانا لا يطيق الانتظار كي يصل إلى إسطنبول. أمسكت دنيا بيد أمي وبدت عيناها مرهقتين من الانتظار، نظرت إلى الرصيف بصمت. إننا جميعا نمر الآن بموقف يربكنا، بغض النظر عن المشاعر المرتبطة برحلتنا الوشيكة حيث يغمرنا القلق بسبب عدم قدوم "إريتجرول" حتى الآن إلى درجة أنني لم

Twitter: @ketab_n

أعد قلقة بشأن عودتي إلى منزلي بعد مضي كل هذا الوقت على تركي له، ولم أعد قلقة من أنني سأبدأ كل شيء من الصفر مرة أخرى حين أعود، فقد كان قلقي على "إريتجرول" كبيرا حتى إنه لم يترك فرصة لأي قلق آخر أو حماس.

قالت أمي وهي تمسد شعر دنيا:

- هذا هو القطار الذي ستستقلانه، أليس كذلك؟
- لا يوجد غيره. القطار التالي في المساء.
- ما العمل الذي لديه وجعله يتأخر هكذا؟
- لا أعرف يا أمي، ليس لدي أدنى فكرة.

كان "إريتجرول" قد طلب منا أن نستقل القطار وأخبرنا بأنه سيأتي لوداعنا. في هذه اللحظة وقفت أتذكر كم ضاع من عمري وأنا غاضبة من "إريتجرول". نظرت نحو وجه دنيا المتجهم فازداد الغضب الذي أشعر به من أجل هذه الفتاة المسكينة والغضب الذي أشعر به لأجلي واتحدا فشعرت بقلبي ينقبض. لقد مر وقت طويل فعلا منذ أن شعرت بالغضب من أحد. على الأقل لن أكون بهذه السذاجة لو ظهر هذا الرجل مرة أخرى بعد ثلاث وعشرين سنة أخرى كي يحكي لي قصة بهذا التعقيد.

قالت دنيا وهي تقفز على أطراف أصابعها: "أبي!".

نادت عليه أمي: "إريتجرول، نحن هنا".

جاء إريتجرول كما لو أنه أتى إلينا بعد أن غاب خمس دقائق لشراء علبة سجائر، حيث اكتسى وجهه بابتسامة عريضة. احتضن ابنته وأعطاها كتابا أخرجه من جيبه تكفيرا عن تأخره. قبل يد أمي بطريقة لعوبة جعلتها تضحك، وبقيت أنا بغضبي المستعر كالمعتاد.

قال خافضا رأسه:

Twitter: @ketab_n

- أنا آسف.
- من الأفضل أن تكون كذلك.
- لقد تأخرت لكن لم يكن لدي ما أفعله حيال ذلك.

رددت بغلظة:

- لا عليك. لقد كانت هذه الفتاة الصغيرة قلقة عليك.

صاح وهو يحتضنها مرة أخرى بينما هي منشغلة في فك اللفافة حول الكتاب:

- هل كنت قلقة علي فعلا؟ لقد قلقنا كثيرا مؤخرا، أليس كذلك؟
- قليلا.

قالتها ضاحكة كأنما تساعده في الهروب من العقاب.

أخذت أمي دنيا من يدها ودخلتا إلى القطار لوضع حقائب اليد بالداخل. رأيناهما وهما تختفيان من نافذة وتظهران في النافذة التي تليها على طول عربة القطار. رأيناها وهي تحول مهمة البحث عن الكرسيين الخاصين بنا إلى عملية حربية كبيرة مستخدمة فيها كل مهاراتها. قام بعض الشباب لمساعدتها ثم توقف صف من الركاب الذين صعدوا إلى العربة من الباب الآخر فكون الجميع ومن بينهم أمي ودنيا حشدا في منتصف عربة القطار.

قلت:

- ما الذي حدث؟ أين كنت؟
- ذهبت إلى أنقرة وعدت، لقد قابلت مجموعة من الشباب الذين كنت أعرفهم في الجامعة التقنية ولحسن الحظ أنهم مازالوا يتذكرونني. لقد تحدثنا معا، فكما تعلمين يحتاج المرء إلى الكثير من المساعدة حينما يقرر بدء حياة جديدة.

Twitter: @ketab_n

- لكن لماذا لم تخبرنا أنك ذاهب إلى هناك؟ لقد قلقنا عليك.
- لقد اتصلت، ألم أفعل؟
- نعم لكن هذا كان في الصباح. كان عليك أن تهاتفنا في المساء.
- أنت على حق. أنا آسف.
- لا عليك، أنا أقول هذا لأن دنيا كانت قلقة وكانت تسأل عنك طوال الليل.
- أنت محقة للغاية. أنا آسف.
- لا عليك، وماذا الآن؟ أعني ما الذي ستفعله الآن؟
- لا أعرف، يقولون إن هناك وظائف في مشروع بناء ميناء البحر الأسود. ربما أجد هناك عملا حتى الشتاء، وسأبقى هناك بعض الوقت.
- ألست خائفا؟
- مِمَّ؟
- من الحياة بدون دنيا؟

وضعت دنيا المجلات التي أخرجتها من حقيبتها في الجيب الشبكي المثبت في المقعد الذي أمامها. لوحت لأبيها بابتهاج، فابتسم لها "إريتجرول". تنهد وقال:

- في الحقيقة، لقد أدركت أنني عشت أغلب حياتي وأنا خائف، خائف من ألا أستطيع النجاح والتخرج، خائف من عدم إسعاد أسرتي، من عدم العثور على وظيفة، من عدم النجاح في العمل، من عدم الحصول على التقدير الكافي. الآن لدي وللمرة الأولى سبب وجيه أخاف منه وأقلق بشأنه. ولن أفوت هذا أبدا.

- على الأقل كن على اتصال بي.
- بالتأكيد، ستأتي أمي لتقابلك في بوستانشي وفي أيام قليلة، ستأتي أميليا كي تأخذ دنيا، وسنتحدث في الهاتف على أي حال.

Twitter: @ketab_n

أردت أن أقول له: "كذاب، لن تتصل حتى لو كنت وحيدا، حتى لو اخترقت رصاصة رئتيك، لن تتصل. لكن حين تجمعنا الحياة في لقاء مرة أخرى بعد سنين كثيرة لا أعرف عددها، فهل ستكون جميلا ومخادعا وطاهرا كما أنت الآن؟".

- كدت أنسى، انظري!

أخرج شيئًا مثل صندوق ملفوف في ورق جرائد من حقيبته. قال وهو يغمز بعينه:

- أعطي هذا لزوجك، أنا أعرف أنه مغرم بالكونياك، وقد اشتريت هذه الزجاجة من دياربكير. لن تجدي مثلها في إسطنبول.

Twitter: @ketab_n

47

عندما سمعت أصواتهم استدرت ونظرت. رأيتهما نقطتين صغيرتين في الماء، لوحا نحوي، فنهضت كي يرياني ولوحت لهما. ناديانى فوضعت ديوان "كفافيس" تحت المناشف ومشيت حتى وصلت إلى جانب المياه. توقفت حين ابتلت قدمي من المياه. كان هناك فاصل من الحصى عرضه نصف متر ويفصل الماء عن الرمال، وكانت المياه باردة على الرغم من أن هذا كان صيفا حارا وسيئا. لم أشعر أن لدي رغبة في النزول إلى الماء على الإطلاق. لقد أصبحا الآن أبعد لكنهما لا يزالان يناديانني.

لم يكن الشاطئ مزدحما، كان به نساء وأطفال وأولاد صغار، أما الراشدون من رجال الجزيرة فكانوا منشغلين بكسب لقمة عيشهم في المدينة. عند الكافيتيريا المجاورة للكبائن، شممت رائحة خبز محمص، ووجدت مجموعة من الأولاد والبنات يلعبون الطاولة. كانوا جميعا أكبر مني بقليل، وعندما انسابت أنغام إحدى الأغنيات الجديدة من الراديو الموضوع بداخل الكافيتيريا والذي لم يكن يسمعه أحد، صاحوا وطلبوا رفع صوت الراديو، كان الرجل الذي يعمل بالكافيتيريا صديقهم، فعل ما طلبوه فملأ صوت "سيزين أكسو" الشاطئ.

Twitter: @ketab_n

خطوت خطوات صغيرة مترددة في الماء الذي أصبح عند ركبتي الآن. رأيتهما كنقطتين أصغر بكثير مما كانا عليه من قبل. وكانت النقطة التي خمنت أنها "إريتجرول" تعوم كأنها سمكة، بينما لم يكن من الممكن أن أقول عما كان يفعله "فيرات" إنه سباحة. فابن "إسكيشهر" البطل كان يحاول أن يحافظ على جسده طافيا وبالتالي فقد كان يصارع الماء. ثم شعر بالتأكيد بإرهاق شديد وفعل مثل كل الأشخاص الذين لا يجيدون السباحة: طفى بظهره على الماء دون حركة.

نظرت إلى ساقي وذراعي ثم إلى أبناء الجزيرة المسمرين من أثر الشمس وشعرت أنني قطعة جبن بيضاء. لم تكن بداخلي رغبة في العودة للخلف ولم أرغب في الدخول في الماء والشعور بالبرد. سمعت صوت "إريتجرول" يناديني، فنسيت الماء والبرد ومشيت حتى أصبحت المياه عميقة جدا، ثم تركت نفسي لها وسبحت.

تقابلنا بعد لحظات في المياه. لابد وأنه سبح نحوي أيضا. وأنا بجانبه شعرت كأنني دولفين وأن البحر بجانبنا، وكذلك الطحالب التي كانت تلمس قدمي فتجعلني أشعر بالغثيان كانت بجانبنا، كما كانت قناديل البحر التي ازدادت أعدادها وأصبحت بالآلاف بجانبنا هي والأسماك التي لا أعرف أسماءها. لقد كان كل هذا مهيئا حتى تجد ابنة "إسكيشهر" مناخا مناسبا لها. تساقطت قطرات الماء المالح من جبهة "إريتجرول" التي احمرت من أثر أشعة الشمس وتسللت إلى لحيته ثم سالت إلى الأسفل. وقفنا وجها لوجه، بينما ترقص مدينة بكاملها داخلي، بلاد جديدة، عاصمة جديدة، ومناخ جديد. نظرنا إلى بعضنا فشعرنا بأن المياه التي نعوم فيها حلوة للغاية.

في هذه اللحظة أدركت أننا نمارس الحب.

إننا لم نكن نلمس بعضنا، لقد كنا نمارس الحب. في هذه اللحظة، شعرت أنني وصلت لكل الأشياء التي كنت أعتقد أن الوصول لها مستحيل. لم تخبرني "جولايد" عن هذا من قبل. لقد جمع البحر جسدينا وضمهما، بينما تقلصت ضوضاء الأطفال

Twitter: @ketab_n

الذين كانوا يجرون على الشاطئ، وصوت الموسيقى المنبعثة من الكافيتيريا، وهدير الأمواج التي كانت تضرب جسدينا وبقيت فقط أصوات أنفاسنا.

مر "فيرات" بجانبنا وهو يضرب الماء بشكل يوحي بأنه متعب، كان في طريقه للشاطئ، نظر إلينا وكان سيقول شيئا لكنه قرر ألا يقوله، ربما فضل أن يستخدم ما تبقى من طاقته في الوصول إلى الشاطئ حيث كان عليه أن يصارع الأمواج التي كانت تضرب الشاطئ وترتد. وكان هو يحاول بكل ما لديه من قوة أن يسبح بينما عيناه نصف مغلقتين تحرقهما المياه المالحة. وقف أخيرا حين وصل إلى مياه ليست عميقة وترنح كأنه حطام سفينة رماه الموج إلى الشاطئ. جلس على الرمال ونظر إلينا، أو ربما ابتسم نحونا. كانت هناك ابتسامة على وجهه لم أرها من قبل. بدا كبطل هزمته الأمواج ويحاول أن يتعايش مع هذه الهزيمة كي يحب نفسه مرة أخرى.

كان تعريف الحب بالنسبة لي في هذا اليوم هو: أن يسعد المرء لأنه أحس أنه أحمق.

ربما لو قلت هذا لـ"جولايد" يومها لقالت لي: "الأهم ألا تشعري أنت بهذا وإنما أن يشعر الرجل الواقف أمامك أنه أحمق".

أما "إريتجرول" لكان قد قال: "فليشعر بالحماقة الذين يرتكبونها، فبعض الناس يتحولون إلى حمقى بشكل فعلي كما تعلمين".

وكان "فيرات" سيعلق تعليقا ختاميا كهذا: "إذا ما استمر الأحمق في حماقته فسيصير حكيما، لا أذكر من قال هذه العبارة".

نظرت إلى ساعتي وأن أجفف نفسي بالمنشفة. كنا في بداية المساء ولم نكن قد هاتفنا المنزل. لم أرغب في الاتصال بهم لأنهم قلقون علينا ولكني اعتقدت أنهم يحتاجون إلى معرفة موعد عودتنا. كان الهاتف الوحيد الموجود على الشاطئ هاتفًا للمكالمات المحلية فقط، وكان "إريتجرول" و"فيرات" نائمين على جانبي ووجهاهما للأسفل. خلال خمس دقائق من الآن سيكون من

Twitter: @ketab_n

المستحيل أن نرحل من هنا. ارتديت ملابسي سريعا وأيقظت الولدين فتبعانا وهما يتذمران. مشينا في الشارع المنحني الذي يؤدي إلى الشارع الرئيسي ونحن نئن من التعب والإرهاق. لم يكن بالشارع أحد غيرنا، لكن بعد مرور وقت قصير رأينا على مسافة منا عربة يجرها حصانان في المنعطف الذي يؤدي للجزيرة. رفعت يدي وأشرت للرجل إلى الاتجاه الذي أريده بإبهامي، فكبح السائق لجامي الحصانين اللامع جلدهما بالعرق وأوقفهما أمامنا.

صاح "إريتجرول": "توقف أيها السائق".

سألنا سائق العربة عندما اقتربنا من السوق: "كيف كان البحر اليوم؟".

كان رجلا مسنا وبدا كما لو أنه طبيب أو شخص أهم من أن يكون سائقا. رد عليه "إريتجرول":

- لطيف، كان نظيفا للغاية اليوم.
- هل تعيشون هنا في الصيف؟
- لا، لقد جئنا اليوم فقط.

بدأ الرجل يحكي لنا عن الجزيرة بنبرة مليئة بالحيوية في البداية، ثم ما لبثت نبرة صوته على أن أصبحت رتيبة وهو يحكي عن تغير الحال في الجزيرة. عندما وصلنا إلى الميدان كان "إريتجرول" و"فيرات" نائمين ورأساهما على كتفي.

كان الجو دافئا والسوق مليئة بالحركة والناس ولم تكن هناك أي دلائل تذكرنا بأن الخريف قد أوشك على المجيء.

Twitter: @ketab_n

48

قبل أن نصل "إسكيشهر" بساعات عدة، توقفنا عند محطة بوزوبوك لمدة عشر دقائق. أخذت دنيا تنظر إلى الركاب الصاعدين إلى القطار والنازلين منه من خلال نافذة عربة الكافيتريا. إنها تحب القطارات، بينما تفضل زميلاتها في الفصل السيارات والطائرات. لكنهن أيضا اعتدن على انتظار القطارات في المحطات البائسة الخاصة بالمدن التي ولدن فيها. وكثيرا ما سمعن أصوات الذئاب وهي تعوي حول سكة القطار من على مسافات بعيدة، كما توقفت بهم القطارات كثيرا ولمدد طويلة بسبب كتل الجليد التي أعاقت مساراتها. في هذه الرحلات الطويلة التي تبدو بلا نهاية، بعد الساعات القليلة الأولى، لابد وأن أمهاتهن قد حاولن تهدئتهن كي ينمن وحكين لهن حكايات عن العمالقة والأقزام. ربما لهذا السبب لم تكن القطارات بالنسبة لهن سوى حبات عقد يربط بينها خيط من الحزن والستر الإلهي والفقر اللانهائي، وتجري بهن بين أوجاع الحياة اليومية. وبالتالي فليس هناك ما يجعلهن يشتقن للقطارات كما أنهن لا يرين فيها أي جديد يمكن اكتشافه.

لكن دنيا تحب القطارات لأنها غريبة. فعلى الرغم من أنها في كل مرة تخلع حذاءها، تزيح عنه تراب الأناضول إلا أنها لا تزال غريبة عن تركيا.

Twitter: @ketab_n

العامل الذي أغلق أبواب العربة نفخ في صفارته طويلا وتحرك القطار مرة أخرى، كان هذا قطارا متلألئا ينير العتمة التي يعبر بها، ولم يكن يشبه القطار الذي ركبته حين كنت صغيرة. أحضر لنا النادل الذي كان يجول بين الطاولات حساء في أطباق مرسوم عليها الشعار الجديد للسكك الحديدية.

في الخارج، كانت أسلاك الهاتف تصعد وتهبط، ثم تصعد وتهبط مرة أخرى.

تسألني وهي تنفخ في معلقتها الممتلئة بالحساء:

- كيف تعرفت على أبي؟
- أعرفه منذ زمن.. منذ أيام الشباب.
- هل كنتما حبيبين؟
- كفي عن النفخ في الحساء، لقد أصبح باردا كالثلج.
- أخبريني، هل كنتما حبيبين؟
- ماذا قال لك أبوك؟
- إنك كنت تحبينه كثيرا.
- حقا؟ وكيف عرف؟
- لا أعرف.. ألا تعرفين أنت؟

ألا أحبه؟ كيف يمكن للمرء أن يقرر إن كان يحب أم لا؟ وكيف يعرف المرء إن كان غارقا في الحب أم لا؟ وهل البيت الذي كنا فيه منذ سنين مضت ساطع الإضاءة؟ واللوحات التي كانت تحيط بنا؟ والقطط السيامية؟ وذلك الصيف الحار الخانق الذي لا يمكن نسيانه؟ هل هذا كله يعني أي شيء اليوم؟

وما الذي يعود علينا من تذكر هذه الأشياء؟

بالتأكيد كنت أحب "إريتجرول"، غير أني أحببت زوجي أيضا. بعض الناس لديهم دافع بداخلهم يكدر عليهم حياتهم، فهم لسبب ما يظنون أنهم نجوم وأنهم في يوم ما سيشتهرون ويبهرون العالم. لذا فهم يقضون حياتهم وهم

Twitter: @ketab_n

يطلبون من الناس من حولهم دليلا على هذا. هؤلاء هم الأشخاص الذين يحتاجون إلى من يحبهم.

وقد تجنبت هذا النوع ولجأت إلى النوع الآخر، الأشخاص الذين لا يحتاجون إلى الحب.

عندما فتحت الباب المنزلق الخاص بالعربة التي كنا بها كي أعود إلى كرسيي بعد أن تناولت العشاء، سمعت لهاثًا بعدما أغلق الباب. كانت هذه فتاة صغيرة تجلس في الكرسي المواجه مباشرة للباب تنظر إلي وقد بدا من عينيها أنها استيقظت لتوها. كانت في السادسة عشرة أو السابعة عشرة وترتدي تي شيرت فاتح الألوان وبنطالًا رياضيًّا أزرق وحذاء رياضيًّا ملونًا.

انتظرت أن تقول لي أي شيء.

تسحبني دنيا ممسكة يدي وتأخذني إلى منتصف العربة.

عندما نجلس تنظر حولها متململة ثم تبحث عن وضعية مريحة للنوم. متسلحة بالخبرات التي توارثتها الأجيال، نهضت من مكاني وأحضرت السترة الصوفية التي وضعتها في رف الحقائب أعلى كرسيينا. فرشت السترة على ركبتي وابتسمت، فوضعت هي رجليها ناحية النافذة وأراحت رأسها على ركبتي دون تردد. بعدما تنفست أنفاسًا قليلة سحبها النوم ورحب بها في عالمه.

تناولت أنا حقيبتي ببطء شديد كي لا أوقظها، أزلت غلاف علبة السجائر التي كنت قد اشتريتها من المحطة وأخرجت سيجارة وأشعلتها. رميت رأسي إلى الخلف ودفعت به إلى مسند الرأس. أخذت نفسا عميقا من السيجارة وأطلقته ناحية السقف.

تغير لون أضواء العربة ببطء وانخفضت الإضاءة قليلا.

يمكن للمسافرين أن يناموا الآن.

تمت

Twitter: @ketab_n

المؤلف:

وهذة رواية كاتبها شاب وهو "تونا كريمتشى" الذي ولد في اسكشهير سنة 1973، ودرس السينما بكلية الفنون الجميلة في جامعة ميمار سينان، ونشر أول قصيدة ألفها في مجلة "فارليك"، حينما كان طالبا في ثانوية "جالأتاسراى"، ثم دفع بكتابة الأول "مراقبوا القمر" ليحصل على جائزة "يازار نايير" فى الشعر، سنة 1994، ويتقاسم مع الشاعر البوسنى "عزت سيرليتشى" جائزة "أورجوفان بالاكان" سنة 1997، وبعدها نشر روايتة الاولى "أرحل قبل أن انهار" سنة 2002م، وحظيت بتقدير القراء، حيث اعتبرت أحد أهم الأحداث الثقافية لذلك العام. وتلتها روايتة الثانية "طريق العزلة" سنة 2003، وهي أيضاً التي نشر فيها كتاباً يضم بعض الشعر وبعض الأغاني، وفي 2007 نشر عمله "الصلاوات تبقى واحدة" والتي ترجمها العربي للنشر والتوزيع عام 2011. وأيضا تونا كريميشى يؤلف الأغانى لفريق روك ان رول يُسمى "قلعة الرمال" ويكتب السيناريوهات للسينما، باللأضافة إلى كتابة عمود صحفي بإنتظام فى إحدى الصحف التركية المعروفة.

Twitter: @ketab_n

تعليقات ختامية للمؤلف:

"ارحل الآن دون أن تجعلنا نحبك". قصيدة من أغنية "لكيماني ساهاك أفندي"، وقد عرفته من خلال قصيدة في كتاب لـ"إنيسباتور" عنوانه "الديوان الرمادي". وأنا ممتن لكل من "كيماني ساهاك أفندي" و"إنيسباتور" على هذه الصدفة اللطيفة.

القصيدة في الفصل رقم 38 لشاعر يعرفه قراء الشعر الجاد وهو الشاعر المحبوب بـ"يرهانكيسكين"، ولابد أن "أردا" سعدت بلقائه كما سعدت أنا به.

أخيرا ينبغي أن أؤكد أن جميع شخصيات الرواية خيالية وأي تشابه بينها وبين شخصيات حقيقية هو من قبيل الصدفة البحتة.

كما أحب أن أشكر من أعماق قلبي جميع من آمنوا بي وانتقدوني ودعموني طوال الفترة التي تم فيها إخراج فكرة هذه الرواية للنور ثم كتابتها ونشرها.

فلولاهم لما حدثت كل هذه الأشياء.

بيشيكتاش 2000 – إميرجان 2002

tunakir@yahoo.com

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

#كتب_مختلفة #تركيا

عندما يكتب المرء مذكراته، فلا يجب عليه أن يقرأها إلا بعد سنوات طويلة من كتابتها. فالكلمات والأسطر التي كتبت منذ ثلاثة أيام يمكن أن توقع به في شعور عميق بالخجل من ذاته إن قرأها، بينما نفس الأسطر والكلمات ستصبح معجزات إذا ما تم قراءتها بعد ثلاثة وعشرين عاما. للكتابة دورة حياة خاصة بها. ولو سلمنا بأن الكتابة تولد بعد أن يغادرها سن القلم، فإن ثلاثة وعشرين عاما فترة كافية لنمو هذه الكلمات وتطورها حتى تصبح كيانا مستقلا عن كاتبها.

تونا كيرمتشي ولد في اسكشهير سنة 1973، ودرس السينما بكلية الفنون الجميلة في جامعة ميمار سينان، كتابة الأول "مراقبوا القمر" حصل على جائزة "يازار نايير" فى الشعر، سنة 1994، وجائزة "أورجوفان بالاكان" سنة 1997، وبعدها نشر روايتة "أرحل قبل أن انهار" سنة 2002م، وحظيت بتقدير القراء، حيث اعتبرت أحد أهم الأحداث الثقافية لذلك العام. وتلتها روايتة الثانية "طريق العزلة" سنة 2003، وفي 2007 نشر عمله "الصلوات تبقى واحدة" والتي ترجمها العربي للنشر والتوزيع عام 2011. وأيضا تونا كريميشى يؤلف الأغانى لفريق روك ان رول يُسمى "قلعة الرمال" ويكتب السيناريوهات للسينما، باللأضافة إلى كتابة عمود صحفي بإنتظام فى إحدى الصحف التركية المعروفة.

العربي للنشر والتوزيع

60 شارع القصر العيني 11451 - القاهرة
ت: 27954529 - 27921943 فاكس: 27947566
www.alarabipublishing.com.eg

ISBN 978-977-319-188-7
9 789773 191887 >

تصميم الغلاف: محمد سيد